5

رَوْضَةُ المُبَلِّغِينَ

كتاب دوري يتضمن مقالات تخصصية للمبلّغين

2015 م

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
إعداد المركز الإسلامي للتبليغ

جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة

بيروت - لبنان - المعمورة - الشارع العام

هاتف: ٤٧١٠٧٠/ ٠١ - ص- ب: ٥٣/ ٣٢٧٠٢٤/ ٢٥

www. almaaref.org

email: info@almaaref.org

الكتاب:	روضة المبلّغين (5) - ٢٠١٥م
تأليف:	المركز الإسلامي للتبليغ
نشر:	جمعيّة المعارف الإسلاميّة الثقافيّة
الإصدار الخامس:	٢٠١٥ م - ١٤٣٧هـ

روضة المبلّغين

إصدار دوري يتضمن دراسات تبليغية تخصصيّة

5

المركز الإسلامي للتبليغ
www.almenbar.org

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

المقدمة..... 7

كلمة الإمام الخامنئي دام ظله حول التيارات المتشددة والتكفيرية في فكر العلماء ... 9

الباب الأول: ملف العدد 15

الإسلام والحضارة 15

تأثير الحضارة الإسلامية في عصر المعلومات ـ والاتصالات..... 17

الإسلام والبيئة 55

الباب الثاني: ثقافة تَبْليغيَّة 85

المبلّغون وخدمة الناس 87

الأولويات التبليغية 93

السلوك السياسي والاجتماعي للمبلّغين (1) 99

السلوك السياسي والاجتماعي للمبلّغين (2) 109

الباب الثالث: بدور في سماء التبليغ..... 117

خواطر من حياة العلّامة الشهيد السيد محمد علي القاضي الطباطبائي .119

ثلاث وصايا عرفانية لآية الله علي آغا القاضي (رضوان الله عليه) 135

الوصايا الأخلاقية 137

الباب الرابع: سيرة وتاريخ..... 145

دروس الصبر والاستقامة في مدرسة السيّدة زينب عليها السلام 147

زينب عليها السلام سيدة الحياء والحفاظ على العفّة والطهارة..... 161

خدمة الناس في سيرة وكلام الإمام الحسين عليه السلام 173
إيجاد عزة النَّفس في سيرة الإمام الحسين عليه السلام 183

الباب الخامس: مجتمعٌ وأسرة 193
الطلاق أبغض الحلال 195
العائلة وتربية الأبناء 205

الباب السادس: مهارات تبليغية 219
بعض ضرورات التبليغ والخطابة 221
كيفية اقامة جلسات السؤال والجواب 225

الباب السابع: سيرة تبليغيّة 237
الهداية والتبليغ في كلام وسلوك الإمام الصادق عليه السلام 239

الباب الثامن: مع إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف 249
علامات ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف 251
عصر الظهور 257

الباب التاسع: بيوت الرحمن 265
آثار الحضور في المسجد 267

المقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

نقطة انطلاق:

بعد الثناء على الله الذي لا يبلغ جليل نعمه وصف واصف، ولاتؤدي حقها أعمال العاملين إلا أن يقروا بالعجز عن ذلك... وله الحمد على أن قبل منا نحن العباد القاصرين أعمالنا وعلومنا ومعارفنا وتفضل بتنزيلها منزلة العبادة وأدرجها في ميزان الحسنات وإن كانت أمام عظمة مقامه وجزيل آلائه أقرب إلى أن تكون سيئات.

وبعد الصلاة على سيد الرسل والأنبياء المصطفى المختار النبي الأعظم محمد وعلى آله الأطيبين الأخيار.

نفضي إلى أن نسلم عليكم أصحاب السماحة والفضيلة والإخوة القائمين على مسؤولية التبليغ.

بين أيديكم أيها السادة اصدار جديد هو الخامس من سلسلة روضة المبلغين لعام ٢٠١٥م الموافق ١٤٣٧هـ الذي يقوم باصداره المركز الإسلامي للتبليغ.

وقد تعمدنا أن يحافظ الإصدار الجديد على النسق الذي جرت عليه الإصدارات السابقة من التنويع في الموضوعات المختارة من جهة المضمون وكذلك من جهة مستويات تناول هذه الموضوعات لعلمنا بالحاجة إلى كل ذلك التنوع في الإستفادة والإفادة في ميادين التبليغ.

عزيزنا القارئ؛

صحيح أنه من أهدافنا في هذه الإصدارات رفد المبلغين والقارئين بما ينفع في زيادة الإطلاع والمعرفة، وتنمية المهارات والإضاءة على بعض الأمور ذات الأهمية التي لها محل في منتديات الثقافة والتي قد تكون محل جدل ونقاش في منتديات الثقافة والعلم.

إلا أنه ثمة بعداً آخر نتوخاه من هذه الإصدارات، على أننا لا نذيع بذلك سراً، وما نتوخاه إضافة إلى ما سبق أن أوردناه آنفاً، هو إظهار شيء من ألق الإسلام وفكره وقيمه ومبادئه وشريعته، وتسليط الضوء على عظماء هذا الدين في شتى الميادين من فقه، وعقيدة، وتأريخ وتفسير وفلسفة وعرفان إلى غير ذلك أولا ليظهر هذا الدين بجماله وجلاله، وتظهر آثاره في المصنوعين بهذا الدين وعظمائه على عين الله تعالى.

وليكون ذلك مصدراً لرفع الروح المعنوية عند أبناء الدين الإسلامي الحنيف في مواجهة الحروب النفسية، والناعمة وغير الناعمة، وكذلك ليكون باعثاً على الإقتداء بهؤلاء العظماء من نبي أو أئمة أو علماء أو عرفاء.

ولنا أن نقول أنه يكفينا أن يرانا الإخوة المهتمون والمبلغون أننا كنا اليد التي عملت على نقل كل ما سلف ذكره إلى مساحة أخرى من الضوء عسى أن يراها ذوو البصر والبصيرة وعسى أن يرانا السميع البصير.

والله الموفق إن شاء الله تعالى

والحمد لله رب العالمين

كلمة الإمام الخامنئي دام ظله
حول التيارات المتشددة والتكفيرية في فكر العلماء

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله ربّ العالمين وصلّى الله على سيدنا ونبينا المصطفى الأمين محمّد وآله الطّيبين الطّاهرين المعصومين وعلى صحبه المنتجبين والتّابعين لهم بإحسان إلى يوم الدّين.

معاً في مواجهة التيّار التكفيريّ

إنّ التيّار التّكفيريّ، وإن لم يكن أمراً جديداً، حيث أنّه قد امتدّ عبر التّاريخ، وله سوابق تاريخيّة، إلّا أنّه قد اكتسب حياةً جديدة وقوّة إضافيّة في السّنوات الأخيرة،

بفضل خطّة الاستكبار والأموال التي ضخّتها بعض دُول المنطقة، ومن خلال تخطيط بعض الأجهزة الأمنية والمخابراتيّة للدّول الاستعماريّة كأمريكا وإنكلترا والنّظام الصهيونيّ. وحركتنا يجب ان تكون لأجل المواجهة الشّاملة لهذا التّيّار، وليست منحصرة بما يُسمّى اليوم بداعش. إنّ التيّار المعروف اليوم بداعش هو أحد فروع الشّجرة الخبيثة للتّكفير ولا يمثّلها كلّها؛إنّ هذا الفساد الذي قامت به هذه المجموعة وهذا الإهلاك للحرث والنّسل وكلّ هذا الإهراق لدماء الأبرياء هو جزءٌ من جرائم تيّار التّكفير في العالم الإسلاميّ ويجب أن ننظر بهذه العين إلى هذه القضيّة.

إنّني من قلبي أشعر بالأسف، لأنّنا نحن في العالم الإسلاميّ،الذين ينبغي أن نصرف كلّ طاقاتنا لأجل مواجهة الكيان الصهيونّي، ومواجهة هذا العمل الذي يتمّ ضدّ القدس الشّريف والمسجد الأقصى، والذي ينبغي أن يهزّ كلّ العالم الإسلاميّ، مضطرّون اليوم للانشغال بتلك المصائب التي أوجدها الاستكبار داخل العالم الإسلاميّ، ولا بدّ من ذلك. في الواقع، إنّ تناول قضيّة التّكفير هو أمرٌ فُرض على علماء العالم الإسلاميّ ونُخب وحكماء العالم الإسلامي أيضاً. إنّ هذا الأمر قد افتعله العدوّ كمشكلة للعالم الإسلاميّ، ونحن مضطرّون لمواجهته؛ في حين أنّ القضيّة الأساسيّة هي الكيان الصهيونيّ، وهي قضية القدس، وهي قضيّة القبلة الأولى للمسلمين والمسجد الأقصى، هذه هي القضيّة الأساسيّة.

التيّار التكفيريّ في خدمة الاستكبار

هناك نقطة لا يمكن إنكارها وهي أنّ تيّار التّكفير، والحكومات التي تدعمه وتحميه، إنّما تتحرّك كلّها باتّجاه النّوايا المبيّتة للاستكبار والصّهيونيّة؛ وإنّ كلّ ما يفعلونه إنّما يخدم أهداف أمريكا والدّول الاستعماريّة الأوروبيّة والكيان الصّهيونيّ المحتلّ، والشّواهد على ذلك تجعل الأمر قطعيّاً. إنّ للتيّار التّكفيريّ ظاهرا إسلاميّا، لكنّه من النّاحية العمليّة ليس سوى خدمة للتيّارات الاستعماريّة والاستكباريّة والسّياسيّة الكبرى التي تعمل ضدّ العالم الإسلاميّ.

مهمّات كبرى:

يوجد عدّة مهمّات كبرى يجب أن تُنجز ولا يمكن الغضّ عنها:

- نهضة علميّة

أحدها هو تشكيل نهضة علميّة ومنطقيّة شاملة من قبل جميع علماء المذاهب الإسلاميّة من أجل اقتلاع تيّار التّكفير، ومثل هذا الأمر لا يختصّ بمذهبٍ دون آخر، فعلى جميع المذاهب الإسلاميّة التي تتحرّق من أجل الإسلام، وتؤمن به وتحرص عليه أن تشارك في تحمّل هذه المسؤوليّة؛ يجب القيام بحركةٍ علميّةٍ عظيمة. لقد قام أولئك، تحت شعارهم الكاذب باتبّاع السّلف الصّالح، بالنّزول إلى هذا الميدان. يجب أن نثبت براءة السّلف الصّالح ممّا يرتكبه هؤلاء ومن تلك الحركة التي يجرونها، وذلك وفق المنطق الصّحيح ومنطق الدّين. ويجب عليكم أن تخلّصوا الشّباب؛ فهناك مجموعة وقعت تحت تأثير هذه الأفكار المضلّة وهؤلاء المساكين يتصوّرون أنّهم يقومون بأعمالٍ صحيحة، فأصبحوا مصداق هذه الآية الشريفة: ﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴾ [الكهف، ١٠٣ – ١٠٤]. يتصوّرون أنّهم يجاهدون في سبيل الله، وهؤلاء هم الذين سيجيبون يوم القيامة ربّهم قائلين: ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ [الأحزاب، ٦٧ – ٦٨]. هؤلاء هم المصداق لهذه الآية. فالذي قام بقتل عالمٍ مسلمٍ كبير في مسجد دمشق هو أحد هؤلاء، والذي يقوم بذبح المسلمين تحت حجّة الانحراف عن الدّين هو من هؤلاء، وذاك الذي يرتكب المجازر بحقّ الأبرياء في باكستان وأفغانستان وبغداد والمدن المختلفة للعراق وفي سوريا ولبنان، هو من هؤلاء الذين سيقولون يوم القيامة، ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [الأحزاب، ٦٧ – ٦٨].

وفي موضعٍ آخر من القرآن الكريم يقول الله تعالى: ﴿ لِكُلٍّ ضِعْفٌ ﴾ [الأعراف،

٣٨]، فـالله تعالى لا يقبل منهم قولهم ﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمۡ ضِعۡفَيۡنِ ﴾، بل يقول: ﴿ لِكُلّٖ ضِعۡفٞ ﴾، فالتّابع والمتبوع في العذاب: ﴿ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ﴾، فيجب تخليص هؤلاء، يجب تخليص هؤلاء الشّباب، وهذا يقع على عاتق العلماء؛ فالعلماء متّصلون بالمحافل الثّقافيّة وبجماهير الشّعب، يجب عليهم أن يسعوا لأنّ الله سبحانه وتعالى سيسألهم يوم القيامة عمّا فعلوا، فيجب عليهم أن يقدّموا، هذا عملٌ.

- كشف حقيقة دعم السياسات الإستكباريّة

العمل الثاني الذي يُعدّ مهمّاً جدّاً هو كشف دور السّياسات الاستكباريّة لأمريكا وإنكلترا؛ فيجب توضيحها وكشفها، ويجب أن يعلم العالم الإسلاميّ كلّه ما هو دور السّياسات الأمريكية في هذا المجال، وما هو دور الأجهزة المخابراتيّة لأمريكا وإنكلترا والكيان الصّهيونيّ في إحياء تيّار الفتنة التّكفيريّ، يجب على الجميع أن يعلموا هذا؛ ويجب أن يعلموا ما الذي يفعله هؤلاء ولأجل أيّ شيء، فالتّخطيط منهم، والدّعم منهم، والتّوجيه أيضاً يصدر منهم؛ كما أنّ المال يُضخّ من قبل عملائهم، أي الحكومات الموجودة في هذه المنطقة التي تدعم بالمال وتجرّ هؤلاء إلى سوء العاقبة وتوجد للعالم الإسلاميّ كلّ هذه الصّعاب؛ فمثل هذا يُعدّ أمراً ضروريّاً أيضاً ويجب أن يُنجز.

- الاهتمام بالقضية الأساس

العمل الثّالث الذي يجب أن يتحقّق حتماً هو الاهتمام بقضيّة فلسطين، فلا تسمحوا أن تُنسى قضيّة فلسطين والقدس الشّريف وقضيّة المسجد الأقصى، فهذا ما يريده هؤلاء؛ إنّهم يريدون أن يغفل العالم الإسلاميّ عن قضيّة فلسطين؛ وها أنتم ترون اليوم كيف أنّ مجلس وزراء الكيان الصهيونيّ قد أعلن في هذه الأيّام يهوديّة دولة فلسطين، فقد أعلن أنّ فلسطين هي دولة يهوديّة، وقد كانوا يتابعون هذا الأمر ويسعون إليه قبل مدّةٍ طويلة، وها هم

اليوم قد حقّقوه علناً، وذلك على غفلةٍ من العالم الإسلاميّ وشعوبه. ونجد أنّ الكيان الصّهيونيّ مستمرٌّ في احتلال القدس الشّريف والمسجد الأقصى، وإضعاف الفلسطينيّين أكثر فأكثر، فيجب التوجّه إلى هذا الأمر، ويجب على جميع الشّعوب أن تطالب حكوماتها بقضيّة فلسطين، ويجب على علماء الإسلام أن يطالبوا دولهم وحكوماتهم لأجل متابعة القضيّة الفلسطينيّة؛ فمثل هذا يُعدّ من المسؤوليّات الأساسيّة المهمّة.

- العدوّ ضعيف!

وأقول لكم أيضاً أيّها الإخوة الأعزّاء: لا تخيفنّكم هيمنة أمريكا؛ فالعدوّ ضعيفٌ! إنّ عدوّ الإسلام وهو الاستكبار، أصبح أضعف من أيّ وقتٍ مضى طيلة الحقبات الماضية، عبر مئة سنة ومائة وخمسين سنة؛ إنّكم ترون دُول أوروبّا الاستعماريّة: تعاني من المشكلات الاقتصاديّة والسّياسيّة والأمنيّة وكل أشكال وأنواع المشاكل؛ وإنّ أمريكا أسوأ منها، فهي تعاني من المشكلات الأخلاقيّة والسّياسيّة ومن الأزمات الماليّة الشّديدة، وسمعتها كقوّة عظمى تزداد انحداراً يوماً بعد يوم في كلّ العالم، وليس في العالم الإسلاميّ فحسب، بل في كلّ العالم. وهذا الكيان الصّهيونيّ قد أصبح أضعف بكثير من السّابق، هذا الكيان الذي كان يُطلق شعار من النّيل إلى الفرات، ويعلن ويصرّح بأنّ كلّ المنطقة الواقعة بين النّيل والفرات هي له، لم يتمكّن من احتلال الأنفاق الفلسطينيّة طيلة خمسين يوماً في غزّة، هوذا الكيان نفسه الذي أعمل كلّ قوّته طيلة الخمسين يوماً لكي يتمكّن من تخريب الأنفاق الدّاخليّة لحماس والجهاد والفلسطينيّين واحتلالها وتدميرها لكنّه لم يتمكّن، هو ذا الكيان نفسه الذي كان يقول من النّيل إلى الفرات، انظروا كيف اختلف الأمر، وكم أصبح ضعيفاً.إنّ مشاكل وأزمات أعداء الإسلام كثيرة، لقد فشل أعداء الإسلام في العراق، وكذلك في سوريا، وقبلها في لبنان، وهكذا كان مصيرهم في المناطق المختلفة، ولم تتحقّق أهدافهم، وأنتم ترون أمريكا ومعها

كلّ الدّول الأوروبيّة الاستعماريّة تجتمع لمواجهة الجمهوريّة الإسلاميّة وتُعمل كلّ إمكاناتها في قضيّة الملف النوويّ من أجل إخضاع الجمهوريّة الإسلاميّة، ومع ذلك لم يتمكّنوا ولن يتمكّنوا من ذلك، هذا هو ضعف الجبهة المقابلة. وأنتم بمشيئة الله سوف تزدادون قوّةً يوماً بعد يوم، فالمستقبل لكم ﴿ وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمۡرِهِۦ ﴾[يوسف، ٢١].

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الإسلام والحضارة

- تأثير الحضارة الإسلامية في عصر المعلومات.والاتصالات
- الإسلام والبيئة

تأثير الحضارة الإسلامية في عصر المعلومات ـ والاتصالات

تتحدث هذه المقالة عن تأثير الحضارة الإسلامية في عصر المعلومات ـ والاتصالات. ولهذا فإنّ من الجيد والمنطقي أن تبدأ بالتحليل وتنتهي بالتركيب، بمعنى أن تبدأ أولا بتحليل المفردات والكلمات المذكورة في العنوان وتفسيرها وذكر معانيها، ومن ثمّ تبيّن المعنى الذي يحصل من تركيبها، ولهذا نبدأ من كلمة «**التأثير**»:

التأثير

التأثير هو ما يضمن تحقّق النتائج الخارجية للشيء ـ من قبيل: «**الحضارة، والدين، وسلطة الأخلاق، والنظام الاقتصادي، والثورة الثقافية، و...**» ـ وثباتها وقوتها واستمرارها على المدى الطويل. وبملاحظة المعنى المذكور يُعلم أنّ للتأثر هوية قابلة للتغيّر، ونتائج قابلة للتحقق، وتترافق هويته القابلة للتغيّر هذه مع الأمور التالية:

١. **التدريج:** وهو يعني أنّ تأثير الهياكل التنظيمية، والمعايير، والقيم، والآراء، والأنظمة، و... يتحقق بنحو تدريجي وفي إطار زماني. ومن هنا لا يمكن لأي نظام أن يعيش هذه التجربة بشكل آنيّ، لا سيما وأنّ خصوصية كهذه تقتضي ملاحظة الموانع والاستعدادات والظروف الخارجية المرتبطة بالتأثير، وقبول أنّه لا معنى للتأثير إلا في بيئة مليئة بالموانع.

٢. **المنهجية**: يمكن بيان المراد من هذا اللفظ من خلال أحد معنيين:

أ. كلّ شيء ـ الدين، الحضارة، الاقتصاد، و...، ـ يحتاج على مستوى التأثير إلى دائرة ومساحة خاصة وواضحة وظاهرة يظهر فيها تأثيره، بحيث إنّ البحث عن التأثير خارج هذه الدائرة لن يكون سوى كلام بلا فائدة.

ب. كما أنّ للتأثير ارتباطاً قويّاً بظهور دائرته ووضوحها، فإنّ له ارتباطاً كذلك بالمبادئ والقواعد والمعايير المقبولة والحاكمة، بمعنى أنّ المبادئ والقواعد والمعايير الخاصّة تكون حاكمة على تأثير أيّ شيء من الأشياء، إلى درجة أنّ المحافظة عليها وتفعيلها في قسم أو مرحلة غير مناسبة سوف يؤدي إلى تأثير عكسيّ، فمبدأ التراكم[١]، والتمركز[٢]، والإنتاج بمعدلات عالية جدّاً، ومطابقة المنتجات، والتخمين، و... مثلاً هي من مبادئ الحضارة الصناعية، ومضافاً إلى تناسبها مع مستوى التطوُّر التكنولوجي في هذه المرحلة هي من الأمور اللازمة أيضاً والضرورية لنموّ الحياة الاجتماعية والعلمية والاقتصادية و... وبقائها، ولكنّ الاستفادة منها في مرحلة ما بعد الصناعة، وبقاءها واستمرارها تستتبعُ نتائج عكسيّة. وهذا يعني أنّ أيّ مؤسّسة ومنظمة إنتاجية أو خدميّة وإدراية إذا استفادت في مرحلة ما بعد الحضارة الصناعية في الميادين الاقتصادية والتعليمية والتنظيم من المبادئ المهيمنة على

(١) يرادف هذا المصطلح مصطلحا «تكديس» «تجميع» وقد يستعمل ويراد به أحد عدة معان:
(أ) إضافة أرباح الشركة إلى رأسمالها من أجل إعادة استثمارها بدلاً من توزيعها على المساهمين.
(ب) تكديس المخزون accumulation of stocks ويعني شراء عدد كبير من الأوراق المالية أو السلع تدريجياً خلال فترة محددة لتجنّب الشراء دفعة واحدة، والذي يترتّب عليه ارتفاع سعرها السوقي.
(ج) في الولايات المتحدة يعني هذا الاصطلاح الفرق بين تكلفة السند المشترى بخصم وبين قيمته الاسمية.
(د) شراء الأسهم وتجميعها من قبل أعضاء مجلس الإدارة والأشخاص المهيمنين على الشركة أو كبار المستثمرين، وتعني بالانجليزية: accumulation. «المترجم، نقلا عن موقع المعاني الإلكتروني».
(٢) هذا المصطلح يحكي عن الشركات التي تضع أيديها على صناعة منتج معين بحيث إنها تسيطر على ٥٠ بالمئة على الأقل من معدل الإنتاج وهو ما يؤمن لها نوعاً من الاحتكار في السوق.

الحضارة السابقة من قبيل: «**مبدأ التراكم، والإنتاج بمعدلات عالية جدّاً، ومطابقة المنتجات، و...**» فلا بد وأن يسير تأثيرها في الميادين المذكورة سيراً تنازليّاً. وعلى هذا الأساس فإنّ الحفاظ على المنهجية بالمعنيين المذكورين يجعل التأثير ثابتاً.

٣. **تبديل المكوّنات:** يمكن اعتبار التخطيط والنظام من أهمّ مكونات التأثير، وما يدلّ على التبدل أنّ التخطيط والنظام متغيّران ويقبلان التكامل. ومن هنا فإنّ برنامجاً ذا نظام قابل للتطوّر لا يمكن له أن يحافظ على عملية التأثير على المدى الطويل، ولتحقيق هذا الأمر المهمّ يبدو أنّ إعادة دراسة البرامج والأنظمة أمر لازم ومنطقيّ.

نتائج التأثير القابلة للتحقُّق: ليس التأثير أمراً معلَّقاً في الهواء ليقع الحديث عنه منفرداً، بل إنّ شيئاً ما لا بدَّ وأن يضاف إليه دائماً، فيقال مثلاً: تأثير الحضارة الإسلامية، وتأثير الحضارة الغربية، وتأثير الديمقراطية وحكومة الشعب و... . وبشكل دقيق فإنّ هذه الإضافة هي ما يجعل التأثير يتجه إلى إثباتها، وبالطبع فإنّ ما يسعى التأثير إلى إثباته يشمل مجموعة كبيرة من الأمور يمكن بيانها ضمن محورين عامَّيْن هما:

٤. **الحقيقة:** وقد بُيّن هذا العنصر في القرآن الكريم بأعذب لسان، وذلك حيث حطَّم النبي إبراهيم عليه السلام جميع الأصنام إلا كبيرهم الذي علّق الفأس في رقبته، وعندما عاد المشركون وواجهوا هذا الحدث اضطربوا بشدة وتعجبوا، وسألوا إبراهيم الخليل سؤالاً مباشراً: ﴿ قَالُوٓاْ ءَأَنتَ فَعَلْتَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَا يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ﴾[1]؟ فأجابهم: ﴿قَالَ بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا فَسْـَٔلُوهُمْ إِن كَانُواْ يَنطِقُونَ ﴾[2]، وبهذا الحوار أثبت إبراهيم أنّ دين التوحيد الذي

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٦٢.
(٢) سورة الأنبياء، الآية: ٦٣.

حمل رسالته على عاتقه هو الدين الحقّ، وذلك من خلال لسان المؤثرية ومنطقها؛ لأنّ النبيّ إبراهيم عليه السلام وبنفي قدرة الصنم على التكلم وعجزه عن الدفاع عن نفسه يبطل كونه حقّاً وذلك في أهم دائرة تأثير لعبادة الأصنام، ويُحيي في الوقت نفسه فكرة أنّ الدين الوحيد المؤثر هو الدين القائم على أساس الاستدلال والمنطق والقوى العملية.

٥. **العقلائية:** مضافاً إلى أنّ المؤثرية تُستقى من العقلائية، فإنها تثبتها أيضاً، فكما أنّ المؤثرية هي حصيلة الجهد العقلي للبشر فإنّ كلّ أمر مؤثر هو مقبول عقلاً أيضاً وله توجيهه العقلائي.

الحضارة

قيل الكثير في معنى «**الحضارة**» والمراد بها، وإن لم يصل إلى كثرة ما قيل في المراد «**بالثقافة**». ويرى بعض العلماء من قبيل العلماء الألمان في القرن التاسع عشر أنّ «**الثقافة**» و«**الحضارة**» مقولتان منفصلتان عن بعضهما بشكل كامل، وهم يعتقدون أنّ «**الحضارة**» تبيّن المعلومات المادية للجهود البشرية، أما «**الثقافة**» فتبرز النتائج المعنوية والفكرية. في حين أنّ بعضاً آخر يعتقدون أنّ الحضارة والثقافة شيء واحد؛ يقول هانتنكتون: «**تشير الحضارة والثقافة إلى الطريقة العامة لحياة جماعة من الناس، والحضارة هي الثقافة في محيط أكبر**»[١].

ويرى آخرون أنّ الحضارة هي نتيجة للجهود الثقافية؛ حيث يقولون: «**الحضارة هي نتيجة عملية خالصة وخاصّة من الإبداع الثقافي الذي يشكّل ثمرة عمل جماعة خاصّة من الناس**»[٢]، أو «**الحضارة هي المصير الثقافي الذي لا يمكن اجتنابه**»[٣]. وهناك من يعتبر الحضارة جذراً وأساساً ومبيّناً لعمل الأسباب الأصيلة

(١) (برخورد تمدنها وبازسازى نظم جهانى، سموئيل بي هانتنجتون)، ترجمة محمد علي حميد رفيعي، ص٦١.
(٢) المصدر نفسه، ص ٦١ ـ ٦٢.
(٣) المصدر نفسه.

في الحياة الفردية والاجتماعية، منهم العلامة الشيخ محمد تقي جعفري الذي يقول: «**الحضارة هي البنية المنسجمة للناس في الحياة العقلية مع علاقات عادلة، ومساهمة جميع أفراد المجتمع وفئاته في تحقيق الأهداف المادية والمعنوية على جميع الصعد الإيجابية**»[1]. وعلى أيّ حال، فإنّ من المسلّم به في المقام حضور عنصر الثقافة في جميع التعاريف المطروحة للحضارة.

وبعبارة أخرى: لا يمكن الحديث عن الحضارة بدون الحديث عن الثقافة، لا سيما إذا اعتبرنا الثقافة مجموعة من الجهود الباعثة على رُقيّ البشر، ففي هذه الحالة يصبح الفصل بين الحضارة والثقافة أمراً صعباً جدّاً، لكنّ ذلك ليس من حيث إنّ الثقافة منتجة للحضارة أو مبيِّنة لها، بل بسبب وحدة الأجزاء الهيكليّة لهما، مثل: العلم، والتكنولوجيا، والفكر، والمعتقدات، والقيم، والدين، والعادات، والتقاليد، و...، وبكلمة جامعة بسبب الكلّ المتشكّل من المادي والمعنوي «**المعنوي بمعناه الشامل**».

الحضارة الإسلامية

بعد المعرفة الإجمالية التي حصلنا عليها عن الحضارة، يمكن بيان المراد بالحضارة الإسلامية بأنها «ما يبيّن منهج الحياة، وطريقة العيش، ويوضّحهما ويدعمهما ويبنيهما داخل نظام علمي مفتوح؛ من أجل إنتاج الإنسانية».

والأديان التوحيدية ـ لا سيما الدين الإسلامي المقدّس ـ تنتج نظاماً مفتوحاً للحياة وتبنيه، وهو ما لا يشاهد في أيّ مدرسة فلسفية أو علمية أخرى. وأجزاء هذا النظام الحيوي هي: الله + الإنسان + الدنيا + الآخرة. وتشكل محورية الله، والتفكير بالآخرة، وارتباط الإنسان بالله، والدنيا بالآخرة إحدى خصائص الحضارة الإسلامية، ولهذا أدخلنا قيد «الباني» في تعريفها.

(١) ترجمة وتفسير نهج البلاغة، محمد تقي جعفري، ج٥، ص١٥٩ ـ ١٦٦.

أمّا الحضارة الغربية فهي تهتم بالجزءَيْن المتوسّطين فقط من هذا النظام أي «الإنسان» و«**الدنيا**»، وترفدهما بنظام خاصّ لإنتاج الثروة والمال، وهو ما يشير إليه تافلر حيث يقول: «الحضارة... تشير إلى منهج للحياة مرفق بنظام خاصّ لإنتاج الثروة «زراعي أو صناعي»، وفي الوقت الحاضر هو نظام يقوم على أساس العلم أو هو نظام علمي»[١].

وقد استعيض في تعريف الحضارة الإسلامية عن القيد الأخير الوارد في تعريفها وفق الرؤية الغربية بقيد «نظام علمي منتج للإنسانية»، وهذه القيود الثلاثة هي بالدقة ما يميّز هاتين الحضارتين من بعضهما ويفرّق بينهما.

وأمّا أخذ قيدي «الموضِّح والداعم» في معنى الحضارة الإسلامية فيدلُّ على أمرين:

الأول: قبول الإسلام لجميع الإنجازات والعطاءات البشرية الأصيلة في الميادين المختلفة من الحقوق، والإدارة، والصناعة، والتكنولوجيا، والعلم، والخدمات، والصحّة، والسياسة، والاقتصاد، و... ممّا يقع في إطار خدمة الناس وتنمية المجتمع البشري وتكامله.

الثاني: اكتساب هذه الأمور معناها بوضعها في إطار الحضارة الإسلامية، وإلا ففي غير هذه الصورة سيسقط الجزء المتوسّط من الحضارة الإسلاميّة ـ الإنسان والدنيا ـ وهو ما يؤدي بشكل قهري إلى تدمير النظام المذكور بأكمله. ويدلّ على ما تقدم عن الحضارة الإسلامية مجموع الآيات التالية:

١. ﴿نٓ وَٱلۡقَلَمِ وَمَا يَسۡطُرُونَ﴾[٢].

٢. ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[٣].

(١) جنك وپاد جنك، الوين وهيدى تافلر، ترجمة: مهدي بشارة، ص٥٠.
(٢) سورة القلم، الآية: ١.
(٣) سورة العلق، الآيات: ٣ ـ ٥.

٣. ﴿وَٱبۡتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنۡيَاۖ وَأَحۡسِن كَمَآ أَحۡسَنَ ٱللَّهُ إِلَيۡكَۖ وَلَا تَبۡغِ ٱلۡفَسَادَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾[1].

حيث إنّ هذه الآيات تحدّثت بوضوح عن الإيمان بالله، ومحورية الإنسان، والاتجاه العلمي، وطلب الدنيا، والسعي للآخرة، وارتباط هذه الأمور ببعضها، وهذا من الأعمدة الأساس في الحضارة الإسلامية.

وهنا سؤال: هل للقول بتأثيرٍ للحضارة «الحضارة الإسلامية» معنى؟ وهل هو قول منطقي؟

إنّ أفضل طريقة للإجابة عن هذا السؤال هي بيان بعض خصائص «الحضارة»؛ لنرى أين هي الحضارة الإسلامية منها؟

خصائص الحضارات

لكلّ حضارة أصيلة ـ دينية أم غير دينية ـ خصائص معينة:

١. **قابلية التكامل:** لا تمكن الإشارة إلى حضارة من الحضارات على مرّ تاريخ الحياة البشرية كانت كاملة منذ ولادتها. فعملية التكامل تبدأ في إطار استمرار الحياة، والتعامل مع الحضارات الأخرى، والجهد الفني والتقني والعلمي والأخلاقي والمعيشي والحكومي و... المستمر للناس، وستبقى هذه العملية مستمرة ما دام الإنسان موجودًا. ولهذا فلا يمكن لأية حضارة «**لا سيما فيما يرتبط بالدنيا والإنسان**» أن تدّعي أنّ دورتها التكاملية قد انتهت، وأنها طوت جميع مراحلها.

٢. **قابلية التوسُّع والانحسار:** الحضارة بما تشتمل عليه من عناصر جذب وما تقدمه من جهد بشري شامل فإنّ أجزاءها في ميادين الاقتصاد والمجتمع والخدمات من قبيل العلم والتكنولوجيا والدين يمكن أن تتمدد إلى خارج محلّ

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.

نشوئها؛ لتغطي مساحات من الناس المختلفين من حيث اللون، والمستوى الاجتماعي، والوضع الاقتصادي، والفكر، وذلك من قبيل الحضارة الإسلامية التي بسطت جناحيها خارج حدود شبه الجزيرة العربية «**الحجاز**» باتجاه أوروبا وأمريكا وآسيا ...، أو الحضارة الغربية المتغلغلة والحاضرة في العديد من الجغرافيائيات الطبيعية والحياتية.

كما يمكن لحضارة ما أن تنحصر في مكان نشوئها؛ لعدم توفر الخصائص التي ذكرت فيما تحمله من أجزاء، وهو ما يؤدي بعد مدة قصيرة إلى انحسار دائرة تأثيرها ونفوذها.

٣. **قابلية الزيادة والنقصان:** كلّ حضارة قد تتضخم وتزداد من حيث البنية الداخلية وقد تتقلّص وتقلّ في مسيرها التكاملي وطريقة تعاملها مع الثقافات والحضارات الأخرى والتبادل الذي يحصل بينها وبينهم، فقبول الحضارة الإسلامية مثلاً للتكنولوجيا الحديثة أو قبول الحضارة الغربية للاعتقاد بالآخرة والمعنوية يؤدّيان إلى ازدياد حجم كل منهما عما كان عليه قبل القبول.

٤. **التعرض للفناء:** تتعرّض بعض الحضارات إلى الفناء والانعدام بعد مدة من الزمن على أثر الظواهر الجغرافية أو المعرفية أو الفنية أو الاقتصادية أو الاعتقادية أو ...، كما هو الحال اليوم بالنسبة إلى العديد من الحضارات القديمة؛ حيث إنّه ومن بين أكثر من إحدى وعشرين حضارة عُرفت عبر التاريخ فإنّ ما تبقى منها هو سبع حضارات كبرى أو ثمانٍ فقط.

٥. **عدم قبول الزوال:** ليس المراد من عدم قبول الزوال عدم قبول الفناء؛ إذ قد مر أنّ كلّ حضارة يمكن أن تتعرّض للفناء يوماً ما، بل المراد أنّ الحضارة هي من قبيل منهج الحياة، وهذا يعني أنّه ما دامت الحياة البشرية موجودة على وجه الأرض فإنّ الحضارة سوف تستمرُّ وتبقى، وإن كانت ستجرّب أشكالاً مختلفة.

٦. **الديناميكية:** جميع خصائص الحضارة تدريجية، بمعنى أنّ الظهور، والتآكل، والزيادة و... من الخصائص هي أمور تحصل بالتدريج وخطوة خطوة، وبناءً عليه فإنّ للحضارة هوية ديناميكية.

وبملاحظة هذه الخصائص المذكورة للحضارة فإنّ عبارة «تأثير الحضارة» لا تجد معنى فقط، بل إنّ فهم هذه الخصائص نفسها يصبح ممكناً إلى جنب مقولة «التأثير»؛ فالتأثير من أهم مبادئ تحقُّق هذه الخصائص ومكوّناتها.

خصائص عصر المعلومات والاتصالات «مجتمعات المعلوماتية»

ومع أنّ عصر المعلومات والاتصالات قد وُلد وأمضى ردحاً من عمره، ويوماً بعد يوم يزداد استيلاؤه وهيمنته، إلا أنّه لم تتحقّق حتى الآن هويته الكاملة وآثاره ولوازمه، بل سوف تظهر أجزاؤه الخفية وتكتمل صورة وجهه الناقصة بمرور الأيام، وسيكشف الستار عن إنجازاته الجديدة الخاصّة. ولهذا السبب لا يمكن القيام بتقييم جامع وشامل لخصائص هذا العصر، لكنْ من الممكن بيان الخصائص التي وجدت فيه حتى اليوم، وهي على الشكل التالي:

الأولى: تطوّر العقل البشري وازدهاره وهيمنته، لا سيما في مجال العلم والتكنولوجيا العلمية.

الثانية: التعددية الفكرية والمنهجية وكثرتهما، أي أن هذا العصر لم ينتج مناهج وأفكاراً مختلفة ومتنوّعة فحسب، بل ذهب إلى أبعد من ذلك؛ حيث إنّ التعددية والكثرة تدخلان في تنظيم الميادين المختلفة للحياة البشرية؛ إذ ليس من منهج أو فكر فوق النقد والمراجعة، فجميع المناهج والأفكار تتعرّض على حدّ سواء للتصفية والتنقية دائماً وفي كل مكان؛ لتعود كاملة في النهاية. والنتيجة القهرية والمنطقية للتعددية المذكورة هي ولادة العقل الجمعي، والالتزام به، ونبذ الديكتاتورية الفكرية والمنهجية.

الثالثة: لازم ولادة العقل الجمعي والثقة به واحترامه هو اتساع رقعة المساهمة والرقابة ومشاركة الناس في جميع الأعمال الحياتية والتنافس عليها، وذلك في الدائرة الأعم من الأمور السياسية، والاقتصادية، والعلمية، والتقنية، والأخلاقية، والثقافية، والدينية، و.... ومن هنا تعتبر المنافسة، والرقابة، والمشاركة، والمساهمة، و... من الحقوق الرئيسة والحيويّة للإنسان في هذا العصر.

الرابعة: يشكّل العلم والمعلومات مصدراً للقوة والسلطة السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية...، وهي تعمل كملاك ومعيار لقبول المجتمع للأمور ورفضها، ولهذا ففي الساحة السياسية مثلاً يستولي العلماء والمفكّرون والخبراء الفنيّون على السلطة السياسية، وفي الساحة الاقتصادية يجني المدراء مداخيل أكثر من أصحاب رؤوس الأموال، وفي ميدان المنافسة والعمل فإنّ السَبْق والفوز يكون من نصيب من يملك علما أكثر ومعلومات أوسع ومبوّبة. وقبل أن يكون العمل الإنتاجي مرتبطاً بالقوة العضلية والطاقة الفيزيائية فإنه يستند إلى القوة الفكرية والطاقة العلمية.

الخامسة: تعدد أبعاد المساعي والجهود الخدمية والإدارية.

السادسة: السرعة في المعاملات، والتبادلات، والارتباطات، وازدياد التوجه إلى القيم ما وراء المادية «**المعنويّة**» من قبيل البيئة، والرفاهيّة العامّة، و....

وتشكّل الخصال المذكورة المحاور الكلية والأساس لخصائص عصر المعلومات والاتصالات. وعرض نماذج أخرى جزئية ومصداقية، وتفصيل أعمال الخصائص المذكورة، وبيان آلياتها في الميادين السياسية، والاقتصادية، والتعليمية، والبحثية، والخدمية، والصحية، والثقافية، ومجال الدين، والعلم، واللغة، والفنّ، و... خارج عن الهدف الذي كُتِبَتْ هذه المقالة من أجله.

آلية تأثير الحضارة الإسلامية في عصر المعلومات

يعتبر عصر المعلومات والاتصالات أحد مظاهر الحضارة الغربية، وهو يشكّل حالة أجنبية عن الحضارة الإسلامية، وإن كان لمكوناته الأساس جذور فيها أو يعثر على جذور لها فيها، ولهذا يمكن للحضارة الإسلامية أن تتكيف مع هذا العصر.

هذا، وبسبب الخصائص والوظائف والحقوق الجديدة التي أوجدها هذا العصر للإنسان من قبيل حقه في إقامة العلاقات مع الآخرين، وحقه في إنتاج الرسالة التي يريد نشرها، وحقه في الوصول إلى مصادر المعلومات وغيرها الكثير من الحقوق فإنه يعتبر من الحاجات الأساس للحياة الإنسانية، ولا يمكن حذفه من دائرة الحياة البشرية. وهنا يكمن السرّ في اختراقه الحادّ والسريع لها. ولا يعني هذا طبعاً كون هذا العصر خالياً من النواقص، وأنه أكثر مراحل حياة البشر مثالية.

وبملاحظة المسألتين المتقدمتين فإنّ هذا العصر قد دخل الحضارة الإسلامية، وسيدخلها كالموج، أو أنّ الحضارة الإسلامية ستسير نحوه مضطرة. وبشكل طبيعي فإنّ من شأن هذا العصر أن يحقّق تزاوجاً بين الجزءَيْن الأساسيّين لنظام الحضارة الإسلامية أي «**الإنسان والدنيا**» و «**الاعتقاد بالله والآخرة**»، وهو ما يمنع من نمو هذا العصر بشكل غير متواز، وبروز آثار غير صحيحة له من قبيل الخوف من المعنوية، والشعور باليأس. وبهذا ستقدم الحضارة الإسلامية مجدداً خدمة عظيمة للبشرية. ولا شكّ في أنّ هذه الخدمة ستكون مرهونة بمدى تأثير هذه الحضارة في عصر كهذا. وبناءً عليه فإنّنا من الآن فصاعداً سنعمل على توضيح مكوناتها وآلياتها، فنقول:

يقوم تأثير أيّ شيء من الأشياء على ثلاثة مكوّنات أو مبادئ، ومن الطبيعي أنّ الحضارة الإسلامية لكي تكون مؤثرة يجب أن تتوفر هذه المكوّنات في داخلها وهي:

المكوّن الأول: تحديد الأهداف

تشمل هذه الدائرة مجموعة واسعة وكبيرة من الأهداف، إلا أنه يمكن بيانها من خلال ثلاثة أهداف جامعة فقط، ومن ثَمَّ متابعة البحث، وهي:

١. الأهداف النهائية.

٢. الأهداف المتوسِّطة.

٣. الأهداف الأوليّة أو القصيرة الأمد.

وهذه الأهداف الثلاثة موجودة في الحضارة الإسلامية أيضاً: فالهدف النهائي للحضارة الإسلامية هو تثبيت أعمدة المجتمع الإنساني الإلهي، وهدفها المتوسط تأمين الحقوق الإنسانية والإلهية في ظل نظام حقوقي، في حين أنّ هدفها الأولي هو توفير العدالة الاجتماعية ونشرها. وإذا غضضنا النظر عن أنّ الأمرين الأخيرين يحملان بعداً هدفيّاً إلا أنهما يعملان في بعض المراحل بوصفهما طريقيَنْ وصول إلى الهدف النهائي.

المكوّن الثاني: الجهوزية للتكيّف مع سائر البيئات والظروف

يشمل هذا المكّون عمليتين اثنتين:

١. عملية الاختراق والتأثير.

٢. عملية القبول والجذب.

أمّا عملية الاختراق والتأثير فتعني أنّ الحضارة الإسلامية يجب أن تقدّم رسالتها بنحو تتمكن معه من اختراق العالم المعاصر وعصر المعلومات لتقع مورداً للقبول. وهذا الأمر يرتبط بأسلوب العرض وعمق الرؤية التي تحملها الرسالة، ومع عدم مرافقة هذين الأمرين لعملية الاختراق والتأثير فإنّ هذه العملية ستبقي عقيمة.

وأمّا عملية القبول والجذب فهي تعني أن تقبل الحضارة الإسلامية الواقع

العملي والمنطقي والحياتي لمجتمع المعلوماتية، وتغرسه في بنيتها، ومن ثَمَّ تتابع حياتها معه.

وتعتبر الجهوزية والقدرة على استيعاب العمليتين السابقتين، والانسجام معهما من الخصائص المهمة لعصر المعلومات ـ والاتصالات، إذ إنّ نموَّهما كان بارزاً جدّاً في هذا العصر. وتعتبر تقوية الأمرين السابقين ونشرهما بوساطة تكنولوجيا المعلومات ـ والاتصالات، والتنكولوجيا الحيوية والنووية و... من أهمّ أسباب انتشار الحضارة الغربية، وكون أهل المشرق يعرفون عن شخصيات الغرب وتعاليمه وقيمه وإنجازاته أكثر مما يعرفون عن تراثهم الثقافي الخاصّ بهم.

ورغم أنّ هذا المكوّن بعنصريه لا يتمتع في الظروف الموضوعية والتقنية الحالية للمجتمعات الإسلامية بتطوّر يستحقّ الانتباه، إلا أنه ومن الناحية المبنائية ذو جذور عميقة في الحضارة الإسلامية، وتجربة التاريخ الإسلامي إلى القرنين الخامس والسادس تؤكد هذا العمق؛ يقول تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ فَٱعْفُ عَنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِى ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾[1]، ويقول: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[2]، ويقول: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴾[3]، ويُستفاد من هذه الآيات ما يلي:

ألف: وجوب تحلّي الرسول ﷺ ـ سواء أكان فرداً أم جماعة أم مجتمعاً ـ بالفضائل الأخلاقية، والسلوكية، والمعرفية، و... .

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٥١.
(٣) سورة ق، الآية: ٤٥.

ب: طرح الرسالة في نظام حرّ ومفتوح، والاستفادة من نماذج عملية موجودة بشكل كامل في الخارج.

ج: وجوب اشتمال الرسالة على قضايا ونتائج جديدة وناجعة، وذلك بغضّ النظر عن وجوب كونها متنوعة من حيث بُعدُ الرؤية أيضاً.

د: وجوب وقوع الرسالة مورداً للنقد، وعدم استعمال أي نوع من أنواع الضغط والقوة في عرضها وطرحها، بل يجب الاهتمام برفع مستوى المعرفة؛ ليشكل بجدّ رافعة للقبول الواعي والحرّ.

ويقول تعالى: ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾[1]

ويقول: ﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾[2]، وتُستفاد من الآيتين السابقتين النتائج التالية:

هـ: وجوب إنتاج الأسباب والأدوات والعلل التي يتوقف تطور الحياة الإنسانية عليها وتطويرها وتنميتها وجعلها تتكامل، ولا فرق في ذلك من حيث المجتمع الذي توجد فيه «**دينيّاً كان أم غير ديني**» أو الأشخاص الذين ينتجونها «**مسلمين كانوا أم كفاراً**»، بل يجب تقبّلها بوصفها واقعيات حياتية، والعمل على حفظها وتطويرها.

و: ارتكاز الحياة الإنسانية بشكل أساس على سعي الإنسان «**الفكري.الجسدي**» وعمله، ومن هنا تجب تهيئة الأرضية الحقوقية والأمنية والتقنية لهذا السعي، وأن يقع ما ينتج منه مورداً للتقدير، ويُستفاد منه بالشكل الأفضل.

وبملاحظة هاتين الطائفتين من الآيات الكريمة يمكن استنتاج أنّ الحضارة الإسلامية تهتمّ بنحو خاصّ بانسجامها وتكافئها وتطابقها مع أي بيئة وظروف

(١) سورة فاطر، الآيات: ١٩ ـ ٢٢.
(٢) سورة النجم، الآيات: ٣٨ ـ ٤٠.

كمنهج معتمد من قبلها للتأثير.

أمّا الآن فنشير إلى بعض ما كان، وما هو موجود الآن، وإلى الأحداث المنطقية والعملية، وفي الوقت نفسه إلى الحياة التي نواجهها في عصر المعلومات والاتصالات، ومن ثَمَّ نظهر منزلتها في الحضارة الإسلامية:

الأمر الأول

يمتاز هذا العصر بحضور العقل البشريّ في الساحة والذي تظهر آثاره من خلال العلم والتكنولوجيا الحديثة بنحو شفّاف جدّاً وكبير، إلى درجة أنّ هذين الأمرين - العلم - والتكنولوجيا - هما أكثر مكونات عصر المعلومات والاتصالات تأثيراً.

وحيث إنّ العلم والتكنولوجيا يغطيان جميع مساحات الحياة مع اختلاف من حيث القلّة والزيادة من مكان إلى آخر، وقد أثرا بشكل مذهل في الأبعاد المختلفة لحياة الإنسان وزواياها، فقد قدّما وظائف اجتماعية وخدمية وبنيوية كبيرة جدّاً، وهو ما أدّى ببعضها إلى إبراز التأثير العملي للدين في ميادين الإدارة والاجتماع والاقتصاد والتقنيات و... محدوداً.

هذا، ودخول العلم الحديث والتكنولوجيا العلمية «تكنولوجيا المعلومات، والتكنولوجيا البيئية، والحياتية، والفضائية، والنووية، و...» إلى الساحة ووجوب حضورهما فيها مما لا مناص منه، وهو يشكل أمراً حيويّاً على مستوى تطوير الحضارة الإسلامية وتأثيرها.

ومن هنا فإنّ احترام العقل البشري والثقة به، ومعرفة دائرة تأثير عمل الإسلام والاعتراف بذلك، وكذلك العلم والتكنولوجيا، كلُّ ذلك يشكل سرّ تأثير الحضارة الإسلامية في عصر المعلومات والاتصالات. لا سيما وأنّ هذه الحضارة تمتلك القدرة الواسعة والجهوزية للتكيف مع أيّ بيئة وظروف من أجل تنمية العقل البشري وتطويره. ويمكن إثبات هذه الدعوى المهمة بدليلين:

الدليل الأول: التجربة التاريخية الناجحة للحضارةالإسلامية في تربية العقل البشري والثقة به.

من الواضح للجميع أنّ الحضارة الإسلامية كانت حتى القرن الخامس الميلادي بل السادس منه فجر العقل الإنساني وعينه الزاخرة، فالابتكارات والإبداعات التي حصلت في الحضارة الإسلامية على مستوى العقل البشري بدّلتها إلى حضارة راقية، ومنتجة وأصيلة، ومن الآثار القهرية لذلك تنمية العقل البشري، ويمكن التمثيل لذلك بما «**يظهر من فرق بين الجبر الهندي والجبر الإسلامي في طريقة حلّ المعادلات الرياضية من الدرجة الثانية، وتفسير علامة التضعيف، فحلّ ذلك عند الهنود تحليلي، وعند المسلمين هندسي. مضافاً إلى وجوب التنبه إلى أنّ هذا الحلّ الهندسي جميل جدّاً، ويجب تقديمه للآخرين بوصفه أحد إنجازات العلماء المسلمين**»[1].

كما أنّ الجرَّاح المسلم المبدع أبا القاسم الأندلسي المولود سنة ١٠١٣ م هو مثال آخر على ذلك، حيث قالوا فيه: «**كان يدرّس طلاب الجراحة ثلاثة أنواع من تخييط المعدة هي: طريقة «أومشلونكن نات» و «كورشنرنات» و «اخترنات»**. وكان يدرّس طريقة خياطة محلّ الجراحة بإبرتين وخيط واحد، وطريقة الخياطة بخيط كان يصنعه بنفسه من أمعاء القطط، وهو أول من أوصى بخياطة محلّ الجراحة وبشكل عام بجراحة ذلك الموضع من البدن الذي يقع تحت الصرة، وكان يوصي بجعل حوض الخاصرة والأرجل فوق مستوى الصدر، وكان هذا النحو من جعل الحوض والأرجل معروفاً بين الجرَّاحين الأوروبيين باسم «**ترندلن بورك**»، وهو ما تعلّمه الغرب من مكتشفه الإسلامي مباشرة...، إلا أنهم وفي النهاية سمّوه في أوائل القرن العشرين باسم الجراح الألماني الكبير «**فريدريش**

(١) متفكران اسلام، بارون كارادو وو، ترجمة: أحمد آرام، ص١٢١.

ترندلن بورك» (١٨٤٤ - ١٩٢٤م)، وأمّا العالم الإسلامي الذي كان يستحق ذلك فلم يفكر به أحد»[١].

ولا تسعى هذه المقالة إلى التركيز على الماضي، بل إلى بيان وضع الحضارة الإسلامية وعملها في العصر الراهن والمستقبل، والتجربة التاريخية إنما ذكرت بوصفها دليلاً، دون إرادة عرض إنجازات الماضي، بل السعي إلى وقوع التجربة المذكورة وتكرارها في العصر الحديث، لا سيما وأنه سيكون للعقل البشري دور أساس في أية حضارة حالية أو مستقبلية وذلك على هيئة العلم والتكنولوجيا.

الدليل الثاني: لسان النصّ وأصول الحضارة الإسلامية «القرآن، وسيرة الأئمة».

المراد من الدليل الثاني بيان ما للعقل البشري بما يحمله من خصائص في عصر المعلومات والاتصالات من منزلة في النصوص الدينية، ويمكن بيان انسجام الحضارة الإسلامية مع العقل البشري من خلال الصور العديدة التالية:

الصورة الأولى: يشكل العلم والمعرفة مصدراً للحركة في الحضارة الإسلامية وداعماً لها، والجميع يعلم أنّ هذه الحضارة تبدأ من «**اقرأ**» و «**علَّم**»؛ حيث يقول تعالى: ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾[٢]. والمنهج المختار والمستفاد منه لإيجادها وتحققها واستقرارها متلائم مع العقل بشكل كامل؛ لأنه ينطلق من المبادئ التي تبني الرؤية الكونية ومعرفة الإنسان أولاً، ومن ثَمَّ يُبلّغ رسالته رويداً رويداً حسب الأبعاد والمستويات المعرفية والقيمية والأخلاقية والغريزية والسلوكية... التي يمتلكها الفرد والمجتمع الإنساني وسعتها؛ يقول تعالى: ﴿وَقُرۡءَانٗا فَرَقۡنَٰهُ لِتَقۡرَأَهُۥ عَلَى

(١) فرهنك اسلام در اوروپا، الدكتور زيكريدهونكه، مرتضى رهباني، ص٢٨٠.
(٢) سورة العلق، الآيات: ١ - ٥.

ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكۡثٖ وَنَزَّلۡنَٰهُ تَنزِيلٗا ﴾[1]، ويوضح المسائل الاجتماعية، والقانونية، والحكومية و... واحدة بعد الأخرى ويبينها.

ويبتني هذا المنهج بكامله على التعاطي المنطقي والهادئ والحرّ دون استخدام شيء من القوة والإجبار؛ يقول تعالى: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ وَٱسۡتَقِمۡ كَمَآ أُمِرۡتَۖ ... وَأُمِرۡتُ لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمۡۖ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡۖ لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُۖ ٱللَّهُ يَجۡمَعُ بَيۡنَنَاۖ وَإِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ﴾[2]، ويقول أيضاً: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّ ﴾[3]. ففي الحضارة الإسلامية الناشئة من القرآن الكريم لم تستعمل القوة والسلطة مطلقاً من أجل إدخال الآخرين في دائرة هذه الحضارة؛ يقول العلّامة الطباطبائي: «**والإسلام إنما استعمل السيف وشهر السلاح على الظالمين الذين لم يقتنعوا بالآيات والبراهين، استعمل القوة في وجه من وقف حجر عثرة في سبيل الدعوة إلى الحقّ، أجهز السلاح لدفع شرّ المعاندين لا لإدخالهم في حظيرة الإسلام؛ يقول جلّ شأنه: (قاتلوهم حتى لا تكون فتنة)**»[4].

مضافاً إلى أنّ هذه الحضارة تحمل رسالة للإنسانية، لا إلى القومية أو اللغة أو العرق أو الثروة و...؛ يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ﴾[5]، ويقول: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ ﴾[6].

فعصر المعلومات ـ والاتصالات ناشئ من العلم والمعرفة ومستند إليهما، وهذا

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٦.
(٢) سورة الشورى، الآية: ١٥.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢٥٦.
(٤) تفسير الميزان، العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي، جماعة المدرسين، ج٤، ص١٦٤.
(٥) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

هو المنهج المقبول فيه والمجدي والمطابق للهوية الواقعية والعملية له، والبعيد عن القوة، والمنسجم والمترافق مع المنطق والحرية، على الرغم من عدم إمكان إنكار أنّ عدة من المجتمعات المولودة فيه وعلى خلاف هويته الواقعية تستعمل القوة والإجبار وتمارس الديكتاتورية؛ ففرنسا مثلا تمنع من تعلم الطالبات المحجّبات بالحجاب الإسلامي، وأمريكا تدافع علنا عن السلوك غير الإنساني لإسرائيل ضدّ المسلمين، و.... فالرسائل والقيم العملية المؤثرة في هذا العصر والتي كان يجب أن تُنتج ستكون خاصة بالإنسانية، وإلا فلن يبقى هذا العصر على قيد الحياة.

وبناء عليه فالحضارة الإسلامية من حيث المبنى والمنهج ومضمون الرسالة هي من أرقى الحضارات وأكثرها تأثيراً في عصر المعلومات ـ والاتصالات، لكن بشرط العمل مجدداً بالمباني والمنهج والرسالة كما وردتْ في القرآن الكريم، وتجلَّتْ وتحقَّقتْ في سيرة نبيّ الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم.

الصورة الثانية: إنّ احترام العقل البشري والثقة به لمن الحقائق الأخرى الموجودة في هذا العصر، ولحسن الحظّ فإنّ الحضارة الإسلامية قد اهتمت اهتماماً خاصّاً بهذين الأمرين، واحترام العقل فيها صار سبباً لانهيار معادلة التساوي بين العلم وغيره «**الجهل**» وإخفاقها، ومن المؤكد أنّ هذا الاختلال في المعادلة يجعل الموقف القانوني، والإداري، والاجتماعي، والإنساني لكل منهما مختلفاً، ومن هنا فإنّ القرآن الكريم ينفي التساوي ابتداء؛ حيث يقول تعالى: ﴿هَلْ يَسْتَوِي ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾[٧]، ومن ثَمَّ يعرب عن أنّ توزيع المسؤولية يكون على أساس الكفاءات ومعايير التنمية؛ حيث يقول تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾[٨].

(٧) سورة الزمر، الآية: ٩.
(٨) سورة المجادلة، الآية: ١١.

وقد شجّع الإسلام وحثّ بجدية على التفكير والتعقل، وحدد لذلك ميادين مختلفة من التفكير في طبيعة الإنسان، والوجود والدنيا، وتاريخ البشرية وسيرتها، و...، ولازم هاتين المقدمتين:

١. شمول العقل البشري بمعناه العام للعقل العلمي، والتقني، والفلسفي، والديني، و...، وهو ما ينمّي نحواً من العمل الجمعي؛ لأنّ تعدد ميادين التفكير والتعقل يتطلب أن لا يعمل العقل على منوال واحد، بل أن يفكر في كل مسألة وموضوع، بل أن يفكر في المسألة الواحدة من زوايا مختلفة، وفي كل زاوية بطريقة خاصة بها.

٢. التشجيع والحثّ على التعقل في الميادين المختلفة إنما يكون ذا معنى ومفيداً إذا كانت هناك ثقة بمنجزات العقل البشري، وهو ما يستلزم العمل بها، وإلا فإنّ هذا الحثّ والتأكيد سيكون بلا ثمرة؛ يقول تعالى: ﴿أَتَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[١]، ويقول: ﴿وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ وَٱلسَّحَابِ ٱلْمُسَخَّرِ بَيْنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[٢]، ويقول: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[٣]، ومن الآيات الكريمة التي ذكرت ومن مثيلاتها الكثيرات الموجودات في القرآن الكريم تفهم بشكل جيد سعة دائرة العقل وتنوعها.

الصورة الثالثة: من الطبيعي أنّ كلّ ظاهرة تتحول إلى حالة صنمية فإنها لن تستمر ولن تكون مؤثرة؛ لأنّ صنميتها تحولها إلى ظاهرة ساكنة وراكدة. والعقل البشري ليس خارجاً عن هذه المعادلة، ولهذا فإنه وفي أيّ وقت يتحول فيه العقل إلى ما يشبه الصنم والأحفور فإنه سيتبدل إلى ضده، وتتهيأ مقدمات موته.

(١) سورة البقرة، الآية: ٤٤.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٦٤.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

وعصر المعلومات والاتصالات وبعد التأثير الواسع والشامل الذي فرضته تكنولوجيا الاتصال الجماعي والتكنولوجيا الحيوية و... على فكر الإنسان ومنهجه فإنه لا يتلاءم أبداً مع التوقف والصنمية؛ لأنّ هذا العصر من حيث البنية وآليات العمل هو عصر منتج للعقل الجمعي أو مقوٍّ له، وظهور العقل الجمعي يعني أن العقل البشري عملية ديناميكية قابلة للنقد والتوسُّع والتكامل مع كونه محدوداً في الوقت نفسه. ومن الطبيعي أنّ كلّ حضارة لا تعتني بهذه الخصوصية لن تصل في هذا العصر إلى أيّ مكان، والنصّ التالي يكشف سرّ الترقي والديناميكية في هذا العصر حيث يقول:

«... **من قبيل الراديو، والتلفزيون، والعديد من وسائل الإعلام الأخرى التي تضخ كمّاً هائلاً من المعلومات في المجتمع، والتي تؤدّي في الواقع إلى تنشيط الذهن وتكون كالطاقة بالنسبة له...، وبعضهم من قبيل: الفنانين، والمصممين، وجميع المبدعين في المجتمع يستلهمون من هذا النشاط ويبدعون، وتتبلور إبداعاتهم بصور مختلفة**»[1].

والإسلام الذي يعطي الحضارة الإسلامية شكلها قد خالف صنمية العقل الإنساني وتحجره أكثر بكثير من مخالفة عصر المعلومات والاتصالات لها، وببيان الإسلام الأشكال المختلفة للعقل، والمنفصلة عن بعضها فهو يعتبر العقل البشري عنصراً حال التطور، قابلاً للنقد والتوسّع والخطأ، كما أنه يقبل الحدّ في الوقت نفسه؛ فالإمام علي عليه السلام يتحدث عن عدم قبول عملية تطور المعرفة البشرية للانتهاء وذلك من خلال هذه العبارة الجميلة حيث يقول: «**من ادعى من العلم غايته فقد أظهر من جهله نهايته**»[2]، وهذا الكلام يثبت قبول العقل البشري

(١) پزوهش وسنجش، العدد ٨، ص ٢٦ ـ ٢٧، العام ١٣٧٥ هـ ش، المقالة: «فرهنك توسعه وارتباطات جمعى»، الدكتور علي أسدي.

(٢) غرر الحكم، ج٢، ص٢٤٣، رقم ١٥٤٠.

للنقد، مضافاً إلى قابليته للتكامل أيضاً؛ لأن التكامل لا يحصل دون المرور بالنقد، فبعد النقد وتشذيب الزوائد ينضج العقل وينمو ويتكامل.

ويعتبر نشر المعرفة والعلم والمعلومات ـ وهو ما أوجد حقوقاً من قبيل: حقّ الإنتاج، والنشر، والحصول على المعلومات ـ من عناصر مجتمع المعلوماتية، ويمكن فهم هذا العنصر من الكلام الراقي للإمام علي عليه السلام الذي يقول فيه: «**شكر العالم على علمه أن يبذله لمن يستحقه**»[1]، واللطيف في هذا الكلام أنه يرى العلم من قبيل أي حقّ من الحقوق قابلاً للتوزيع والاستفادة منه، فللجميع الحقّ في تبادل المعرفة، والتعلم والتعليم، ولهذا فإنّ من الضروريّ العمل والسعي الدوليّ؛ لإيجاد وبناء نظام حقوقي دوليّ ينتج هذا الحق الإنساني بعدالة. وفي كلام الإمام علي عليه السلام أيضاً ما يبيّن العقل البشري بأقسامه الواسعة مثل: العقل التجريبي، والعلمي، والأداتي، والفلسفي، والديني، ويوضح في الوقت نفسه العقل التجريبي بطريقة خاصّة، حيث يقول: «**العقل الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان**»[2]. ومن كلامه في العقل التجريبي والاستنتاج غير القياسي قوله: «**ليس للعاقل أن يكون شاخصاً إلا في ثلاث: مرّمة لمعاش، أو خطوة في معاد، أو لذة في غير محرَّم**»[3]، ومن كلماته في العقل الديني والعقل العلمي قوله: «**العقل حفظ التجارب**»[4]، وقوله «**العقل غريزة تربيها التجارب**»[5].

وعلى هذا الأساس فإنّ الحضارة الإسلامية وبقبولها الوحدة والاتساق وإنتاج مكونات عصر المعلومات والاتصالات في داخلها فإنها ستكون في عصر المعلومات والاتصالات حضارة مؤثرة وديناميكية.

(١) بحار الأنوار، العلامة المجلسي، ج٢، ص٨١؛ مستدرك نهج البلاغة، ص ١٧٨.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢، ص ٣٣١.
(٣) نهج البلاغة، الحكمة: ٣٩٠.
(٤) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج١٦، ص١٠٢؛ دستور معالم الحكم، ص ١٦.
(٥) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٢٠، ص ٣٤١.

الأمر الثاني

إن تكثر الحق والحقيقة واختلافَهما ـ لا بمعنى نسبية الحقيقة ـ هو العنصر الآخر من عناصر عصر المعلومات والاتصالات. وهذا الاختلاف حاصل بفعل تكنولوجيا الاتصالات المتطورة وتبادل المعلومات الذي يحصل عبرها، من خلال: الصحون اللاقطة، والشبكة العنكبوتية، والحواسيب التي لها - مضافاً إلى وظيفة الحساب - وظيفة إنتاجية وخدمية في الساحات الصناعية والمعرفية، والتلفزيونات الإلكترونية و... . ولا مفرّ من هذا الاختلاف والتكثر؛ لأنّ التكنولوجيا المذكورة تجعل الأفكار المختلفة، والمناهج، والقيم، والثقافات المتعددة في مقابل بعضها في فضاء واحد وبيئة كذلك، ومن الطبيعي حينئذٍ أن تخلق هذه المواجهة تحديات مستعصية.

والطريقة الوحيدة للحؤول دون حصول ذلك هي قبول اختلاف الحقّ والحقيقة وتكثرهما. وليس ذلك مشروعاً قصير الأمد وعابراً، بل هو حقيقة على مستوى نظرية المعرفة والرؤية الكونية؛ لأن لهذا الاختلاف والتعدد جذوراً فيهما، وهما ينبعان منهما. وبهذا يمكن أن تولد حضارة في هذا الجوّ وهذه البيئة وتقدم معطياتها وتنشر العنصر المذكور وتنميه. وقد عاشت مناهج وأفكار ومعتقدات مختلفة في الحضارة الإسلامية ولسنوات متمادية في إطار نظام نشط، ولم يكن هذا الأمر ليحصل إلا في ظل مباني الإسلام في معرفة الإنسان والرؤية الكونية.

هذا، وقد وقع الحديث في الإسلام عن الحقائق المعرفية والمنهجية والوجودية إلى جانب الحديث عن الحقّ الواحد والكامل والنهائي وفي ظلّه؛ يقول القرآن الكريم: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾[1]، ففي هذه الآية الشريفة ذُكر «**الله**» على أنه الحقّ الأعلى والحقيقة

(١) سورة لقمان، الآية: ٣٠.

المطلقة، وبالتالي فإنّ أية حقيقة تُعتبر أعلى منه وأكمل سواء أكانت على صورة المعبود أم غيره فهي ليست شيئاً سوى الباطل.

وهذا الكلام لا يعني نفي تعدد الحقّ وكثرته في مراتب وميادين أخرى؛ لأنه قد وردت في القرآن الكريم أمور مختلفة، مثل: القول الحق، والعمل الحق، والمنهج والطريق الحق، والخلقة الحقة، والعذاب الحقّ، والقتل الحقّ، ....، والملكية، والرئاسة، والقوة، والفكر، و...، ويقوم التعدد والاختلاف المذكور على مبنيين أكد القرآن الكريم عليهما كثيراً، وهما:

١. **الرؤية الكونية** «Ontological».

٢. **نظرية المعرفة** «Epistemological».

فالرؤية الكونية الحقّ ومعرفة الحقيقة في مدرسة القرآن والإسلام تقودنا إلى الحقوق الكثيرة والمختلفة؛ لأنّ الإسلام قد تحدّث عنها؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ﴾[١]، ويقول: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾[٢]، ويقول: ﴿كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ﴾[٣]، ويقول: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[٤]، ويقول: ﴿إن كثيرا من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل﴾[٥]، ويقول: ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[٦]. وقد اعتبر القرآن الكريم في الآيتين الأخيرتين المنهج الذي استخدمه بعضهم لتحصيل المال وتوسعة المعيشة الدنيوية باطلاً. ومن الطبيعيّ أنه يعتبر منهج إعمار الحياة الدنيوية

(١) سورة النور، الآية: ٢٥.
(٢) سورة ق، الآية: ٤٢.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٨٦.
(٤) سورة الروم، الآية: ٨.
(٥) سورة التوبة، الآية: ٣٤.
(٦) سورة هود، الآية: ١٦.

وتنميتها الذي يتمتع بالاستقرار والنتائج المنطقية والعملية والدينية حقّاً.

وحاصل نظرية المعرفة التي اهتمّ القرآن الكريم بها هو تعددية الحقّ وكثرته، إذ قد وردت في القرآن الكريم مناهج مختلفة، وأسباب كثيرة للمعرفة، والتي يلزم منها قبول الحقوق المتعددة والمختلفة، فالمنهج الحسي ـ التجريبي الذي يستعمل في البحث والمعرفة يثبت وبشكل طبيعي حقائق ووقائع تتطابق مع الحسّ والظاهر، أمّا منهج القياس الاستنتاجي والاستدلال البرهاني فإنه يفترض الظواهر العقلية ويبيّنها، وطريق الشهود والتلقّي الداخلي يثبت حقائق من سنخه أيضاً. وليس من المنطقي أن تستعمل مدرسة واحدة مناهج مختلفة للمعرفة، وأن تحثَّ الناس على فهمها والعمل بها، ثم لا تعترف بالحقائق والوقائع المختلفة والمتكثرة.

هذا، وقد أكد القرآن الكريم كثيراً على إنتاج مناهج مختلفة للمعرفة وسبل العيش. ومن الطبيعيّ أن يكون ما ينتج من العمل بها والاستفادة منها، وهو الحقائق والوقائع المختلفة في الميادين المتعددة للحياة، مقبولاً من جانبه ومرضياً. وهذا لا يعني بالطبع قبول جميع النتائج الحاصلة منها على الرغم من قبول الوقائع والحقائق المختلفة، وإلا فلا بدَّ حينئذٍ من الاعتراف بوقوع التناقض في القرآن الكريم، والحال أنَّ ساحته المقدسة منزّهة بالنصّ الصريح عن ذلك.

ومن هنا فإن القرآن الكريم، وإلى جنب المناهج الحسية ـ التجريبية، والعقلية، والشهودية يعترف بحقائق من سنخ كلٍّ منها؛ يقول تعالى: ﴿وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ﴾[1]، فهذه الآية الكريمة تفيد أنه يتعرف على المنافقين من خلال الظواهر الفيزيائية التي تظهر على وجوههم ومن خلال الكلام، ويقول: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ

(١) سورة محمد، الآية: ٣٠.

﴿أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾[1]، حيث بيّنت هذه الآية كيفية التعرف على الفقر ـ الذي يشكّل ظاهرة فيزيائية ـ عن طريق التغيّرات الكيفية والكمية الفيزيائية الظاهرة على وجه الشخص الفقير بل المجتمع الفقير، ويقول أيضاً: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾[2].

ويُستفاد من هذه الآية الكريمة:

١. وجوب النظر إلى الدنيا وكيفية خلقها وعملها.

٢. عدم كون النظر مشاهدة سطحية، بل شموله للكثير من المناهج المعرفية «**المنهج الفلسفي، والفني، والعلمي، والتقني، و...**»، ولهذه المناهج مخرجات حول الدنيا حتماً.

٣. التأكيد على التعرف على كيفية الخلق وعمل أجزاء نظام الدنيا، والمنهجُ الوحيد القادر على سبر هذا الغور بشكل جيد هو المنهج العلمي بالمعنى المعاصر، وقد قدَّم هذا المنهج إلى الآن إنجازات، وقوانين، ونظريّات، ومن حيث المجموع فقد قدّم حقائق مختلفة وكثيرة حول آلية الخلق وعمل النجوم والكواكب والدنيا.

ويقول تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾[3]، ويُستفاد من هذه الآية الكريمة:

١. أنّ المعاملات والعلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية والاجتماعية والأنظمة الناتجة منها والتي ظهرت على طول الحياة الاجتماعية للبشر هي محل للبحث بوصفها مصدراً للمعرفة.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٧٣.
(٢) سورة ق، الآية: ٦.
(٣) سورة الحج، الآية: ٤٦.

٢. يحتاج البحث في هذه الأمور إلى منهجين هامين على الأقلّ، هما:

. المنهج العقلي.

. المنهج التجريبي. الحسي.

٣. يحقّق هذان المنهجان من مناهج البحث مجموعة من الحقائق المختلفة في الساحات المذكورة، وأهمّ دليل على ذلك وضع القوانين والقواعد المختلفة الحاكمة على طريقة تغيّر «**التطوّر . التخلف**» الحياة والتاريخ والمجتمعات البشرية، وما أفرزته من أمور ثقافية وحضارية والتي لا يمكن اعتبارها باطلة بأجمعها.

وقد اتضح ممّا ذُكر حتى الآن أنّ المجتمع الإسلامي متعدد البيان والمنهج، وليس ذا بيان واحد ومنهج كذلك، وهذه الحقيقة متبلورة بشكل كامل في سيرة الأئمة وأقوالهم، وهو ما يعبِّر عنه أُسوةُ العلم والقيم عليُّ بن أبي طالب عليه السلام حيث يقول: «**فلا تكلموني بما تكلم به الجبابرة، ولا تتحفظوا مني بما يُتَحفَّظ به عند أهل البادرة، ولا تخالطوني بالمصانعة**»[1].

وعلى هذا الإساس فإنّ المجتمع الإنساني يقترب من المجتمع الإنساني الإسلامي بمقدار تطوره، ويُظهر تأثير الحضارة الإسلامية الأصيلة بشكل أكبر.

وهنا أرى لزاماً عليّ أن أذكر بأن ليس نتيجة القول بتكثر الحقّ والحقيقة واختلافهما وفق المبنيين المذكورين قبولَ المذهب النسبي أو النسبية المطلقة، بل لا يُراد منه ذلك، والكلام في هذا المجال كثير، يجب التعرُّض إليه في فرصة أخرى.

(١) نهج البلاغة، الخطبة: ٢١٤.

المكوّن الثالث: ترشيد الطاقات

يُطلَق ترشيد الطاقات على عملية معرفة الطاقات والقدرات والموارد «**البشرية وغير البشرية**»، وتنميتها، والاستفادة الفضلى منها. ومن الطبيعي أنَّ تحقَّقَ هذه الأمور تابعٌ لسلسلة من التغيّرات من قبيل: الظروف الاقتصادية، والعلمية، والنفسية، و....

ومن هنا فلا بدَّ من وجود مكوِّنات وآليات خاصة في المجتمعات المختلفة، والمراحل المتعددة لتطور الحياة البشرية كي يتحقق ذلك. ولا يخفى أن التنبه لهذه الأمور يُعتبر في حد ذاته من المسائل القيّمة جدّاً في عملية ترشيد الطاقات.

وقد عُرف هذا العنصر الثالث في عصر المعلومات ـ والاتصالات بوصفه من المكونات المفتاحية. ويكمن الدليل على ذلك في تحوّل الأمور إلى آلية وميكانيكية، وظهور صيغ جديدة اقتصادية، واجتماعية، وثقافية، وإدارية، و... ناشئة من التغيّرات الحاصلة في هيكل المجتمع وبناه التحتية، والتي تؤدي إلى استبدال مكوّنات طبقات اجتماعية وعناصرها وإنتاج أخرى، من قبيل: تبدل مناصب السياسيين والرأسماليين إلى مدراء وتقنيين وعلماء، وهو ما يؤدي إلى تبدل المعرفة ـ العلم، والمعلومات، والتقنيات ـ إلى أداة لإنتاج المجتمع وبناه التحتية.

وعلى هذا الأساس فإنّ سرعة إنتاج المنتجات الثقافية والاقتصادية والسياسية والعلمية التقنية ومقداره مرتفعان، ومتنوّعان، وقابلان للزيادة، والمناهج القابلة للتغير والتجديد متعددة وكذلك الأفكار هي بدورها متعددة أيضاً. ولا شك في أنّ تنظيم جميع هذه الطاقات والقوى الجديدة والمتغيّرة والاستفادة منها بشكل أفضل هو أمر صعب، لكنه حيوي في الوقت نفسه.

وفي عصر كهذا إنما يمكن للحضارة الإسلامية أن تكون حاضرة في ساحة

العمل والتنظيم المؤثر فيما إذا نجحت في ترشيد الطاقات بالمعنى المذكور. وهذا النجاح مرهون بآليات معينة، من جملتها:

١. السرعة والمنافسة

وهما من مميزات العصر الحديث، ومن سمات السرعة والمنافسة ارتكازهما على العلم والتكنولوجيا. ولكي تتمكن الحضارة الإسلامية من المشاركة في المنافسة والازدهار يجب أن تنعش بنيان المنافسة البناءة في الدائرة التي تغطيها، وتحافظ على حيويته. ويظهر حسن المنافسة في أنها تؤدّي إلى الشراكة أولاً، وتبدّل الطاقات الكامنة والقدرات على مستوى واسع إلى طاقة «**محركة . ناقلة**» وحرارة ودوافع ثانياً. والناتج الطبيعي لهذه العملية هو التنمية الشاملة وتأمين الحاجات وهو المصداق الواضح لترشيد الطاقة.

وقد جعل الإسلام إلى جنب مبدأي المنافسة والسبق خصوصيّتاهما أي «**المنطقية**» و«**البنّائية**»، وبهذا تحصل السرعة مع كمال الرضا، وهذان الوصفان مطلوبان إلى درجة أنّ المنافسة بدونهما لن تكون سوى شيءٍ قبيحٍ وهدَّام، ولهذا السبب ففي كلّ مورد ذُكرت فيه المنافسة رافقتها هاتان الخصوصيتان؛ ففي قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾[١] أمر الله بالسبق في الخير، كما منع عن استعمال الألفاظ القبيحة في مواجهة الكافرين؛ حيث يقول: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾[٢]، ودل قوله تعالى: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾[٣] على انفتاح عملية الحوار والتي لازمها عرض الأفكار والمناهج المخالفة والموافقة، ومن ثَمَّ انتخاب الفكر البرهاني من بينها، وكلُّ هذه الأدلة تحكي عن إنسان منطقي ومنافسة

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٨.
(٢) سورة الأنعام، الآية: ١٠٨.
(٣) سورة الزمر، الآية: ١٧ – ١٨

بنّاءة، وهما من التوابع المفقودة أو الضعيفة والغريبة ـ بالمعنى الحقيقي للكلمة ـ في الواقع الخارجي لعصر المعلومات والاتصالات.

وكذلك فإنّ الآيتين الكريمتين: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[1] و﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾[2] تعتبران السرعة في توجيه المنافسة ممّا يتناسب مع الوقت الحاضر. وعلى هذا، فالمنافسة السريعة والبنّاءة لها منبع إسلامي تصدر عنه، وهي تُعتبر حاجة حيوية للتقدم في عصر المعلومات.

٢. التوازن

والمراد بالتوازن أن تكون الآليات الحاكمة في حياة البشر متناسقة، ومتكافئة، ومحققة للإنتاج والتنمية والتطوُّر. ومن الطبيعي أنه وبعد تحقق التوازن في المكونات والعناصر الحياتية يحصل التعادل، وهو بنفسه يشكل أرضية لسلام دائم وأمن شامل. وما دام التعادل غير حاصل فلن يتحقق الأمن الشامل والتنمية الإنسانية التي تتطلب الاستفادة الفضلى من جميع الطاقات والقدرات وتنميتها.

وبناءً على هذا، فإنّ إيجاد التوازن يمثّل أهم آليات تأثير الحضارة الإسلامية، بل أية حضارة أخرى. وهو يتمتَّع بمكانة عالية، إلا أنّ من المؤسف أنّ كلاً من الحضارة الإسلامية الحاضرة والحضارة الغربية هما عرضة للضرر في هذا المجال. والأدلة العلمية ـ المنطقية والتاريخية تؤكد وتثبت أنّ التنمية غير المتوازنة تقلل من ميزان التأثير، لا سيما في الظروف التي تعمل فيها الجهود الفكرية والتقنية، بل حتى الاعتقادية والدينية، على شكل نظام كما هو الحال في عصر المعلومات ـ والاتصالات.

وفي هذه الحالة وحيث إنّ هناك ترابطاً وظيفيّاً وحيويّاً بين جميع طبقات النظام وأجزائه وعناصره، وكفاءته واستمراره منوطان بعمل أجزائه المتعادل

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٣٣.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦١.

والمكمّل لبعضه والمتناسق، وخراب أي جزء منه أو مكوّن يعطّل النظام بأكمله، فمن الطبيعي أن يكون التأثير مرهوناً بأداء النظام، وأن يحيا النظام ويتنامى بانسجام أجزائه فقط.

وعلى هذا الأساس، فإنّ التأثير يحتاج بشدة إلى التوازن. إلا أنّ التجربة التاريخية حاكية عن أنّ الحضارة الصناعية قد تطورت بشكل جيد على المستوى المادي والعمل الإنتاجي، أمّا على المستوى الخدمي والمعنوي بمعناه الشامل فإنّ تطورها غير مرضٍ. وبالضبط فإنّ عدم التوازن هذا قد أصبح اليوم لِبنة للحضارة ما بعد الصناعية والثقافة الحديثة، وهذه الحضارة تريد اليوم أن تسير نحو إيجاد هذا التوازن الذي من نتائجه الاستفادة التامة والكاملة من العلم.

هذا، وفي الإسلام قوانين عملية قيّمة إذا عُمل بها ووُجدت في جسد المجتمع وروحه فإنّ من شأنها أن تمنع من التطور غير الموزون للحضارة الإسلامية؛ يقول الله تعالى: ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ﴾[1]، وقد ورد في آية شريفة أخرى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ ۚ﴾[2]، ونقل أبو البختري عن النبيّ الأكرم ﷺ أنه دعا الله قائلاً: «**بارك لنا في الخبز ولا تفرق بيننا وبينه فلولا الخبز ما صلينا ولا صمنا ولا أدينا فرائض ربنا**»[3]، ونقل أيضاً عنه أنه قال: «**إن قامت القيامة وفي يد أحدكم فسيلة**[4] **فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[5]، ونقل عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «**اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً واعمل لآخرتك كأنك**

(١) سورة القصص، الآية: ٧٧.
(٢) سورة الأعراف،الآية: ٣٢.
(٣) فروع الكافي، ج٥، ص٧٣.
(٤) صغار النخل.
(٥) البركة في فضل السعي والحركة، الوصابي الجشي، ص١٦.

تموت غداً»[1]، وعن الإمام الباقر عليه السلام أنه قال: «**إني لأبغض الرجل. أو أبغض للرجل. أن يكون كسلانَ عن أمر دنياه، ومن كسل عن أمر دنياه فهو عن أمر آخرته أكسل**»[2]، والحاصل من هذه الآيات والروايات عدة نقاط أساس وحساسة جدّاً، وهي:

١. **الحركة أساس الحياة.**

٢. **تسير الحركة الهادفة والمنظمة من الدنيا إلى الآخرة.**

٣. **إنما تحصل الآخرة العامرة في ظل الدنيا العامرة والمليئة بالحركة والسعي.**

٤. **الدنيا العامرة مرهونة بالتنمية الإنسانية، والتطور السياسي، والقانوني، والاقتصادي، والثقافي، والصحي، والخدمي، والعلمي، والتقني، والديني، والأخلاقي للمجتمع البشري.**

وعلى هذا الأساس فإن التنمية المتوازنة لأجزاء الحياة البشرية هي أسّ تأثير الحضارة الإسلامية ومن أهمّ وظائفها. وبالتنبّه إلى الأرضيات الواضحة في المجتمعات الإسلامية وعصر المعلومات والاتصالات فإنّ من الضروري القيام بالتطوير والتنمية المتوازنين في المجالات التالية من أجل إيجاد تأثير للحضارة الإسلامية وبناء طاقاتها:

ألف: الاستثمار وبناء الطاقات في البلدان الإسلامية وذلك في مجالين حيويين:

١. إيجاد البنى التحتية المطلوبة من «**العلم، والإدارة، والتجهيزات، والأجواء النفسية. الاعتقادية**» ونشرها من أجل إنتاج القطعات وزيادتها الكمية والكيفية.

(١) وسائل الشيعة، الحر العاملي، ج١٧، ص٧٦.
(٢) فروع الكافي، ج٥، ص٨٥.

٢. تنوع البرامج الثقافية وعرضها في وقتها، وزيادة كفاءات العرض من خلال نماذج وفنون مختلفة.

والعلاقة اليوم بين البرامج والقطعات معقدة ومترابطة إلى درجة أنه لا فائدة من أحدها بدون الآخر. ولهذا السبب كلّما كانت الحضارة قوية من حيث البرامج الثقافية، إلا أنها وفي المقابل تقبع في أدنى الضعف والسبات في مجال القطعات فإنها ستكون في مجتمع المعلوماتية والمجتمع الآلي والأتوماتيكي المعاصر مكشوفة وغير قادرة على الدفاع. وتخلف أكثر الدول الإسلامية وتأثرها في مقابل الثقافة الغربية الهجومية ناشئ عن الضعف في هذا المجال، فعلى سبيل المثال إن «**الأسوشيتدبرس**» بوصفها مركزاً للأخبار في أمريكا تمتلك القدرة على بثّ ٩٠٠٠٠ كلمة في اليوم إلى الدول الآسيوية، وهي تقوم بذلك في كل يوم، في حين أنّ جميع الدول الآسيوية وللأسف تبثّ إلى أمريكا ١٩٠٠٠ كلمة في اليوم فقط، وعدم التكافُؤ في تبادل الرسائل المصورة هو بهذا المعدل أيضاً بل أكثر.

ب: إيجاد علاقات ومنهجيات متناسقة بين الحقّ في الحصول على المعلومات ـ والاتصالات والربط بينها وبين الحقّ في إنتاج كلّ منها وتوزيعه وترويجه عبر طرق مختلفة.

وبعبارة أخرى: إيجاد الأرضية الحقوقية والقانونية والهيكلية لهذه العملية عن طريق تشييد نظام يتيح لجميع أفراد المجتمع البشري الحقّ في الحصول على مصادر أنظمة المعلومات والاتصالات من القنوات التلفزيونية، والحاسوب، والشبكة العنكبوتية، والصحون اللاقطة، والصحف، والمنتديات، والجامعات، والمساجد، و... من أجل إنتاج رسائل مختلفة ونشرها، كما لهم الحقّ في الحصول على أصل المعلومات والتواصل مع بعضهم، وإلا ففي غير هذه الصورة سيحكم الاستبداد الفكري والمنهجي، وهو أُمّ الاستعمار والارتهان الفردي ـ الاجتماعي في الميادين الثقافية، والسياسية، والاقتصادية، والمعرفية، والدينية، و... وعلى

مختلف المستويات الصغيرة والكبيرة، وحينئذٍ لن يتحقق السلم والأمن الشامل والعدالة الاجتماعية والتنمية البشرية على الساحة الدولية، والذي يُعتبر أساس تطور البشر، ومن أهمّ أهداف الأديان التوحيدية.

ومن هنا فإنّ الحضارة الإسلامية يجب أن تحافظ في مقام العمل على المعادلة المذكورة قائمة؛ لتتمكن البشرية من تذوّق طعم السلم، والعدالة، والتنمية البشرية، والأمن العالمي، لا سيما وأنّ هذه الاستراتيجية قد أكدّ النص الديني عليها؛ حيث يقول تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾[1]، ويقول الإمام علي عليه السلام: «**ما أخذ الله على أهل الجهل أن يتعلّموا حتى أخذ على أهل العلم أن يعلّموا**»[2].

ج: إنّ الإنتاج التقني الإلكتروني وتطوره، وتكنولوجيا الفضاء في عصر المعلومات قد جعلا ارتباط الناس ببعضهم وعلاقاتهم في قوالب وآليات صوتية ومرئية ورمزية في الغالب وبدلاهما إلى ذلك. وفي المقابل فإنّ عملية التواصل المباشر وجهاً لوجه والتعامل كذلك قد سلكت سيراً انحداريّاً، والاستمرار على هذا المنوال سيؤدي إلى ضعف التبادلات المفتوحة، وهو ما ينتج آثاراً مخربة على صعيد التعليم، والأخلاق، والقضايا العاطفية، والوظائف الاجتماعية، و... .

ومن هنا فإنّ خبراء علوم الاتصالات، وعلماء الانثروبولوجيا «**الأنسنة**»، وعلماء النفس، وعلماء الاجتماع مهما رأوا أنّ الارتباطات والعلاقات الصوتية والمرئية مفيدة وعملية، إلا أنهم يعتقدون أيضا بعدم ترتب الآثار البناءة للعلاقات والتعاملات المباشرة وجهاً لوجه على هذا النوع من العلاقات، لا سيما في المجالات الاجتماعية. وبناءً عليه فهم يعتبرون أنّ المحافظة على التعاملات

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٨٧.
(٢) نهج البلاغة، الكلمات القصار، ص٤٧٨.

المباشرة والعلنية إلى جنب التعاملات الرمزية ـ المرئية أمر حيوي ومكمل.

ومن هنا فإنّ إيجاد التناغم بين نوعي التعاملات والارتباطات المذكورين والمحافظة عليهما من خلال الحضارة الإسلامية يفتح آفاقاً منيرة جدّاً وشاهقة أمام الإسلام في هذا العصر. وهو ما يمكن للإسلام تحقيقه عن طريق بعض الأخلاق والسنن والقوانين الاجتماعية ـ العائلية، والشعائر والمراسم الدينية التي لها وظيفة اجتماعية ـ سياسية، وترتبط بشكل أكبر بعملية التعامل والارتباط العلني وجهاً لوجه من قبيل صلاة الجمعة، وصلوات الأعياد، وصلاة الجماعة، والحجّ، و....

٣. تقديم رسالة أصيلة وعملية

يعتقد علماء الاجتماع، والفلاسفة، وعلماء الدين، واستراتيجيو العلاقات والسياسة الدولية أنّ مستقبل العالم يتوقف على شكل العلاقات بين الحضارات الكبرى والروابط بينها على الرغم من عدم وجود تناغم بينها على هذا الصعيد، واعتقاد العديد منهم أنّ علاقات مليئة بالتصادم والتشنج ستحكمها في المستقبل، خلافاً لمن تفاءل وذهب إلى القول بحسن العلاقات بينها. ولكنّ الفريقين يتفقان على أنّ السلم، والعدالة، والحقوق البشرية، والأمن العالمي مما ينتج من التعاون بينها فقط؛ يقول هانتينك‌تون: «**يشكّل صراع الحضارات أكبر خطر يهدد السلم العالمي، والنظام العالمي المبتني على الحضارات هو أكثر الطرق اطمينانا لمواجهة الحرب العالمية**»[١].

فالحضارات التي يتوقف مستقبل العالم على شكل العلاقات والتعاملات بينها هي ثماني حضارات كبرى أو تسع لا أكثر، ويشكل الدين الركن الوثيق لأكثر هذه الحضارات الموجودة، لا سيما الإسلام الذي يشكل أساس الحضارة الإسلامية

(١) برخورد تمدن ها وباسازى نظم جهانى، ساموئل. پى. هانتينكتون، ترجمة: محمد علي حميد رفيعي، ص٥١٦.

ودعامتها، وفي النتيجة يمكن القول إنّ للأديان دوراً كبيراً في آلية التشكلات الاقتصادية، والثقافية، والسياسية، والاجتماعية، والعلمية، و... في مستقبل العالم.

ومن الطبيعي أنّ الدين الذي يمكنه أن يعمل كطاقة محركة في هذا العصر المليء بالتوقعات، والاعتقادات، والمناهج، والطافح بالاختلافات، والأفكار المزيفة، والمعاملات والمنافسات الساعية للتفوّق، والمعرّض للتغيير، والتجديد، عصر السرعة، وخلق الأزمات؛ والدين الذي يمكنه أن يستفيد بشكل كامل من جميع الطاقات والقدرات من أجل الوصول إلى الهدف هو الدين الذي تصبّ رسالته وتعاليمه وأوامره في سبيل التنمية البشرية، والحرية، ورفض الاستبداد واستعمار الإنسان، وطرد التحجر، والاحتكار، والصنمية، وإنتاج نظام مفتوح وجماعي باعث على الترقي، وفي النهاية قابل للوحدة والعبادة التوحيدية؛ لأنّ هذه الأمور مقبولة، ولها فائدة عامة في كل زمان ومكان وثقافة. ومن حسن الحظّ فإنّ جميع هذه الأمور قد جمعت في رسالة الإسلام؛ يقول تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

٤. **التخطيط الممنهج** «System Approach»

مضافاً إلى ما تقدم من أن الحياة البشرية على جميع أنحاء الكرة الأرضية مترابطة بشكل وثيق في عصر المعلومات ـ والاتصالات فإنّ مفردات هذه الحياة ومناهج ثباتها واستمرارها متعددة جدّاً وواسعة، وبالتالي فإنّ الحياة لن تدور على محور واحد. ولهذا فإنّ إدارة هذه المفردات واتساقها يتمتع بأهمية حيوية ليس على مستوى دولة فحسبُ، بل على مستوى العالم. وبناءً عليه مهما نظم بلد

(١) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

ما مفردات حياته بشكل جيد، فما دامت تلك المفردات غير منظمة على المستوى العالمي فإنّ إدارتها لن تكون مجدية على مستوى ذلك البلد.

ولهذا فإنّ المناهج الإدارية السلوكية، والتنفيذية «Administrative»، والبيروقراطية المعاصرة «Bureaucracy»، والإدارة بالوساطة «Management Intermediation»، بل حتى إدارة الطوارئ «Contingency Approach» والتي لها تأثير في الغالب في إطار ضيق من قبيل: الشركات الاقتصادية وغيرها لا تفي بهذا الغرض المهمّ. وعليه فمن الضروري انتخاب منهج إدراي يكون مؤثراً في حشد الطاقات على المستوى الدولي في عصر كهذا.

وأفضل منهج إداري في عصر كهذا هو «**إدارة التخطيط الممنهج**» أو «**النظام الموجّه**» والذي يعمل كنظام مفتوح وشامل. وهذا المنهج - مضافاً إلى تمكّنه من إنتاج المنافسة والسعي للتفوّق، وتناسق الرسالة وتعادلها - فإنّ الأهمّ من ذلك كله أنه قادر على إيجاد التناسق والترابط، والاستمرارية، وتحكيم المنافسة البناءة وتثبيتها، والتعادل والتوازن، وجعلها عملية، وقابلة للتنفيذ بقوة وثبات. وأهم أجزاء هذه الآلية الإدارية هي:

١. **المدخلات:** وهي أولى مراحل الإدارة، وتعني إدخال جميع المعطيات والمعلومات المعرفية، والتقنية، والمنهجية، والقيمية، و... إلى النظام؛ ليتأمن جوّ من المنافسة، والتفوق البنّاء، بمساهمة جميع العناصر الحيوية من قبيل: رأس المال، والمواد الأوّلية، والتخصّص، والتكنولوجيا، والقوى العاملة، والثقافات المختلفة، و....

٢. **العلميّات:** وهي المرحلة التي تعالج فيها مدخلات النظام من أجل إحداث حركة نحو الهدف، وفي هذه المحطة بالضبط يولد التنسيق بين الأقسام المختلفة من الثقافة، والدين، والدنيا، والسياسة، والمعيشة، والخدمات، والصحة، والعلم، والتكنولوجيا، والسنن والأخلاق.

٣. **المخرجات:** وهي المرحلة التي ينشر النظام فيها أموراً حوله، وتبدأ عملية الاستمرار والثبات، وتقوية المنافسة، وإيجاد التوازن والتعادل، وتكافؤ الرسالة أيضاً.

٤. **التغذية الراجعة:** وهي المرحلة التي تضبط فيها المراحل السابقة، وتحصل فيها مراجعة نسبة انحراف منتجات الآليات المعتمدة في هذا المنهج الإداري عن الأهداف والمباني المحددة مسبَّقاً. ولهذا لا بدّ وأن تكون عملية التقييم مستمرّة. وفي النتيجة يبدأ تطوّر هذا المنهج ويستحكم.

ومن الطبيعي أن هذا المنهج الإداري سيكون ناجحاً جدّاً في حشد الطاقات بالمعنى المذكور، وهو ما يؤدّي قهراً إلى جعل الحضارة التي تعتمده مؤثرة. ومما تقدّم إلى الآن يمكن استنتاج أنّ للحضارة الإسلامية وبالنظر إلى مبادئها الأساس قدرة فائقة وقابلية لتنمية مبادئ التأثير وآلياته الأساس مضافاً إلى التفاصيل الأخرى التي ذُكرت.

على أمل ذلك اليوم الذي تهيّئ فيه الحضارة الإسلامية للبشرية مجتمعاً متطوِّراً، ومرفّهاً، ومتديناً، وباحثاً عن الله، ومحبّاً للإنسان، وهادئاً.

الإسلام والبيئة

الطبيعة أمُّ الإنسان. والإنسان لا يجد طمأنينته إلا في أحضان الطبيعة، ففيها ينمو ويصل إلى كماله.والعالم من دون الطبيعة، كالطبيعة الغارقة دائماً في فصل الخريف الذابل والمكتئب، بوجهه المُحْنَقِ والعاري.

ولا تستقيم ولا ترتقي أيّ حضارة من دون الطبيعة، إذا ظهرت الحضارة في ظلّ الطبيعة إلا أنّها ابتعدت عنها في استمرار حياتها فسيكون مصدرها سيئاً. ولقد تفتّحت وازدهرت الحضارة الغربية ووصلت إلى ما وصلت إليه من التكنولوجيا في أحضان الطبيعة، ولكن للأسف بدلاً من أن تستخدم ما أخذته من الطبيعة وتقنياتها الحديثة ليكونا في خدمة الطبيعة والسعي في المحافظة عليها بشكلٍ دقيق وعلمي، توجّهت هذه الحضارة للسيطرة على الطبيعة والتسلط عليها، وعدّت تلك الغلبة والسيطرة مفخرةً من مفاخرها وفصلت الإنسان عن حضن أمّه الحنون وألقت به في أزمةٍ صعبة طاحنة وجعلت حياته في مهبّ الرياح، وخلقت له أزمة البيئة، وأغرقت العالم في حزنٍ عميق، وأنزلت به بلاءً لا مثيل له منذ بدء الخليقة ولغاية الآن، بحيث إنّه لم يفعل ذلك أيّ شعبٍ متوحشٍ جامحٍ لم يعرف لا الثقافة ولا الحضارة.

وليس مبالغاً ما قاله العالمون وأصحاب النظرة الحادّة، حيث إنّهم سمّوا الحركة المدمرة للحضارة الغربية الجارية في الغابات والجبال والمياه والسهول الخضراء والصحاري بـ «**الفيضان**» الذي يجرف البشر اليوم نحو مستنقعٍ عميقٍ

ومرعب، حيث لا يُرى فيه أيّ نافذة حياةٍ أو خلاصٍ[١].

إنّ الكارثة لعميقة جداً. إذ قام الإنسان المعاصر بالقضاء على مستقبل البشر وتعلّق بحضارةٍ وتماشى معها، أو حريٌّ بنا القول جعلوه يضطر للتماشي معها بحيث إنّه يصل بنفسه وبيديه إلى ما أشار إليه روجيه غارودي، المفكّر الفرنسي البارز والناقد النافذ البصيرة:

«إذا استمرينا بهذه الطريقة في الحياة في غضون الثلاثين سنة القادمة، بنفس المنوال الذي عشناه في الثلاثين سنة الماضية، سوف نقوم بقتل أحفادنا»[٢].

ولن يُبقي جشع الإنسان المعاصر وإقباله على الاستهلاك الكبير شيئاً من الطبيعة بحيث تستطيع الأجيال القادمة أن تستمر في العيش في أحضانها وجنباتها. وبناءً للإحصاءات المنتشرة في السنوات الأخيرة:

- إنّ استهلاك الفحم الحجري في السنوات الثلاثين الأخيرة يوازي نصف ما تمّ استهلاكه في الثمانمائة سنة السابقة[٣].
- إنّ نصف ما استهلكه الإنسان من النفط منذ بدء اكتشافه واستخراجه، قد حرقه فقط في السنوات العشر الأخيرة[٤].

وتمّ قطع واستهلاك ثلث أشجار الغابات منذ العام [٥]١٩٥٢، وفي السبعين سنة الأخيرة، قضت الزراعات الجديدة على نصف الأتربة الخصبة في ثلاثة أرباع الأراضي الزراعية[٦].

(١) هشدار به زندكان، روجيه كارودى، ترجمة علي أكبر كسمائي/٢٥، هاشمي، تهران.
(٢) ن.م، ٢٤.
(٣) ن.م، ٣٤.
(٤) ن.م.
(٥) ن.م،٣٥.
(٦) ن.م، ٣٦.

فقد اختلّ تعادل دورة الحياة والطبيعة (النظام البيئي):»النفايات أمثال.... النايلون، لا يمكن تصفيتها وامتصاصها ضمن دورة الحياة الطبيعية على الإطلاق وحتى إنّ بعضها يلوّث مراكز الحياة الأولية بشكلٍ قاتل، ومن المتعذّر معالجة ذلك وهي تعرّض بقاء البشر لأخطارٍ حتمية»[1].

لقد وضع هذا الجشع المُدهش جميع زوايا الحياة البشرية في مهبّ العاصفة. وقد ظهر تدمير الطبيعة والقضاء على تعادلها وتوازنها على جسم الإنسان وفكره وثقافته أيضاً، وهذا الأمر غير محدودٍ بمنطقةٍ خاصة أو مهد حضارةٍ جديدة، بل إنّه بلاءٌ عمّ الدنيا كلّها وأوقعها في حبائله:

«اليوم، ظهرت بشكلٍ واضح النتائج والآثار السلبية للتصنيع على البيئة وخاصةً على الحياة الدينية والنسيج الاجتماعي حيث أوجدت الاضطرابات الثقافية والنفسية للبشر..... ويمكن مشاهدة شيء من هذه الاختلالات والمشاكل في المدن الإسلامية الكبيرة التي نجحت نوعاً ما في مجال التصنيع.»[2]

وقد بذل الواعون والمطّلعون الذين رأوا الأرض وما عليها على شفير الهاوية، جهداً واسعاً وأدخلوا قضية «**المحافظة على البيئة**» إلى مرحلةٍ جديدة.

في بداية السبعينيات، قام احد أهم رؤساء الصناعة في إيطاليا بجمع أكثر من مئة شخصية من كبار العلماء وأصحاب الرأي في العالم كي يقدّموا تقريراً حول ما سيؤول إليه العالم في نهاية القرن العشرين،وعلى هذا الأساس، تمّ تأسيس هيئة من أصحاب الرأي أُطلق عليها «**نادي روما**».

عملوا في هذا النادي على دراسة تغيّرات العالم في السنوات الأخيرة من القرن العشرين، وعدّوا أهم خمسة تغيّرات ستحصل في العقود الثلاثة الأخيرة من القرن المذكور وعرضوها على بساط البحث:

(١) توسعه ومباني تمدن غرب، الشهيد آويني/٧، ساقي، طهران.

(٢) جوان مسلمان ودنياي متجدد غرب، دكتور حسين نصر، ترجمة مرتضى اسعدي، ص١٨٤.

١. زيادة عدد السكان.

٢. المصادر الطبيعية.

٣. الغذاء والمحاصيل الزراعية.

٤. المنتجات الصناعية.

٥. تلوّث البيئة[١].

واليوم، في ظلّ الظلمة التي أحاطت بالعالم، لا يزال هناك بارقة أملٍ في عالم الغرب الصناعي. فقد نشأت في قلب العالم الصناعي انتفاضةٌ جديدة للحدّ من الآثار المدمرة للتكنولوجيا وآثارها المخربة:

«**لقد تمّ تنظيم هذه الانتفاضة الجديدة لأجل حماية التعادل والتوازن البيئي (الإيكولوجي) بين الإنسان وبيئته: ليتمّ احترام الأراضي، الأشجار، الأنهار والبحيرات التي ماتت على أيدي البشر بسبب التلوّث، وليتمّ حماية البحار والمحيطات والأجواء... فالأرض والماء والسماء وكل الطبيعة، وديعةٌ إلهية سُلّمت إلى الإنسان وأوجِدت للاستفادة منها بشكلٍ متوازن؛ انطلاقاً من ذلك، الإنسان هو المسؤول عن حفظ الطبيعة**»[٢].

يعتبر الإنسان الواعي المعاصر نفسه خاسراً. فهو لا يرى أنّ جسمه في معرض التهديد فحسب، بل إنّ معنويته وروحه ونفسه في معرض التحلل أيضاً؛ وهو لا يجد مفرّاً من هذه المخاوف والإضطرابات التي أحاطت بحياته والآن هو قلقٌ على نفسه وقلقٌ على مستقبله ومستقبل أبنائه. وليس صدفةً توجّه الإنسان المعاصر نحو المعنويات التي نُحيّت جانباً لسنواتٍ عديدة[٣].

(١) جهان امروز وفردا، علي اكبر كسمائي، ص٣٢٧، مؤسسة اطلاعات، طهران.
(٢) نياز به علم مقدس، الدكتور حسين نصر، ترجمة حسن ميانداري، ص٢٠٤، مؤسسة فرهنكى طه، طهران.
(٣) جوان مسلمان ودنياي متجدد، ص٢٠٨.

وها هو اليأس مثل الكابوس المرعب يقضُّ مضاجع الإنسان الغربي. ويشكّ الذين يعرفون الصناعة والتكنولوجيا ومطلعون على آثار ذلك وعلى علمٍ بزوايا الكارثة جيداً، يشكّون في أن يستطيع الإنسان التخلص من هذا الوادي المميت المرعب.[1] أدّى هذا القلق والمخاوف والإهتمام إلى بدء حركةٍ جديدة في الغرب ضد تلوّثات المعامل الصناعية و... . وما هو بارز ومهم ومحلّ بحث ودراسة في هذه الحركة، التوجه الحاصل نحو الثقافات الشرقية.

يحاول موجدو هذه الحركة تجنّب الآثار الكريهة للصناعة الغربية من خلال اللجوء إلى الثقافات الشرقية. ففي هذه البرهة من الزمن، والتي ضاق البشر بها ذرعاً من تلوث البيئة ويسعى جاهداً في التفتيش عن مهربٍ من ذلك، ومتوسلاً حضناً حنوناً يلجأ إليه من عنف التكنولوجيا. من المناسب أن يكتب العلماء حول ذلك، ليعيدوا عرض وجهة نظر الإسلام ويُطلّوا على التجارب الماضية، خصوصاً في العصر الذهبي للحضارة الإسلامية، لعلّ ذلك يكون مفيداً في تخليص البشر من هذه الحيرة والدوامة التي ابتلوا بها.سنحاول في هذا المقال التقدّم خطوة صغيرة إلى الأمام، والكشف عن بعض زوايا رؤية الإسلام إلى البيئة بمقدار ما يسمح لنا المجال.

الطبيعة من وجهَتَيْ نظر

من الواضح أنّ التعرّف على الحضارات مرتبطٌ بمعرفة نوع نظرتها ورؤيتها إلى مجموعة الطبيعة وتفسيرها حول اتصال الإنسان بطبيعة الحضارة المادية. وللحضارة الغربية التي تمثّل وترمز اليوم إلى الحضارة المادية، نظرتها وموقفها من الطبيعة، كما أنّ للحضارة المعنوية والماوراء مادية والتي كان الإسلام في الماضي مظهراً ورمزاً لها، نظرةً وموقفاً أيضاً من الطبيعة.

(١) نياز به علم مقدس، ص١٣٩.

الإنسان في الحضارة الغربية مطلقٌ ومنفصلٌ عن السماء. وتعتبر الأرض وثرواتها الكامنة فيها محوراً وأساساً في هذه الحضارة. وتسعى الحضارة الغربية المادية جاهدةً في السيطرة على الطبيعة وأن تجعل الإنسان يهيمن عليها بكلّ ما أوتي من قوة واستثمارها بمقدار ما يستطيع. قد ظهرت في مقابل هذه النظرة المنقطعة عن السماء، مدارس ومذاهب منها مدرسة أصالة الحضارة والمنفعة.

ولكن النظرة والموقف من الطبيعة واتصال الإنسان بالطبيعة في الحضارة الإسلامية، مختلفةٌ وعلى منوالٍ آخر.

أ - **الخلافة:** الإنسان من وجهة نظر الرؤية الإلهية والإسلامية هو خليفة الله على الأرض. وكما أوجد الله الأرض بكلّ حنانٍ ولطف، وحافظ عليها من الآفات وأنزل عليها مطر رحمته وأحبّ الطبيعة، يجب على الإنسان أن يكون كذلك وأن يُكرّمها بكلّ محبة وأن لا يستخدمها بنحوٍ يُوصل إليها الضرر والفساد.في هذه الرؤية، تتصل الأرض بالسماء، وتُلقي الأرض على نفسها خِلعةً سماوية. ويعتبر العمل والكدح على هذه الأرض المتصلة بالسماء والمدّثرة بدثارٍ سماوي، عبادة ونوعاً من العبودية لله. وترتبط هذه العبودية بالخلافة. فالإنسان هو عبدٌ لله ومنقادٌ له، وفي الأرض خليفته. وإذا خرج هذا الخليفة عن مدار الطاعة والإنقياد، يصبح متحرراً من القيود ويشدّ عزيمته في القضاء على الطبيعة. لهذا السبب، جعل الإسلام عبودية الله ركناً لحركة الإنسان. لذا، الإنسان خليفة الله هو عبدٌ ومطيعٌ ومنقادٌ، وليس حاكماً مطلق العنان ومسلطاً على الطبيعة.إذن، لقد جعل الله الإنسان خليفته لإدارة الأرض، إذ يقول عزّ وجلّ لملائكته: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ....﴾[1] ويخاطب الإنسان قائلاً: ﴿

(١) سورة البقرة، الآية ٣٠.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ...﴾[1]

وقد وجّه الله سبحانه هذه الخلافة عبر عبادته والإنقياد لأوامره وأحكامه: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ...﴾[2]

إنّ الإرتباط بين الخلافة والعبودية وتأثيرهما المتبادل واقعٌ حقيقي، ويشكّل ذلك أساس الحضارة الإسلامية؛ لأنّ الإنسان من وجهة نظر هذه الرؤية الكونية، حاملٌ للأمانة ويجب أن يجعل كلّ شيءٍ في الإتجاه الذي يريده صاحب الوجود والطبيعة، أمانةً من صاحب الوجود وضعها بين يدي الإنسان وعليه أنّ يستخدمها ويحافظ عليها حسبما يريده صاحب هذه الأمانة.

وتعتبر الطبيعة في هذه النظرة آيةً وعلامة لإرشاد الإنسان نحو الجمال والكمال المطلق[3]. انطلاقاً من ذلك، لا يحق لأيّ صاحب عقل وشعور في هذه النظرة أن يعزم على تدمير هذه الآية وأن يمنع نفسه من الوصول إلى الكمال المطلق.

وفي هذه الرؤية أيضاً، تعتبر جميع الظواهر والمخلوقات والكائنات، أجزاءً مكمّلة ومرتبطة ببعضها بعضاً. وهي تقوم جميعها بوظيفتها بشكلٍ منسجم ومتناغم في ظلّ حقيقة العبودية والإنقياد وتمهّد الأرضية لعبودية الإنسان بإخلاص.

ولا يوجد أيّ ظاهرةٍ أو حركةٍ أو جهدٍ من وجهة نظر هذه الرؤية خارج مجال قدرة وإشراف الله تعالى: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطًا﴾[4]

وعندما ينقاد الإنسان لله سبحانه، يسلّم للعبودية لله وسيُعدّه محيطاً بكلّ شيء، وبالتالي لن يوجِد أيّ اختلالٍ واضطرابٍ في نطاق سلطانه الذي تعتبر الطبيعة جزءاً منه، ويستسلم للنظام والقانون الحاكم على الطبيعة ولا يتجاوزه. ويرى

(١) سورة الأنعام، الآية ١٦٥.
(٢) سورة الحديد، الآية ٧.
(٣) سورة فصلت، الآية ٥٣.
(٤) سورة النساء، الآية ١٢٦.

الإنسان حينئذٍ الشرق والغرب من الله عزّ وجلّ وملكاً له ويعتقد بأنّ كل ما تقع عليه عيناه، من الله وإلى الله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ ...﴾[1]

على هذا الأساس، لا يخرج أيّ شيءٍ من حيطة قدرة الله، والإنسان هو عبدٌ ومخلوق وواقعٌ تحت إشراف الله ورعايته ويجب أن يستطيع القيام بما يتناسب وعبوديته لله وأن يستثمر الطبيعة بما يتلاءم وعبوديته. وإذا تجاوز ذلك فقد خان الأمانة وعصى أمر الحقّ وابتلي بمعصية الإسراف والتبذير.

إذا خَطَا الإنسان قُدماً متوجّهاً إلى منزلته ومكانته في الأرض والتزم بالعبودية ونظر إلى الأرض كمهدٍ للحياة السليمة وقام بالأعمال الصالحة وجعلها شعاراً في حياته، عندها يستحقّ أن يشمله وعد الله تعالى بخلافته في الأرض: «وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ ...»[2].

فإذ لم يكن بين الخلافة والعبودية اتصالٌ وارتباطٌ وثيقٌ وقوي، سوف تغرق الطبيعة في دوامة الفناء:

«لا يوجد شيء أخطر على الطبيعة من إعمال السلطة في مقام الخلافة على المجتمع البشري حيث تنتفي هنا عبودية إله ويخرج الإنسان عن طاعة أوامره. تعتبر الشريعة الإلهية، بصراحة، أنّ تكليف الإنسان المتديّن يشتمل النظام والبيئة الطبيعية أيضاً. إذ إنّ الإنسان غير مكلّف بإطعام الفقير فحسب، بل مكلّفٌ أيضاً بعدم تلويث المياه الجارية. ليس المطلوب من وجهة النظر الإلهية الإحسان للوالدين فقط، بل المطلوب زرع الأشجار والتعاطي المناسب مع الحيوانات أيضاً»[3].

(١) سورة البقرة، الآية ١١٥.
(٢) سورة النور، الآية ٥٥.
(٣) نياز به علم مقدس، ص٢٢١.

فالإنسان المسلم هو الذي يستلهم الوحي ويعظّم ارتباطه بملكوت عالم الوجود، في نفس الوقت الذي يعيش في عالم المُلك ويتجنّب أذية الحيوانات والنظر إليها نظرة دونية وتدمير الطبيعة بل يعتبر المحافظة على الطبيعة والظواهر النامية في أحضانها تكليفه الديني والإسلامي.

ويذكر الإمام علي عليه السلام هذا الرابط والإتصال بين الإنسان والطبيعة بشكلٍ جميل: «**اتقوا الله في عباده وبلاده فإنّكم مسؤولون عن البقاع والبهائم**»[1].

لا يجوز للمسلم أن يكون حرّاً ومن دون قيود في تصرّفه بالطبيعة واستخدامه لها. ولا يحقّ له أن يكرّم نفسه عن طريق تدمير الطبيعة والظواهر الطبيعية ونهبها. بل هو مكلّف رعاية حقوق الله، وحقوق جميع المخلوقات صغيرةً كانت أم كبيرة. فهو لا يتمتّع بالحرية المطلقة في أن يحصل على كلّ شيءٍ لنفسه وأن لا يفكر سوى في حقوقه وأن يعتبر نفسه غير مدينٍ لأحد أو لأيّ شيء.

«**انطلاقاً من أنّ مقام الإنسان في العالم الإسلامي التقليدي لم يكن مطلقاً، لذلك لم تكن حقوق الإنسان مطلقة أبداً على حساب النسيان الكامل لحقوق الله وسائر مخلوقاته. والإنسان الحداثوي والغربي، بخلاف المسلم التقليدي... لا يرى نفسه مديناً لأحدٍ أو لشيءْ. حتى إنّه لا يشعر بالمسؤولية قِبال موجودٍ آخر، ما وراء الإنسان. في المقابل، كان المسلم التقليدي، أو الإنسان المسلم، يعيش دائماً واعياً لحقوق الله وحقوق الآخرين بما في ذلك العالم غير الإنساني أيضاً. فهو يبقى على وعيٍ تام بمسؤوليته أمام الله وكذلك أمام مخلوقاته**»[2].

(١) نهج البلاغة، صبحي صالح، ترجمة سيد جعفر شهيدي، الخطبة ١٦٧، ص١٧٤، آموزش انقلاب اسلامي، طهران.

(٢) نياز به علم مقدس، ص٢٢٦.

ب- **الإستعمار**: هناك علاقة خاصة بين الإنسان والطبيعة من وجهة النظر الإسلامية. فالإنسان قد خُلق من التراب ويجب أن يحافظ على حرمتها كالأم، ولا يجوز له ظلمها وإلّا سيكون عاقاً للأرض. ويكون تكريم الأرض بإعمارها ومنع القضاء عليها: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا ....﴾[1] يشير القرآن الكريم إلى أنّ إعمار الأرض يقع على عاتق الإنسان، وهو من عليه المحافظة على محلّ نموه والإمتناع عن خرابه.والمقصود من مفهوم الإستعمار (بعكس المفهوم السلبي السائد حالياً) في القرآن، الإعمار. ويضع اللغويون الإعمار في النقطة المقابلة لكلمة التدمير والتخريب. يقول الراغب في المفردات: «**العمارة نقيض الخراب**»[2].

يعتبر الإمام علي عليه السلام في عهده التاريخي والمهم لمالك الأشتر، أنّ من واجبه إعمار المدن التي تقع ضمن نطاق سلطته[3]. ويُستفاد من الكثير من الموارد التي ذُكرت في المصادر الإسلامية حول هذا الموضوع ولا يتسع المجال للإشارة إليها هنا، فالإسلام يستثمر الطبيعة والظواهر الطبيعية في بناء حضارته على أساس المعايير الصحيحة والإنسانية، ويخالف أيّ حضارةٍ قامت على أساس تخريب الطبيعة.

ج. **ترويض الطبيعة**: تكررت في القرآن عبارةُ «**تسخير**» عدة مراتٍ وهي تشير إلى كيفية تعاطي وتعامل الإنسان المسلم مع الطبيعة. وتحمل هذه العبارة والعبارات المرادفة لها والمشتركة في مادتها مثل «**المسخّر**» و... رسالةً بناءة وتُظهر نظرة الإسلام إلى الطبيعة.

ويقول الشهيد مرتضى مطهري في هذا المجال:

«لقد تكررت هاتان الكلمتان في القرآن الكريم مراراً. وتتضمن مفهومي «الترويض(التسخير)» و«الإنقياد (المُسخّر)». وقد ذُكر في القرآن تسخير

(١) سورة هود، الآية ٦١.
(٢) المفردات في غريب القرآن، راغب الأصفهاني، عبارة «عَمَر».
(٣) نهج البلاغة، الرسالة٥٣.

القمر، الشمس، الليل والنهار، البحار، الأنهار، الجبال (للنبي داوود عليه السلام) والرياح (للنبي سليمان عليه السلام) وكل ما في الأرض (لأجل الإنسان). ومن البديهي أنّ المقصود في كل هذه الموارد أنّ هذه الأمور خُلقت بنحوٍ تكون فيه تحت سيطرة الإنسان ومحلّ استخدام واستثمار الإنسان. وقد تحدّثت كل هذه الآيات حول كون الأشياء مسخّرة للإنسان، وليس كون الإنسان مسخّراً للأشياء...»[1].

ورغم أنّ القرآن الكريم قد اعتبر الطبيعة مسخّرةً للإنسان بحيث يستطيع استثمارها كيفما يشاء. إلاّ أنّه يجب أن يجعل ذاك الإستثمار في سبيل كسب كمال ورشد ونمو قيمه الإنسانية، لذا وجّه هذا التحذير بأنّ «**التسخير**» غير «**التخريب والتدمير**».

ولا يجب بذريعة الإستثمار القضاء على الطبيعة وتدميرها. بل يجب استثمارها بطريقةٍ تضمن نشاط وحيوية استمرارية الحياة للأجيال القادمة. وإنّ أي نوعٍ من الإستغلال العشوائي وغير الصحيح، فهو ظلمٌ للطبيعة:

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزْقًا لَّكُمْ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْفُلْكَ لِتَجْرِىَ فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلْأَنْهَٰرَ ﴿٣٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ دَآئِبَيْنِ ۖ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ﴿٣٣﴾ وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ ۚ وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾[2].

تشير الجملة الأخيرة من الآية الشريفة إلى إستثمار البشر للنِّعم الطبيعية بشكلٍ غير صحيح. وعلى أساس هذه الآية الشريفة، الظالم والكافر هو الإنسان الذي لا يشكر النعمة ويقضي على كلّ ما سخّره الله للإنسان ووضعه بين يديه.

يعتبر تلويث مياه البحار، واستخدامها بطريقةٍ غير صحيحة وغير عاقلة،

(١) مجموعة آثار الشهيد مطهري، ج٢، ص١١٥، صدرا، طهران.
(٢) سورة إبراهيم، الآيات ٣٢ - ٣٤.

وإهدار الطاقة وتلويث البيئة بالملوّثات المختلفة و.... ابتعاد عن الله والشريعة الإلهية المقدسة وإقبال نحو الشيطان.

تعتبر ثقافة الإسلام الحضارية الطبيعةَ مهداً لكمال ورشد ورقي الإنسان[١]؛ انطلاقاً من ذلك تعادي هذه الثقافة كلّ من يسعر النار في هذا المهد ويجعله غير آمن لكمال ورقي ورشد الإنسان وتعدّه في زمرة الظالمين والعاصين وغير الشكورين الذين سوف يتذوقون العذاب الإلهي الشديد.

ولم يُلق نظام الطبيعية عبثاً. فالسحاب والرياح والقمر والشمس والأفلاك....، كلّها تتحرك كي يصل الإنسان إلى رشده وكماله المادي والمعنوي وكي يكسب دنياه وآخرته بالتمام والكمال.

ويقول الإمام الصادق عليه السلام للمفضل بن عمر:

«فإنّك إن تأملت العالم بفكرك وميّزته بعقلك وجدته كالبيت المبنيّ المعدّ فيه جميع ما يحتاج إليه عباده. فالسماء مرفوعة كالسقف والأرض ممدودة كالبساط، والنجوم منضودة كالمصابيح، والجواهر مخزونة كالذخائر وكلّ شيءٍ فيها لشأنه معدٌّ، والإنسان كالمُملّك ذلك البيت والمخوّل جميع ما فيه وضروب النبات مهيأة لمآربه وصنوف الحيوان مصروفة في مصالحه ومنافعه...»[٢]

إنّ بيتاً فخماً كهذا، قد اشتمل على كلّ شيءٍ بما يتناسب مع مصلحة البشر، يجب أن يعيش تحت سقفه المزيّن بالمصابيح الجميلة والمتلألئة في سكينةٍ واطمئنان، والإستفادة من متاعه المتنوع في سبيل رقيه ورشده.

د. المحافظة على الطبيعة: إنّ الله هو الحفيظ. ومن وجهة نظر الرؤية الكونية الإسلامية، يقع كلّ الوجود ضمن مجال «**حفظ**» الله تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ﴾[٣]

(١) سورة النبأ، الآية ٦.
(٢) بحار الأنوار، محمد باقر المجلسي، ج٣، ص١١٥، مؤسسة الوفاء، بيروت.
(٣) سورة هود، الآية ٥٧.

ويجب على الإنسان المسلم أن يُزيّن نفسه بهذه الصفة الحسنة، وأنّ يستظلّ بظلّها في كلّ لحظات حياته، وأن يكون حفيظًا في أيّ نطاقٍ ومجالٍ كان وحافظاً للأمانات والنِعم والمنافع العامة والبيئة الإنسانية.

وتشمل كلمة «**الحفيظ**» على كلّ نوعٍ من الحفظ والصيانة[١]، وتضمّ دائرة الحفيظ أيضاً منع الإبتذال والإتلاف والتدمير[٢]. وأن يكون الإنسان حفيظاً، فهذا يصون المجتمع من البلاءات والآفات. وقد اعتبر النبي يوسف عليه السلام نفسه مؤهلاً لإدارة الأمور الإقتصادية للمجتمع المصري لأنّه كان حفيظاً وعليماً، ورأى في نفسه القدرة على إنقاذ مصر من القحط والمصائب القادمة؛ لذلك عندما طلب عزيز مصر منه أنّ يؤدّي دوراً في الإدارة الإجتماعية، اقترح عليه النبي يوسف عليه السلام: ﴿اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ ۖ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾[٣].

واعتبر النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الأرضَ أمّ الإنسان الذي يجب أن يقوم بحفظها لأنّها هي من يقدّم له عصارة روحها حتى يبقى حيّاً ويسكنه كمهدٍ في جنباتها بطمأنينة ويطعمه من موائدها لتنمي جسمه. وبناءً لقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فإنّ الأرض فضلاً عن أنّها أمٌ، وأنّها تربّي البشر من عصارة روحها، وأنّ لها حق الأمومة على الإنسان، فإنّها تسجّل أيضاً العمل الصالح والسيِّئ في باطنها وتُخبر به: «**تحفّظوا من الأرض فإنّها أمّكم وأنّه ليس من أحدٍ عاملٍ عليها خيراً أو شراً إلا وهي مخبرةٌ به**»[٤].

إذن الأرض، في هذه النظرة المقدسة، كالأمّ وهي مقدسة لأنّها أمين الله وتُخبر بالأعمال الخيرة والشريرة.من الواضح أنّ النظرة الأمومية إلى الطبيعة، والتي علّمها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لأتباعه واعتبار نفسه ابنها ومتربيّاً في حجرها، ستؤثر بشكلٍ كبير في كيفية الإستفادة منها واستثمارها.

(١) المفردات في غريب القرآن، عبارة «حفظ».
(٢) مجمع البحرين، الطريحي، مادة «حفظ»
(٣) سورة يوسف، الآية٥٥.
(٤) نهج الفصاحة، ترجمة ابو القاسم بايندهن العدد ١١٣٠، جاويدان.

وانطلاقاً من هذه الرؤية إلى الطبيعة، يعتبر الإنسان نفسه بحاجةٍ إليها كما يحتاج الولد إلى أمّه.

وفي مقابل هذه النظرة المتعالية والمتلألئة والمقدسة، هناك نظرة الحضارة الغربية الظلامية إلى الطبيعة حيث يظهر شيء من ذلك في المقطع التالي:

«في ذلك الزمن الذي كان يعتبر فيه البشر الأرض أمّهم والسماء أباهم، كانت الأرض مسؤولةً عن تغذية أبنائها التي أولدتهم. ومنذ ذلك الوقت الذي لم يعد البشر يعتبر الأرض أمّهم، بل كامرأةٍ أسروها وغنموها في الحرب ويجب الإعتداء عليها؛ لم تعد الأرض تغذّي كلّ أولادها»[1].

لا ينحصر الإسلام والحضارة الغربية في إقليمٍ واحد. ولا يتحمل الإسلام هذه النظرة إلى الطبيعة ولا يتوافق معها ولا يستطيع أن يقبل بأنّ تقع الطبيعة، مع كل جمالها وحضنها الدافئ والحنون، أسيرةً بأيدي غير المتّقين البعيدين عن الله والتعاليم الإلهية.

«وطالما أنّ اللامتّقين هم المسيطرون على الحضارة الغربية والمهيمنون على الشرايين الإقتصادية المهمة، لا يمكن للمرء أن يأمل بطبيعةٍ سالمة لأنّه لا يمكن الوصول إلى ذلك إلاّ بالتقوى الإلهية. ولذلك يقول الإمام علي عليه السلام: «اتقوا الله في عباده وبلاده فإنّكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم»[2]

هـ. **الطهارة والنظافة:** يُفهم من تأكيد الإسلام الشديد على الطهارة والنظافة والإبتعاد عن القاذورات والنجاسات، أنّه يريد من الإنسان المسلم أنّ يحافظ على بيئته طاهرة ونظيفة ونقية من أيّ تلوثٍ وقذارة.ومن أصول دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم حليّة الأشياء الطاهرة وحُرمة الأشياء النجسة للإنسان: ﴿.... وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡخَبَٰٓئِثَ﴾[3].

(١) نياز به علم مقدس، ص١٥٤.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٦٧.
(٣) سورة الأعراف، الآية ١٥٧.

وتتصف الآية الشريفة المذكورة بالشمولية ولا يمكن تطبيقها في نطاقٍ ومعنًى خاص. فكلّ قذارة في دائرة محيط الحياة مضرةٍ لجسم الإنسان وروحه هي حرام، وكلّ شيءٍ طاهر ولا يجلب الضرر لجسم الإنسان وروحه فهو حلال.

ويحصّن هذا الأصل الخالد بيئة الإنسان المسلم من أيّ نوعٍ من التلوّث. وهذا ما هو مشهودٌ عليه طوال تاريخ المسلمين. فقد كان المسلمون يتمتّعون في كل مراحل تاريخهم المشرق وفي لحظات حياة حضارتهم المتلألئة، ببيئةٍ سالمة.

نرى اليوم التلوّث موجود في بيئة المسلمين، وذلك لابتعادهم عن تعاليم الإسلام وعدم الإصغاء لها.

وقد وقعت البلاد الإسلامية في مصيدة الحضارة الغربية الملوِّثة ولا مفرّ لهم للتخلّص منها سوى العودة إلى تعاليم الإسلام الأصيلة وإحياء الطهارة والنظافة في بيئتهم وتجنّب كلّ ما يلوّث الأرض.

يستطيع الإنسان المسلم من خلال التعاليم الخالدة التي وضعها القرآن والرسول ﷺ بين يديه، وعبر بذل الجهد والتمسّك والإلتزام بهذه التعاليم، بناءَ حضارةٍ طاهرة ونظيفة وتقديم سبيل الخروج من هذه المضيقة الصعبة والضبابية للعالم.

ومن الجدير هنا عرض لمحةٍ عن تعاليم ومعارف الإسلام حول الطهارة والنظافة، كي نوضّح وجهة نظر الإسلام إلى البيئة.

ولا يكتفي الإسلام بتعليم أتباعه، القضايا العقائدية والعبادية الكلية، بل يمضي معهم خطوة خطوة، ويقدّم لهم برنامجاً سواءً في حياتهم الشخصية أم الحياة الإجتماعية. وقد وجهت هذه البرامج التي وضعها الإسلام بين يدي الإنسان المسلم لإدارة حياته الفردية والإجتماعية، إلى مسائل صغيرة ودقيقة وإلى مسائل وقضايا كبيرة أيضاً.

على الإنسان المسلم أن يطابق بين مختلف نواحي حياته مع أوامر وأحكام

الإسلام المشرقة حتى يصبح لائقاً في أن يكون بمصافّ الإنسان الكامل والمسلم.

كان يعيش في المدينة المنورة عددٌ من اليهود، ولم يكونوا يراعون النظافة الشخصية والأسرية ولا يحافظون على نظافة بيوتهم، وكانوا يضعون النفايات والنجاسات أمام منازلهم.

وكان النبيﷺ يدعو المسلمين إلى الطهارة والنظافة وكان يبعدهم عن القاذورات والنجاسات والتمثّل باليهود: «**إنّ الله تعالى طيّبٌ يحبّ الطيب ونظيف، يحبّ النظافة ... فنظّفوا أفنيتكم ولا تشبّهوا باليهود**»[1]

وقد جاء في التعاليم الإسلامية حول الجنة أنّه: «**ليس للرجس سبيل إلى الجنة، لا محلَّ إلا للطهارة والنظافة هناك. فالجنة محلّ المطهرين ولا يتحدّثون ولا يفكّرون ولا يأكلون الا نقاءً وطهارة.ولا يُرى في الجنة رجسٌ، ويتمتع الجميع بهواءٍ ومحيطٍ معافى**».

ويجب أن تكون حياة المجتمع الإسلامي حياة أهل الجنة، وأن يبتعد عن كلّ أنواع الملوّثات، ولذلك يجب على الإنسان المسلم الذي يتمنى أن يكون من أهل الجنة، أن يبتعد عن الملوثات والخبائث.

ويقول النبي الأكرم ﷺ في هذا المجال: «**إنّ الإسلام نظيف، فتنظّفوا فإنّه لا يدخل الجنة الّا نظيف**»[2].

ويقوم أساس المجتمع المنشود والحضارة الدينية المتلألئة على النظافة والطهارة، وهو يدعو أتباعه دائماً إلى التمسك بهما.

وهذا ما أشار إليه النبيﷺ في قوله: «**فتنظّفوا بكل ما استطعتم فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافة**»[3].

(١) نهج الفصاحة، العدد٧٠٣.
(٢) ن.م.، العدد ٦١٢
(٣) ن.م.، العدد ١١٨٢

إذن، عدّ الإسلامُ النظافة من الإيمان.[١]

واعتبر نبي الإسلام محمد ﷺ الإنسانَ القذرَ والمتسخَ بعيداً عن محبة الله: «**إنّ الله يبغض الوسَخ والشّعث**»[٢].

وكما أشرنا سابقاً فإنَّ النبي ﷺ تعرض للحديث حول أدق المسائل والقضايا الصحية التي يجب على الإنسان المسلم أن يطبّقها جميعها في حياته الشخصية والإجتماعية وذلك بهدف بناء مجتمع سليم وبيئة نظيفة وطاهرة[٣].

«**اغسلوا ثيابكم وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزيّنوا وتنظّفوا فإنّ بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم**»[٤]

و. **الرائحة الزكية واستخدام العطر**: أوصى الإسلام مراراً باستخدام العطر والروائح الزكية. وكان النبي ﷺ يستخدم العطر كثيراً وكان يحب أن يستخدم المسلمون العطور ويحضّهم على تعطير الجسم. فالله خالق الجمال، ويحب الجمال.

والإنسان هو خليفة الله في الأرض، لذا يجب أن يكون مظهراً للجمال والطهارة والنقاء.

فخالق الجمال يريد من أشرف مخلوقاته أن يزيّن ويرتّب نفسه وأن يستثمر جمال عالم الخِلقة في الخير والإحسان:

﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ٣١ قُلۡ مَنۡ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِيٓ أَخۡرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزۡقِۚ﴾[٥].

(١) ن.م.، العدد١٣٦١.
(٢) ن.م.، العدد ٧٤١.
(٣) ن.م.، العدد ١٤٥٦.
(٤) ن.م.، العدد٣٧٧.
(٥) سورة الاعراف، الآية ٣١ – ٣٢.

يُستفاد من الآية والروايات السابقة الذكر مسائل عديدة تبيّن نظرة الإسلام إلى البيئة:

١. يؤكد الإسلام على الترتيب والجمال والزينة الظاهرية ويوصي أتباعه بارتداء الثياب النظيفة وتقصير الشعر وتمشيطه، واستخدام العطور وخاصةً عند الذهاب إلى المسجد.

٢. بناءً للرؤية الإسلامية، يجب أن يكون مكان العيش والحياة نظيفاً وطاهراً، خاصةً الأماكن العامة، مثل المسجد الذي يتمتّع بأهمية كبيرة وخاصة، وتأمر الآية الشريفة التي ذكرناها الذين يريدون الصلاة وإيتاء الأعمال العبادية الأخرى في المسجد أن: يدخلوا المسجد بثيابٍ مرتبة ومزينة وجسمٍ ذي رائحة عطرة وظاهرٍ مرتبٍ والإمتناع عن الذهاب إلى المسجد بثيابٍ غير لائقة وغير جميلة وأقدامٍ غير نظيفة ووسخة وذات رائحة كريهة وأفواهٍ تفوح منها رائحة الثوم و... .[١]

٣. ويُستنبط من الآية الشريفة وكلام النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أنّه لا ينبغي اعتبار الجمال والتجمّل أمراً واحداً. ويجب وضع حدودٍ بين النظافة والثياب المرتبة وبين الإسراف والتبذير. إنّ استثمار المواهب والعطايا والنعم الإلهية والإستفادة منها جائزٌ بشرط أن لا ينجرّ ذلك إلى الإسراف والتبذير والمخملية والأرستقراطية.

وفضلاً عن الآية المذكورة والآيات الأخرى وأحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، أكد الأئمة الأطهار عليهم السلام على المسلمين استخدام العطر الزكي وتنظيف البيئة المحيطة بهم.

(١) رسالة توضيح المسائل، الإمام الخميني، المسألة ٩١٥.

عن الإمام علي عليه السلام: «نِعم الطيب المسك، خفيف محمله عطرٌ ريحه»[1].

ويقول عليه السلام أيضاً: «والطّيب نُشره»[2].

ويكتب العلامة المجلسي في معنى «**نُشرَه**»: «**نُشرَه هو ذلك الشيء المزيل للحزن. ويُقال للعطر نُشرَه من حيث إنّ استخدامه يؤدي إلى إزالة الأمراض وعدم الراحة**». [3]

ز.: لقد شجّع الإسلام على زراعة الشجر وإيجاد المساحات الخضراء بعباراتٍ وبياناتٍ متنوعة وأكد على ذلك، واعتبر قطع الأشجار حتى أثناء الحروب أمراً قبيح ومنع حصول ذلك.

والدّين الذي يمنع تدمير الأشجار والمزارع والسهول الخضراء والقضاء عليها أثناء الحرب، ويأمر مقاتليه باجتناب قطع الأشجار، يستطيع أنّ يوجّه في العصر الحالي رسالةً إلى شعوب العالم وخاصةً الدول الصناعية.

فاليوم يواجه العالم الصناعي يباس الأشجار وفقدان المساحات الخضراء وذبول الورود والنباتات وموتها. وكما أدّى تمزّق القيود في الصناعة وتحررها منها كلّها إلى سلب الأخوة والصفاء والتعاطف والمحبة والأواصر العائلية الوثيقة من الناس الصناعيين وجعلت نفوسهم مريضة ومتألمة، فقد خرّبت آخر نافذة أملٍ يعني الغابات والمساحات الخضراء والسهول والمزارع الخصبة المعالجة للآلام والطاردة للأحزان والمفعمة بالفرح، وتركت الإنسان وسط الخردة المزروعة في الأرض والدخان ومختلف التلوّثات الصناعية وحيداً فريداً، ونحن نشهد اليوم الملايين من البشر اليائسين والمنفصلين عن أسرهم والحائرين والمشرّدين والذين يعانون الكآبة والإضطراب النفسي. إنّ كلّ ما ذُكر هو جزءٌ من كارثة

(١) نهج البلاغة، الكلمات القصار، العدد٣٩٧.
(٢) ن.م.، الكلمات القصار، العدد٤٠٠.
(٣) بحار الأنوار، ج ٦٣، ص٢٩١.

إنسانية عظيمة ابتلي بها العالم الصناعي.

طبعاً، تحدّث العديد من العلماء وأصحاب الرأي في أمريكا وأوروبا وآسيا حول هذه الكارثة العظيمة. واعتبر بعضهم أنّ آفات وأضرار الصناعة أكثر من الكوارث الطبيعية.[١] على سبيل المثال، ألمانيا التي كانت الغابات والأشجار تغطي خمسة وعشرين بالمئة من مساحتها، تتعرض في السنوات الأخيرة إلى انحدارٍ تحذيري لغاباتها وأشجارها نحو الزوال[٢]، وقد كُتب في هذا المجال: لقد مات ثلث أشجار غابات ألمانيا، والنصف الآخر على مشارف الموت. بحيث إنّ ألمانيا تقع على شُرف حصول كارثةٍ بيئية تُدعى موت الأشجار.[٣]

ولكنّ الإسلام، منذ البداية، ربّى الإنسان المسلم على برنامجٍ وأحكامٍ وشريعة، لو التزم المسلم بها بدقة وتمسّك بها، ولم يلهث وراء الطمع، ذلك المرض الغربي المنتشر في البلاد الإسلامية، لما واجه المجتمع الإسلامي هذه الأزمة المخرّبة على الإطلاق، ولو جعل العالَم هذه البرامج الإسلامية دليلاً في طريقه، لما جعل مظلة الموت الأسود هذه فوق رأسه.

ويحيط الإسلام الأعمال الحسنة والصالحة بهالةٍ من التقدّس. وهو يعتبر العمل الصالح، وبذل الجهد والكدح، وإبداع الجمال والزراعة وتربية الورود والأشجار.. من العبادة أيضاً، ويحبّ من يقوم بهذه الأمور أو يصرف وقته في مثل هذه الأعمال ويمدحه.

ويقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم حول زراعة الأشجار:

«**إن قامت الساعة وفي يد أحدكم فسيلة فإن استطاع أن لا يقوم حتى يغرسها فليغرسها**»[٤].

(١) جهان امروز وفردا، ص١١٣.
(٢) ن.م.، ص٥٥.
(٣) ن.م.
(٤) نه الفصاحة، العدد ٥٦٧.

ويقول ﷺ أيضاً: «**من نصب شجرة وصبر على حفظها والقيام عليها حتى تثمر، كان له في كل شيءٍ يصاب من ثمرة صدقة عند الله**»[١].

تشير هذه الرواية فضلاً عن الإهتمام بزراعة الأشجار، إلى الإهتمام بصيانتها والمحافظة عليها أيضاً بحيث إنه لو ظلّ هذا الأمر جارياً بين المسلمين لكنّا شهدنا تجليّاتٍ جميلة للبيئة السالمة والجميلة والمفعمة بالنشاط. واعتبر الإمام الصادق عليه السلام المحافظة على الشجرة، مخلوق الله الجميل، من مسؤولية الإنسان المسلم: «**وخلق له الشجر فكلّف غرسها وسقيها والقيام عليها**»[٢]

وعُدّت زراعة الشجر في أحاديث المعصومين عليهم السلام كتلاوة القرآن وتعليمه[٣]، وطُلب من زارعي الأشجار أن يذكروا الله بألسنتهم أثناء زرعهم لها.[٤]

وتحتلّ الصدقة في الإسلام مكانة عالية، واعتبر النبي ﷺ ثمرة الزراعة والشجرة التي تُزرع صدقةً للزارع:

«**ما من مسلم يزرع زرعاً أو يغرس غرساً فيأكل منه طير أو إنسانٍ أو بهيمة إلا كان له به صدقة**»[٥].

وما تأكيد الإسلام على الزراعة وإيجاد المساحات الخضراء وزراعة الشجر وتربية الورود والنباتات، وإعطاء الأجر المعنوي للذي يعمل في الزراعة والبشرى بالثواب والجنة، إلا من منطلق أن تبقى دنيا الإنسان المسلم سعيدة ونشطة، وأن يعيش الإنسان المسلم في جوٍّ من المساحات الخضراء والأشجار بعيداً عن الكآبة والأمراض النفسية وأن يُظلل الفرح والنشاط المجتمع، مما يهيىء الأرضية لحركاتٍ عظيمة وبالتالي التخطيط لحضارةٍ سالمة ومجيدة.

(١) كنز العمال، حسام الدين الهندي، ج١٢.
(٢) بحار الأنوار، ج٣، ص٨٦.
(٣) ن.م.، ج١٠٠، ص٦٤.
(٤) الكافي، ثقة الإسلام الكليني، ج٥، ص١٦٣؛ وسائل الشيعة، ج ١٣، ص١٩٧.
(٥) فيض القدير، ج٥، ص٤٩٦.

وقد ورد في الروايات أن الخُضرة تقوي العين وتطرد الحزن.[1] هذه النظرة إلى الخضرة والجو المليء بالخضار والزرع والأشجار والنباتات التي وصلت عبر كلام النبيﷺ والدين، تجعل المسلمين يقدسون ذلك وتحثّهم على أن تكون البيئة المحيطة بهم والتي يعيشون فيها مفعمة بالحيوية وأن كلّها خضراء ومزيّنة بالنباتات والورود.

وعندما يسمع الإنسان المسلم عن نبيهﷺ بأنّ حليب البقرة دواء للآلام؛ لأنّ البقرة تتغذى على الأشجار والنباتات[2]، فذلك يحفّزه على تربية الأبقار الحلوب والاشتغال بالزراعة لتأمين طعامها والإستفادة من حليبها كغذاءٍ سالمٍ له ولأسرته، اتّباعاً منه للتعاليم الدينية.

ويسعى الإسلام من خلال برامجه وأساليبه الخاصة إلى أن يوجِد صلةً راسخة بين الإنسان والطبيعة، وذلك انطلاقاً من أنّ اتصاله بالطبيعة يجعله يتمتع بجسمٍ وعقلٍ سليمَيْن من جهةٍ، ومن جهةٍ أخرى يستطيع الإسلام عبر الناس السالمين على كافة الصعد أن ينشر رسالته في كافة أنحاء العالم، وبالتالي إيجاد مجتمعٍ نشط وحيوي وحضارة متلألئة.

وطالما لم يتصل الإنسان بالطبيعة بشكلٍ جيد، ولم يستفد من الطبيعة، التي هي أمّه، بطريقةٍ سالمة ومفيدة، لن يُدرك رسالة الدين جيداً. يعني لن يكون أُذناً لسماع الحق، ولا عيناً لرؤية الحق ولا قوةً لتمييز الحق من الباطل والصالح من الطالح.

صيانة العناصر الأربعة والمشتركات وعدم تلويثها

إنّ العناصر الأربعة وهي: الماء والهواء والتراب والشمس و... ملكٌ لكل الناس، بل ملكٌ لكل مبدعٍ، وليس من حقّ أحدٍ أن يضع يده عليها ويمنع الآخرين من

(١) نهج الفصاحة، العدد ١٤٩١.
(٢) ن.م.، العدد ١١٣٥.

الإستفادة منها أو أن يكون عائقاً أمام استثمار الآخرين لها من خلال تلويثه لها.

ويُطلق الفقهاء على العناصر المذكورة أعلاه وكذلك على الطرق والمساجد والمدارس و... مصطلح «**المشتركات**». ويقول الفقهاء في تعريفهم للمشتركات وتفاوتها عن الأنفال، ما يلي:

«**وتشمل الأنفال الأبنية والأشجار والأراضي والممتلكات المنقولة وغير المنقولة، الموضوعة في تصرف الإمام وولي أمر المسلمين، والتي يصرفها في سبيل تقوية الدين والقيم الدينية ومصلحة المجتمع الإسلامي ولا يجوز إهمالها أو تملّكها من دون إجازته**»[١]

وأمّا المشتركات فهي عبارة عن:

«**الأشياء التي لا تعتبر من الأنفال، وهي غير موجودة ضمن نطاق مالكية شخصٍ أو أشخاصٍ، مثل: ضوء الشمس، الطرق العامة، المساجد، المدارس و...**»[٢]

ويجب أن تبقى المشتركات والعناصر الأربعة دائماً متاحة للجميع وفي كل الأحوال وبشكلٍ متساوٍ، وأن يستفيد منها جميع الناس، لا أن تقتصر على عددٍ معينٍ من الأشخاص في المجتمع بحيث إنّهم يستثمرونها أكثر من غيرهم ويكونون هم أكثر الملوثين لها. وهذا الأمر ظلمٌ كبير يجب على الجميع الوقوف بوجهه وأن لا يدعوا أهم الموارد حيويةً وأكثرها حساسيةً في معرض عاصفة الطامعين الذين يسدّون الطريق أمام حياةٍ وبيئةٍ سالمة وحتى إنّهم يمنعون التنفس وشمّ الهواء الطلق والإستفادة من الماء الزلال والضوء، وهذه كلّها مشتركاتٌ بشرية وتمّت الإشارة إليها في الأحاديث المنقولة عن المعصومين عليهم السلام.[٣]

(١) جواهر الكلام، ج١٦، ص١١٦، ١٣٤

(٢) مصطلحات الفقه، علي المشكيني، ص٤٩١، نشر الهادي.

(٣) وسائل الشيعة، الشيخ الحر العاملي، ج١٧، ص٣٣١.

وكتب أحد الفقهاء:

«إنّ الهواء والتراب وضوء الشمس والمياه العامة والبيئة بشكلٍ عام، من المشتركات التي من حقّ الجميع أن يستفيدوا منها بشكلٍ صحيح ومنظم ولا يحق لأحد أن يجعل حياة الآخرين شاقة وخطيرة من خلال تلويث هذه المشتركات واستغلالها بشكلٍ سيِّئ، ويُستفاد من الأحاديث الشريفة بأنّ الجميع، يحمل مسؤولية شرعية اتجاه هذه المشتركات».[١]

ومن المصاديق والنماذج التي ذكرها الفقهاء السابقون واللاحقون تحت عنوان المشتركات، عبارة عن: الطرقات، الشوارع، المدارس، المساجد، الأوقاف العامة، الحدائق العامة، المراكز والميادين الرياضية، المرابط، المسابح والأماكن التي بُنيت وأُعدّت ليستفيد منها الجميع وليست ملكاً لأحدٍ.[٢]

واعتبر عددٌ من الفقهاء بأنّ الهواء والفضاء من الأنفال[٣]، فيما اعتبرها البعض الآخر من المشتركات[٤] ، ولكن لم يُجز كلا الطرفَيْن تلويثها واستخدامها بشكلٍ غير ملائم.

ومن وجهة نظر فقهية، إذا أضرّ بناء ناطحات السحاب والأبنية العالية بهواء وفضاء الناس، وحرمهم ذلك من الهواء الطلق، فهذا خلاف الشرع ويجب منع حصوله.

وتعتبر ثقافة استثمار العناصر الأربعة والمشتركات والإنتفاع منها وإبقاؤها نظيفة من التلوّث، من أهم ركائز التنمية المستدامة التي يتمّ التحدث حولها كثيراً في عالمنا المعاصر ويعدّونه أمراً واجباً وضرورياً.

(١) جريدة ايران، ٨٠/٣/١٣، استفتاء لآية الله لطف الله صافي الكلبايكاني.
(٢) مصطلحات الفقه، ص٤٩٢.
(٣) ن.م.
(٤) جريدة ايران، ٨٠/٣/١٣، استفتاء لآية الله لطف الله صافي الكلبايكاني.

وإذا كانت طريقة بناء الأبنية، وتنظيم المدن، وبناء المصانع ومسارات الصرف الصحي لها و... تضرّ بنحوٍ ما بالعناصر الأربعة والمشتركات البشرية، يجب منع هذه الإنشاءات وهذه الطريقة في البناء والتنظيم بناءً للشرع ودستور الجمهورية الإسلامية القائم على أساس الشرع.

«في الجمهورية الإسلامية، تُعتبر المحافظة على البيئة التي تتجه فيها الحياة الإجتماعية للجيل الحالي والأجيال اللاحقة نحو الرشد، واجباً عامّاً. وانطلاقاً من ذلك، تُمنع الأنشطة الإقتصادية وغيرها المتلازمة مع تلويث البيئة أو الإضرار بها بشكلٍ لا يمكن تعويضه».[1]

وفي نهاية هذا القسم، لا بد من ذكر عدد من الأمور التي توضح نظرة الإسلام أكثر حول المحافظة على البيئة وإجتناب تلويثها بشدة، وكذلك للإشارة إلى أنّ التعاليم الإسلامية والثقافة الدينية تعتبر بناء الحضارة الدينية وظهور المجتمع الإسلامي متلازماً وممزوجاً مع حفظ البيئة وصيانة قانون الحياة الجماعية (يعني من دون حفظ وصيانة البيئة وقوانين الحياة الجماعية لن تستطيع الحضارة القائمة بين الأمة الإسلامية أن تكون إسلامية بشكلٍ تامٍّ وكامل)، من أبرز هذه الأمور:

الف. منع تلويث الطرقات: تكشف الطرقات والشوارع ومراكز النقل العامة عن وجه الناس والنظام الحاكم والقانون السائد فيه. إذ يعكس جمال ونظافة وطهارة هذه الأماكن عن مستوى الأدب والثقافة لدى الناس وعن لياقة حكّام المجتمع، كما أنّ اتساخ وتلوّث هذه الأماكن تعكس ابتعاد الناس عن الأدب والثقافة وعدم لياقة وأهلية الحكّام والقيّمين على المجتمع.

على هذا الأساس، فقد جُعلت هذه الظاهرة ضمن جدول اعمال الإسلام واهتماماته، وتمّ التوجّه إلى هذا الأمر المهم على لسان النبيﷺ

(١) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الأصل الخمسين.

والمعصومين عليهم السلام ببياناتٍ متنوعة وحـذّروا المسلمين من توسيخ المعابر والطرقات العامة وتلويثها.

فعن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنّه قال: «**اتقوا الملاعن الثلاث: البراز في الموارد والظلّ وقارعة الطريق**»[1].

وكتب العلامة المجلسي في هذا المجال: «**إنّ امتلاك مستجمعٍ للمياه في المنزل يدلّ على تفقه وثقافة الناس المعتقدين بفكر وعقيدة التشيّع**»[2].

وهكذا منع الإسلام بطرقٍ مختلفة المسلمين عن أيّ حركةٍ تسبب الإنزجار والإشمئزاز والنفور. ولم يغفل الإسلام في هذه الحركة التربوية والإصلاحية حتى عن أكثر مسائل الحياة خفاءً وذكر مسائل حول كيفية القيام بها. ومن الأمثلة على ذلك، منع التغوّط تحت الأشجار وأمام المساجد والمعابد وبالقرب من أحواض المياه والأنهار والطرق والشوارع أو الإختفاء عن الأنظار أثناء قضاء ذلك[3] أو رمي المخاط وبزاق الفم في المعابر و....

ويبيّن كل ذلك مدى محبة الإسلام في أن تكون مدن المسلمين نظيفة وطاهرة وأُناسها أهل ثقافةٍ وأدب. وهنا نذكر نموذجاً من سيرة الإمام علي عليه السلام في تعاطيه مع الشباب الماجن والفاسق والملوّث للبيئة، حتى يتضّح أنّ من وظائف الحكومة الإسلامية مكافحة أيّ نوعٍ من تلويث البيئة بما في ذلك المجون والفحش حتى يتخلص المجتمع من التلوثات.

«**روي أن الفرات مدت على عهد علي عليه السلام فقال الناس: نخاف الغرق ، فركب وصلى على الفرات، فمر بمجلس ثقيف فغمز عليه بعض شبانهم فالتفت إليهم وقال: يا بقية ثمود يا صغار الخدود ، هل أنتم إلا طغام لئام، من لي**

(١) سنن ابن ماجة، ج١، ص ١١٩.
(٢) بحار الأنوار، ج ٧٧، ص ١٩٢.
(٣) ن.م.، ج١٠، ص ٢٤٧.

بهؤلاء الاعبد، فقال مشايخ منهم: إن هؤلاء شباب جهال فلا تأخذنا بهم واعف عنا قال: لا أعفو عنكم إلا على أن أرجع وقد هدمتم هذه المجالس، وسددتم كل كوة، وقلعتم كل ميزاب، وطممتم كل بالوعة على الطريق، فان هذا كله في طريق المسلمين، وفيه أذىً لهم»[1].

يحمل هذا المقطع من سيرة الإمام علي عليه السلام العديد من الدروس والعبر للناس كأفرادٍ وحكّام حيث يجب عليهم أنّ يتأملوا فيه ويجعلوه نموذجاً لبناء المجتمع السليم:

١. يجب تنظيف ساحة الحياة من أيّ نوعٍ من التلوّث، سواءً كان هذا التلوّث صادراً عن الشباب الماجن الذي يؤرق طمأنينة وسكينة وأمن وراحة الناس من خلال نظراته وكلامه وسلوكه غير اللائق، أو كان صادراً عن مستجمعات مياه المنازل التي توسّخ الشوارع والطرقات والمعابر والأزقة.

٢. يجب إغلاق مراكز الفساد والتلوث من دون أيّ تساهلٍ وتسامح، أو ضربها وسحقها.

٣. يجب أن يراعي البناء والهندسة المعمارية مسألة عدم توجيه مستجمعات المياه ومجاري مياه الأسطح نحو الأزقة فتؤذي الناس وتلوّث البيئة.

٤. وفضلاً عن ذلك، لا يجب أن تُفتح نوافذ البيوت نحو الأزقة مما يسبب الأذى والإزعاج للناس أو أن يضر أهل المنزل بهذه الطريقة العابرين أو الإستهزاء بهم.

٥. وفي النهاية، إنّ كلّ ما ذُكر هو من مهامّ الدولة وواجبٌ عليها أن تمنع البناء المزعج والشباب الماجن والفاسق وأيّ حركةٍ وسلوكٍ مضرٍ.

ب. الإبتعاد عن التلوث الصوتي: يُلحق الصوت الضرر بروح الإنسان إذا ما

(١) ن.م.، ج٤١، ص٢٥٠.

تجاوز الحدّ اللازم. وقد ابتلي الإنسان منذ سنواتٍ بالتلوّث الصوتي بسبب ظاهرة الآلة، وتتعرّض أعصابه ونفسه في كل لحظةٍ لمطرقة الأصوات المؤذية، مما يُخرجه من حدّ التوازن ويشعر بالألم وتحيط به الأمراض المتنوعة.

والإنسان هشٌّ للغاية، ويملك روحاً حساسة وأعصاباً قوية ومرهفة جداً بحيث إنّ أقلّ الأصوات تؤثر فيها بنحوٍ من الأنحاء. لذلك، فإنّ أيّ نوعٍ من الأصوات، حتى صوت الإنسان، لا يجب أن يتجاوز حدّه اللازم وإلاّ كان أثره فظيعاً في أعصاب الإنسان وروحه. وقد نقل الله سبحانه في القرآن عن لسان لقمان وهو يعظ ابنه: ﴿(يا بني) وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾[1].

فالتكلم بصوتٍ عالٍ، فضلاً عن أنّه يعدّ من الوقاحة وسبباً لتنزّل مكانة الإنسان الإجتماعية، ويجعل الإنسان كالحمير ذات النهيق المؤذي الصادر بغير آوانٍ، فإنّه ملوّثٌ صوتي ومسبب لزعزعة السكينة والهدوء الروحي والنفسي للناس.

عندما يكون موقف الإسلام حول أصوات الإنسان العالية وصوت الحمار ما ذُكر أعلاه، فمن الواضح موقفه حول أصوات السيارات والحافلات والمصانع وآلات الحدادة وتكسير الحجارة و... وكيف يتعاطى مع مسألة التلوث الصوتي. إنّ الدين الذي يلتفت إلى هذه المسائل الحيوية منذ ألف وأربعمائة سنة وحتى إنه يأمر بتجنب إصدار أصواتٍ هي أدنى بكثير ممَّا يصدر في عصرنا من أصواتٍ للسيارات وما شاكل ذلك مما يحيط بالإنسان، ومن المحتّم أنّه إذا بنى حضارةً فإنّ أول خطوةٍ سيقوم بها إيجاد سياقٍ وأرضيةٍ لطمأنينة الإنسان حيث يتمتع الإنسان بمكانةٍ عالية واحترامٍ خاص. وهكذا الإنسان أصلٌ في الحضارة القائمة على أساس الإسلام، خلافاً للحضارة الغربية التي جعلت الأصل في الربح والرأسمال ويجب أن يتمّ التضحية بكلِ شيءٍ في سبيلهما حتى الإنسان.

(١) سورة لقمان، الآية ١٩.

ولا قيمة للتكنولوجيا التي حوّلت العالم بتلوثّها الصوتي إلى جهنّمٍ تحيط بالإنسان، حتى إنّها ضحّت بهذا الإنسان في سبيل كل شيء. لا يستطيع الإسلام الذي يعتبر إخفات الصوت من أمارات التدين والإحسان الديني، الإنسجام مع هكذا حضارة.

ويقول الإمام علي عليه السلام: «**خفّض الصوت وغض البصر ومشي القصد من أمارة الإيمان وحسن التديّن**»[1]

إذن، يشكّل الإتصال بين الدين والسلوكيات الإجتماعية ركائز الحضارة الإسلامية. فالمجتمع الذي تسوده الأصوات والسلوكيات غير الطبيعية، لا أثر للتدين فيه ولا رؤية مستقبلية لبناء حضارة. إنّ ابتعاد المجتمع وأفراده عن الملوّثات الصوتية من مؤشرات المجتمع الحضاري. وقد اعتبر الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إصدار الصوت العالي لإلقاء القلق والخوف في نفوس الآخرين من الظلم: «**لا ترعوا المسلم فإنّ روعة المسلم، ظلمٌ** عظيم»[2].

(١) غرر الحكم، آمدي، ج٣، ص٤٥٣، جامعة طهران.
(٢) نهج الفصاحة، العدد ٢٤٥٠.

الباب الثاني:

ثقافة تَبْليغيَّة

- المبلّغون وخدمة الناس
- الأولويات التبليغية
- السلوك السياسي والاجتماعي للمبلّغين

المبلّغون وخدمة الناس

محمود مهدي بور

يسأل الكثير من المبلغين الأعزاء في عام خدمة الناس عن أهم الخدمات، وما هي أبرز الأعمال التي تندرج في إطار الخدمة الدينية، وماذا يجب العمل للنجاح في تقديم الخدمة؟

إن خدمة عباد الله في الفكر الديني، هي خدمة لله وأوليائه وهي من جملة العبادات الكبيرة. وخدمة الناس بعد الإيمان بالله والارتباط به هي أكبر العبادات.

جاء في الحديث النبوي الشريف: «**أفضل الأعمال بعد الإيمان بالله، التودد إلى الناس**»[1].

في الحقيقة فإن الإيمان بالله، هو الخلفية الفكرية الأكبر للخدمة الصادقة للبشرية. والإيمان هو الدافع نحو الخدمة وهو الموجه والمحدد للأولويات في أنواع الخدمات وهو سبب الثبات في الخدمة في مواجهة كافة المشكلات الطبيعية والاجتماعية.

وتكون الخدمة ذات قيمة إذا كانت قليلة الكمية كثيرة الكيفية تنطلق من الصدق والاخلاص من دون مِنّة وبعيدة عن الدوافع غير الإلهية وإذا كانت مترافقة مع الحفاظ على شخصية المخدومين. والمؤمنون فقط هم الذين يقصدون الاتيان بالوظيفة الإلهية والاحسان إلى البشرية انطلاقاً من العشق من دون خداع ومنّة،

---

(١) نهج الفصاحة، ك ٣٨٧.

فهم الذين يتمكنون من خدمة البشرية باستمرار. إن العلاقة بين الإيمان والخدمة هي علاقة ذات بُعَدين أو طرفين؛ الإيمان يأخذ الإنسان نحو الخدمة والخدمة واحدة من أسباب تقوية الإيمان.

الخدمة في إيران اليوم

إن الخدمة ضرورية وهامة في الظروف التي تعيشها إيران اليوم عدا عن الأدلة العقلية والنقلية التي تبين ضرورتها حيث يبدو أن لهذا الموضوع أبعاداً وآثاراً أخرى.

إن الخدمة فريضة إلهية في الحياة الاجتماعية وهي وباستمرار مصداق الاحسان والانفاق ومساعدة ونصرة وامداد المؤمن والمظلوم وقضاء حوائج المؤمنين.

الخدمة وباستمرار معراج القرب وطريق الكمال للإنسان، إلا أن الخدمة اليوم والتنافس في الخدمات تقع في مقابل التنافس في التخريب والإضرار وإتلاف وإسراف الامكانات والممتلكات في الحروب الجناحية.

الخدمة اليوم هي الجواب العملي على شعارات الاستكبار العالمي. الخدمة اليوم هي دفاع عن بيضة الإسلام والمسلمين. والخدمة اليوم هي عامل الوحدة والوفاق الوطني للمسلمين وكافة ساكني إيران الإسلامية. والخدمة اليوم هي النقطة المشتركة للذين يحملون هَمَّ الدولة والشعب. إن خدمة الناس اليوم هي عامل محبوبية مسؤولي النظام الإسلامي. وخدمة الناس اليوم هي سبب الأمل والمزيد من التعاون والتضامن بين الدولة والأمة وسبب تقوية البنية الداخلية للمجتمع الإسلامي وسبب لليأس والكفر والنفاق الداخلي.

الخدمة وباستمرار، هي خدمة لله والرسول وأئمة الإسلام العظام، وهي اليوم وبالإضافة إلى كونها قيمة ايجابية وأساسية، تقوم بدَوْرٍ محوريّ في الدفاع عن الفكر الديني والنظام الديني والمجتمع الإسلامي. إن خادمي الناس الصادقين هم أشخاص محترمون في الدنيا والآخرة.

ينقل معمر بن الخلاد عن الإمام الكاظم عليه السلام أنه قال: «**إن لله عباداً في الأرض يسعون في حوائج الناس هم الآمنون يوم القيامة ومن أدخل على مؤمن سروراً فَرَّج الله قلبه يوم القيامة**»[1].

صحيح إن أغلب المتصدين لأمور الناس اليوم، بأيدي أشخاص غير مهتمين وغير مبالين بإيمان وأخلاق وفلاح المسلمين حتى اعتبر البعض أن مشكلاته تكمن في المسلمين أنفسهم، ومع ذلك فهناك الكثير من علماء الدين الملتزمين في الكثير من المواقع الاجتماعية المؤثرة الذين يؤدون دوراً فاعلاً، لذلك فإذا جرى العمل على تقوية دوافعهم الإلهية والمعنوية وإذا أمكن ايجاد تنسيق وتعاون وثيق، فإنّ العلماء يمكنهم تقديم خدمات للدين والناس مرات ومرات أكثر من غيرهم.

إنّ من جملة وظائف المبلّغين المحترمين وكل من شَمّر عن ساعد خدمة الناس، هو الفهم الصحيح لأنواع وأبعاد الخدمة، وتشخيص أولوياتها في ساحة النشاطات الدينية.

يمكن تنظيم مسألة خدمة المسلمين والناس في جزءَيْن هامين:

١ . **تأمين الاحتياجات.**

٢ . **مواجهة الآفات والأخطار.**

تعتبر كافة المؤسسات ذات العلاقة بالزراعة، الصناعة، تربية المواشي والطيور، ذات قيمة واحترام لأنها تؤمن وتنتج احتياجات الإنسان على مستوى المواد الغذائية.

كما أنّ المؤسسات التجارية مقبولة ومحترمة لما تؤدي من خدمة على مستوى السهولة في توزيع ونقل الانتاج الزراعي والصناعي... في اطار خدمة الناس وتأمين احتياجاتهم.

(١) أصول الكافي، ج٣، ص٢٨٢.

ثم إن الحفاظ على أرواح وأموال وكرامة وحرية الفرد والمجتمع، كانت عامل ظهور مئات المؤسسات الاجتماعية وآلاف الأعمال المعقولة والمشروعة المتعلقة بهذه الأهداف القيمة.

وهناك الكثير من المؤسسات الصحية والعلاجية والعسكرية والكثير من المؤسسات الثقافية والتعليمية تضع مشروعيتها ووجودها في إطار الحفاظ على أرواح وأموال وحرية وكرامة الناس.

في الحقيقة، فإن الحياة الاجتماعية ليست شيئاً سوى تقديم الخدمات المتقابلة بين مختلف المجموعات في المجتمع، وكلما ازدادت العلاقة بين البشر وأصبحت واسعة وقريبة من بعضها البعض، فإن ذلك يؤدي إلى أفضل الخدمات وإلى الصدق والدقة في التعاطي.

لو كانت «العولمة» تعني تقديم أفضل وأكبر وأوسع الخدمات، لكانت مطلوبة ومحبوبة عند كافة أبناء البشر ولكن إذا كان المقصود منها الاستثمار والاجبار واستخدام البشر لتحقيق أهداف معينة، فهي غير مطلوبة وليست أملاً يطلبه الإنسان.

إن تأمين الاحتياجات الواقعية والفطرية للإنسان هو خدمة الناس والحفاظ على أموال وأرواح وحرية واستقلال وكرامة الناس في حياتهم الفردية والاجتماعية نموذج آخر من الخدمات المتقابلة بين البشر. إن المجاهدين، هم الذين يقدمون الخدمات الصادقة للبشرية بينما المهادنون هم سبب الضياع والسقوط.

إن الانتاج وتوزيع ما يحتاج إليه المجتمع البشري هو خدمة، وأمّا ايجاد روحية المصرف والاستفادة من أتعاب الآخرين من دون تقديم الخدمات المقابلة، فهي خيانة للنفس وللمجتمع البشري.

لا تخرج البشرية من ثلاث حالات فيما يتعلق باحتياجات ومشكلات الآخرين:

١ . **الاحساس بالمسؤولية.**

٢ . **الغفلة واللامبالاة.**

٣ . **السرور والفرح.**

بعبارة أخرى، البعض يصنع جسراً في مسيرة عبور قافلة البشرية، والبعض يحفر بئراً للحؤول دون تقدم البشر والبعض الثالث لا يرفع حجراً من مسير التكامل البشري ولا يزرع فيه ورداً، إن أقلّ شروط الانصاف والإنسانية أننا إذا لم نتمكن أن نكون ورداً فلا نكن شوكاً، وإذا لم ننج غريقاً فلا نُلْقِ شخصاً داخل نهر جارٍ أو في واد عميق.

أما الشخص صاحب القيمة طبق فكرنا الديني فهو كل من يقدم أفضل وأكثر الخدمات للمجتمع وهو الذي يطلب القليل من خدماته.

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في وصف المتقين: «**وأجسادهم نحيفة وحاجاتهم خفيفة**»[1].

إنّ لخدمات المبلغين وعلماء الدين أبعاداً متنوعة نشير إلى البعض منها فيما يأتي:

١ . **الحفاظ على ثقافة الأنبياء.**

٢ . **نقل معارف الوحي إلى المجتمع البشري.**

٣ . **إصلاح التحريف المعنوي على مستوى القرآن والسنة.**

٤ . **مواجهة الجهود الشيطانية لتحريف القرآن والسنة.**

٥ . **إصلاح رؤية المجتمع فيما يتعلق بالقيم الإلهية.**

٦ . **إصلاح معايير التقييم في معرفة الحقّ والباطل.**

٧ . **الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في مختلف الأبعاد الاجتماعية.**

٨ . **إصلاح الأخلاق والأمراض الروحية والنفسية عند الناس.**

٩ . **إصلاح ذات البين بين المسلمين في العالم الإسلامي.**

(١) نهج البلاغة، الخطبة ١٩٣.

إنّ رسالة المبلّغين وعلماء الدين هي الدفاع عن الإيمان والمعرفة والحرية والاستقلال والاتحاد والتناغم الفكري الواقعي وإضفاء الهدوء الروحي والنفسي والتعاون بين أفراد المجتمع البشري. طبعاً يجب ملاحظة الخطر الذي يهدد هذه العناوين وكيف يجب الحفاظ والدفاع عنها.

إنّ شياطين الجنّ والإنس تكمن للإنسان وباستمرار لسلبه تلك الجواهر الثمينة التي يمتلكها. إن أهم خدمة يؤديها علماء الدين هي عدم سماحهم بضياع هذه الرساميل السماوية والحفاظ عليها من التحريف والتخريب.

إنّ أعظم وظيفة لعلماء الدين بالأخص المبلغين منهم هي إصلاح عقائد البشرية والأمة الإسلامية وإصلاح العواطف والحبّ والبغض في المجتمع الديني، وإصلاح الآمال في الحياة الفردية والاجتماعية وإصلاح الأقوال والسلوكيات والمؤسّسات المؤثرة في الحياة الدنيوية للأمة الإسلامية.

إنّ وظيفة العلماء في العلاقات الإلهية، هي الحفاظ على إيمان وعقائد الناس ونشر الفطرة التوحيدية وأما في مجال العلاقات الاجتماعية فإن أكبر وظيفة هي الدفاع عن العدالة والعمل على استقرار القسط والعدل الاجتماعي وإصلاح القانون من خلال ميزان الحق والعدل.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ﴾[1]. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلۡقِسۡطِۖ﴾[2].

(١) سورة النساء، الآية: ١٣٥.
(٢) سورة المائدة، الآية: ٨.

الأولويات التبليغية

محمود مهدي بور

إنّ معرفة الأولويات في مجال التبليغ وتشخيص الأهم والمهم في كل عمل من ضرورات الحياة العقلية والواعية. يواجه المبلّغون الأعزاء هذه المسألة في كافة أمور الحياة ومن جملتها القيام بأداء رسالة هداية المجتمع العظيمة وإنجاز فريضة التبليغ المقدسة. ممّا لا شكّ فيه أنّ وسائل الاتصال والإعلام أعمّ من القديمة والحديثة ذات تأثير كبير في مستوى توجيه المجتمع في البعد الإيجابي والسلبي.

إنّ معرفة الأولويات ورعايتها والحفاظ عليها على مستوى التَقْنيين وتخصيص الميزانيات والرقابة والقضاء والتبليغ وهداية المجتمع ثقافياً، كل ذلك من جملة، الوظائف الأساسية للهيكلية السياسية والإدارية في كل بلد ونظام اجتماعي.

وتكون السياسات التبليغية العامة ناجحة وموفقة إذا أخذت بعين الاعتبار وجود برامج طويلة الأمد ومتوسطة الأمد وقصيرة الأمد وإذا ترافقت مع التخطيط وايجاد الرساميل ووجود الإدارة التنفيذية والرقابة الضرورية. إذا تمكنت حوزات العلوم الإسلامية والمجلس الأعلى للحوزة من تحديد السياسات التبليغية العامة وتحرك الناس والطلاب والدولة الإسلامية بناءً على التكامل الضروري، لأمكنهم وبمساعدة بعضهم البعض من الاتيان بوظيفة تبليغ الدين العظيمة على أكمل وجه.

إن الخطابة والمنبر وسيلة تبليغية إعلامية تدار من خلال المبلّغين الأعزاء. وإنّ المجالس والمحافل العاشورائية وصلاة الجمعة والمساجد والجلسات الدينية هي بركات مَنَّ الله تعالى بها على الأمة والعلماء المحترمين.

وهنا يمكن الحديث عن مجموعة من التساؤلات:

هل يتم الاستفادة من الأجواء، التجمع السكاني، المحراب والمنبر والامكانيات الأخرى. وهل يتم الاستفادة من الفرص التبليغية على النحو المناسب؟

هل تطرح الأبحاث الأكثر ضرورة للناس؟ هل القوالب المختارة هي الأفضل؟ ما هي الأمور المؤثرة في عرض أو عدم عرض الأبحاث وفي تعيين تقدمها وتأخرها؟

ممّا لا شكّ فيه أنّ لكل كلام مكاناً ولكل مسألة مقاماً ولكن ما هو الأسلوب والمنهج المناسب لهذا المقام؟

إن تعيين الأولويات التبليغية لكل مسجد ومجمع ليس أمراً واحداً يحصل دفعة وفي مكان واحد من خلال رسالة وتوصية. بل هناك أمور تقوم بدَوْرٍ على مستوى تشخيص وتعيين الأولويات التبليغية، من جملتها الزمان والمكان والمخاطَبون والأحداث الاجتماعية في المنطقة وموقف وسائل الاعلام والاتصال الأخرى وحركات الأعداء والأصدقاء.

من جملة النماذج التاريخية الهامة التي تشير إلى رعاية الأولويات التبليغية طرح بحث الولاية في اجتماع الغدير من قبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وطرح بحث التوحيد والولاية الهام في اجتماع أهالي نيشابور من قبل الإمام الرضا عليه السلام وطرح أصل البراءة من المشركين في الحج من قبل أمير المؤمنين عليه السلام.

من شروط النجاح في كل عمل، رعاية التدرج والاقتراب خطوة خطوة إلى الأهداف التبليغية المقدسة، وكذلك الأهداف الاجتماعية والاقتصادية، بالإضافة إلى الاخلاص والنوايا المعنوية والطاهرة. يمكن الحديث عن ثلاثة أنواع من التخطيط الضروري لنجاح المبلّغين في نشر الفكر والعمل الإسلامي:

١ . التخطيط على مستوى النظام الإسلامي وعظماء الحوزة لإيجاد أعمال أساسية طويلة الأمد في مجال التبليغ.

٢ . التخطيط على مستوى المؤسّسات التبليغية في البلد، بهدف ايجاد برامج للمنظّمات المنضوية تحتها.

٣ . التخطيط على مستوى المبلّغين بهدف إيجاد أعمال وحركات تبليغية.

من أبرز وأهم شروط التخطيط، الالتفات إلى الأهداف ومعرفة الاحتياجات والأولويات والامكانيات والأخطار.

إنّ رسالة النظام الإسلامي والحكومة الإسلامية هي تحديد السياسات العامة وايجاد المؤسّسات التبليغية وتربية المبلّغين في مختلف الميادين ذات الحاجة على مستوى المجتمع الإسلامي وعالم البشرية وفي الوقت الحاضر يتم تحديد هذه السياسات عن طريق المجلس الأعلى للحوزة، والمجلس الأعلى للثورة الثقافية والمركز العالمي للعلوم الإسلامية ومنظمة المدارس خارج إيران والمؤسّسات المشابهة.

إنّ بعض وسائل الإعلام والمؤسّسات التبليغية الموجودة أمثال منظمة الإعلام الإسلامي، مكتب الإعلام الإسلامي، معاونية التبليغ في حوزة قم العلمية وممثلي القائد في المؤسّسات التنفيذية، يمكنها جميعها تقديم خدمات جليلة وعظيمة إذا تكاملت مع بعضها البعض، وبذلك تتمكن من أن تخطو خطوات جبارة على مستوى نجاة البشرية وخدمة الإنسان.

لم نتعرض في هذا المقال للحديث عن وظائف المؤسّسات التي يقع على عاتقها رسم السياسات. أما المخاطبون الأساسيون في هذا المقال، فهم العلماء الأعزاء الذين يؤدون وظيفة التبليغ في مختلف الأماكن والذين يرغبون في التعرف على أولويات عمل التبليغ. مما لا شك فيه أن التشخيص الدقيق للأولويات التبليغية والقيام بالوظائف الإلهية على أساس المعرفة والإحساس بالمسؤولية الدينية، يقوم بدورٍ كبير على مستوى هداية المجتمع والأمن الثقافي والاستقلال الاجتماعي.

لا ينبغي أن يظهر التبليغ على شكل حرفة أو عادة أو مراسم فاقدة للروح وإلا فسيفقد الدور الجدي المناط به.

إنّ المبلّغين الملتزمين والواعين، يوجهون باستمرار سؤالاً إلى أنفسهم، ما هي المسألة التي يجب أن تكون محور الحديث اليوم؟ ولماذا؟ وما هو العنوان الذي

يجب تكراره ولماذا؟ ما هي الأبحاث التي يجب التذكير بها في كافة المجالس والاجتماعات ولماذا؟ ما هو الزمان الذي ينتهي عنده عرض بعض الأبحاث والشروع بأبحاث فكرية وثقافية أخرى؟ ممّا لا شكّ فيه أن بعض الأبحاث هي بمثابة الغذاء الفكري اليومي للمجتمع التي يجب وضعها دائماً في متناول أيديهم. بعض الأبحاث بمثابة الدواء الذي يحتاج إليه المرضى حيث يجب إيكال الأمر إلى أطباء أمناء ووضعه في متناول أيدي المرضى.

هناك بعض المعارف التي تشكل حالة كالسم للتبليغ الإلحادي حيث يجب وضع تلك المعارف في متناول أيدي المجتمع عند التسمم. وبعض المطالب بمثابة الغذاء الفكري لرجال الدولة والمسؤولين التنفيذيين في البلد. وبعض الحقائق القرآنية بمثابة الغذاء الفكري للتلامذة والطلاب حيث يجب التذكير بها حسب الحاجة.

إنّ المبلّغ الملتزم والواعي هو الذي يتمكن من تحديد الأمراض الفكرية الرائجة فيقدم للمجتمع ما يساهم في علاجها ويصونه من الابتلاء والانحراف فهو كالطبيب السيار الذي يبذل الجهود في مداواة المرضى.

إن الأولويات في المجتمعات المعاصرة سريعة التحول والتبدل وإذا كانت مسألة معينة قد شغلت المجتمعات القديمة لسنوات طويلة فاليوم هناك العديد من المسائل الجديدة التي تظهر كل أسبوع لا بل كل يوم.

يمكن إجراء التبليغ على أساس التدبير والحكمة والالتفات إلى الاحتياجات والأولويات والظروف الروحية والنفسية للمخاطبين وكذلك الأجواء الثقافية للمجتمع. إن الدعوة الأولى التي وجهها الوحي للمبلّغين الأعزاء، دعوة المجتمع إلى سبيل الله على أساس الحكمة والتدبير وفي مرحلة لاحقة يأتي الاستفادة من الموعظة والجدال بالحسنى.

﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ وَٱلۡمَوۡعِظَةِ ٱلۡحَسَنَةِۖ وَجَٰدِلۡهُم بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦۖ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ ﴾[1].

(١) سورة النحل، الآية: ١٢٥.

أسلوب معرفة الأولويات

هناك الكثيرون منا ممن لا يملكون معلومات حول القضايا الخفية، لذلك فإن أسهل طريق لتشخيص الأولويات هو الدقة في كلام القائد واتباع ارشاداته. إنّ الاتباع المنظم لبياناته ورسائله ونداءاته وتوجهاته، يُبيِّن الأولويات التبليغية للراغبين.

في بعض السنوات يطلق القائد على العام، عام الخدمة والمنافسة في الخدمة، وفي عام آخر يطلق عليه عام العزة والفخر الحسيني، وفي عام آخر يطلق عنوان الانضباط والوجدان العملي، وكل هذه العناوين تشكل المحاور الأساسية للتبليغ والعمل البحثي والتعليمي والتنفيذي.

أكد السيد القائد مراراً على مسألة النهي عن المنكر وركز على محاربة الفقر والفساد والتمييز.

من جملة الأولويات الثقافية ذات العلاقة بالأمة الإسلامية، معرفة الحق والباطل في النظام العقائدي، معرفة قادة الحق والباطل في النظام السياسي، ومعرفة الصديق والعدو في الحياة الاجتماعية.

إن من أهم وأكبر وظائف المبلّغين والمؤسّسات التبليغية والتعليمية في البلد الدفاع عن سلامة عقائد المجتمع وإيمان الناس بأصول الدين وأحكام الله، ومن جملة فرائض المسلمين العظيمة محاربة ما يزلزل إيمان الناس تحت أي اسم وعنوان وبوساطة أي شخص أو مؤسسة.

من جملة المحاور التي ينبغي على المبلغين وضعها في مقدمة اهتماماتهم، مسألة الولاية والبراءة و«**الحب في الله**» والبغض في سبيل الله. ويقع على رأس الأمور، وظيفة المجتمع في مجال معرفة العدو وكيفية مواجهته واليقظة والبصيرة أمام المؤامرات الداخلية والخارجية.

العجيب أنّ البعض اليوم لا يرى عداء الأمريكي والبريطاني للإسلام، ولا يشاهد المؤامرات التي يحيكونها.

من جملة المشكلات التي يعاني منها العالم الإسلامي والمجتمع الإسلامي اليوم، الغفلة عن العدو، عدم معرفة العدو، عدم الالتفات إلى مؤامرات الأعداء، إقامة العلاقة مع الأعداء والتحاور مع الأعداء وعدم الالتفات إلى أهداف وأعمال الأعداء.

من جملة طرق تشخيص الأولويات، معرفة وجهة العدو. الأمر الخطير هو ما يريده الأعداء من المجتمع الإسلامي، لذلك يعملون بكافة جهودهم على (من باب المثال):

١ . **إلقاء الشبهات على مستوى العقائد.**

٢ . **إلقاء اليأس على مستوى الأهداف.**

٣ . **إبعاد الثقة في العلاقات بين المسلمين.**

٤ . **ضرب الصلابة في قوة النظام الإسلامي.**

٥ . **التبليغ على مستوى عدم فعالية النظام.**

٦ . **إيجاد حالة الغلاء والبطالة.**

ينبغي للمبلّغين الأعزاء الحركة في الاتجاه المعاكس تماماً لما يريده الأعداء. أي الحركة نحو ما يؤدي إلى تثبيت الإيمان واعطاء الأمل وخلق الثقة والتأكيد على الصلابة القانونية والمساعدة على اظهار فعالية النظام. إن المبلغين الأعزاء هم منادو القرآن والسنة والمتحدثون باسم القرآن والعترة، لذلك يجب عليهم الدقة والاحتياط في تقديم آرائهم الشخصية وليس توجيه وتسويغ الأعمال التي تقوم بها مؤسّسات الدولة وليس من شأنهم التخريب اللامنطقي بل عليهم تأييد الأعمال الايجابية التي تصدر عن الأفراد والمؤسسات وتأييد السياسات التي توافق القرآن والسنة والمقبولة على مستوى القائد والفقه الشيعي الصحيح، وبالتالي نقد كل الاجراءات التي تخالف ذلك.

السلوك السياسي والاجتماعي للمبلّغين (١)

رحيم كاركر

يقدم سلوك وكلام مبلِّغي الدين في المجتمع صورة عن شكلهم الباطني ويشير إلى شخصيتهم الدينية وتعاليهم الفكري والأخلاقي. يضاف إلى ذلك فإن تعاملهم وارتباطهم ببعضهم يهيِّئ الأرضية لقربهم من الناس ويؤدي إلى إنجاز حركتهم التبليغية بالشكل المطلوب.

لا يقتصر كلام وسلوك علماء الدين في العصر الراهن على دائرة معارف وأحكام الإسلام، بل يمتد إلى ساحات أخرى أمثال السياسة، الثقافة والاجتماع. كما أن السلوك السياسي والاجتماعي والفردي للمبلغين يقدم صورة عن الدين وسيرة السلف الصالح بالإضافة إلى أن الاستفادة من هذا الموقع قد تكون عاملاً أساسياً وحيوياً على مستوى التبليغ العملي للشريعة.

إنّ هاتين المسألتين، تلزمان حاملي نداء المعنويات، بمراقبة سلوكهم وكلامهم والالتفات إلى مسألة الانحراف في سلوكهم السياسي ـ الاجتماعي.

السياسة ساحة نزاع

إنّ السياسة ساحة واسعة مليئة بالمخاطر حيث يكثر فيها اللاعبون المؤثرون، وهي ذات علاقة قريبة بالعديد من مجالات حياة الإنسان. إن الدقة والتأمل في هذا الموضوع، يؤدِّيان إلى معرفة المبلّغين بصعوبات مقولة السياسة، فيحولون دون الوقوع في شباك فتنها ومشكلاتها، وبالتالي يحولون دون موانع النشاطات

التبليغية. لذلك سنحاول ومن باب المقدمة الاطلالة على أحد الأبحاث السياسية بالدراسة والبحث.

من جملة فروع علم السياسة، علم الاجتماع السياسي؛ أي دراسة العلاقة بين المجتمع والسياسة وارتباطهما ببعضهما، يتولى موضوع علم الاجتماع السياسي دراسة العلاقة بين المجتمع والدولة وبالأخص تأثير القوى الاجتماعية في السياسة. وعلى هذا الأساس يقوم علم الاجتماع السياسي بدراسة ثلاثة أمور متصلة ببعضها:

١ . معرفة التعقيدات والافتراقات والتعارضات في المجتمع.

٢ . معرفة الفرق والقوى التي تظهر على أثر الافتراقات في المجتمع.

٣ . أسلوب تأثير القوى الاجتماعية في الحياة السياسية[١].

من هنا، ينبغي لمبلِّغي الدين ـ باعتبارهم من جملة القوى الاجتماعية المؤثرة ـ معرفة وظائفهم ودورهم في المجالات الاجتماعية والثقافية والسياسية ومعرفة القوى واللاعبين في الساحة السياسية ومعرفة التعارضات والافتراقات الموجودة وبالتالي اختيار أفضل الطرق وأكثرها تأثيراً في الأسلوب التبليغي.

تشتمل الساحة السياسية على تعارضات ومناقشات، إفراط وتفريط، أجنحة غير صحيحة، حالات محافظة ومعتدلة، وفي النهاية تشكيل مجموعات وأحزاب تنتمي إلى اليسار واليمين والوسط. واليوم تعتبر هذه النزاعات من جملة لوازم الحياة السياسية للإنسان، إلا أنه يؤدي إلى وجود مشكلات وصعوبات عديدة بالأخص على مستوى المجتمعات الدينية.

يجب الاشارة إلى أن من جملة الحقائق الأساسية في الحياة البشرية أنّ الناس يعيشون إلى جنب بعضهم البعض، إلا أنهم لا يتشابهون من كافة الجهات، حتى

(١) علم الاجتماع السياسي، (دور القوى الاجتماعية في الحياة السياسية)، ص٩٥.

لو كانوا متشابهين في بعض الجهات. ومن هنا يجب القول إنّ للإنسان احتياجات متعددة حيث لا تتوقف جهوده في سبيل الوصول إليها حتى لو أدى الأمر إلى التنافس والنزاع.

إذا لم تتجه هذه المنافسة والنزاع في الاتجاه الصحيح، وإذا لم تعتمد على أصول وشواخص، وإذا لم تتحرك طبق المنافع الدينية والوطنية، فستؤدي إلى ظهور صعوبات ومشكلات والغرق في مستنقعات الأنانية[1].

من جملة الآثار والنتائج السلبية للنزاعات السياسية في المجتمع:

١ . الابتعاد عن طريق الحق والحقيقة والحؤول دون الوصول إلى الطريق الواضح.

٢ . الوقوع في شباك الإفراط والتفريط والانحراف والاشتباه.

٣ . الوقوع في خضم نقاشات ونزاعات طويلة مما يؤدي إلى تفسخ واهتراء القدرات والاستعدادات.

٤ . وجود نزاعات عبثية وتحريك الخلافات وضرب المصالح الوطنية والوحدة العامة.

٥ . إضعاف البنى العقائدية والأخلاقية للناس والتطاول على المقدسات والقيم الدينية.

٦ . إفساح المجال للمرائين والمتلوِّنين والمسيئين للاعتقادات الدينية والمجتمع الإسلامي.

من هنا، ينبغي لمبلِّغي الدين أصحاب الفراسة والذكاء الكامل مواجهة هذه النزاعات بشكل منطقي وأن يقدموا تصرفات أرفع من التحزب والانتماء إلى المجموعات كما ينبغي لهم تحديد الشواخص والأصول للنشاط السياسي وأن

(١) غرر الحكم، الحديث ٢٤٠.

يدافعوا عن الحق والحقيقة بعيداً عن الإفراط والتفريط إذ ينبغي اتباع الطريق المستقيم. يتحدث الإمام أمير المؤمنين عليه السلام حول فائدة امتلاك حسن السياسة ويقول: «**حسن السياسة قوام الرعية**»[1].

المبلغ النموذجي الناجح هو الذي يقيس نشاطات الأحزاب والمجموعات والمؤسسات طبق المعايير الدينية وهو الذي يمارس نشاطه السياسي على أساس هذه المعايير والشواخص.

أبرز خصائص المبلغين في المجال السياسي:

١ . التعادل

إن التحزبات غير الصحيحة والتنافس السلبي ليست أموراً ايجابية، بل هي أمور لا يمكن قبولها وهي بعيدة عن الحكمة والشريعة. طبعاً الإسلام يؤيد وجود الفرق والتنافس السياسي البعيد عن الافراط والتفريط، وعن الانحراف والميل نحو اليمين واليسار أو إلى الشرق والغرب أي الذي يندرج في اطار الصراط المستقيم.

بعبارة أوضح يجب أن يكون المعيار هو التعاليم الدينية الصريحة فقط، تلك التي ذكرت في القرآن الكريم والروايات الإسلامية؛ حيث يجب أن يكون الدين على رأس كافة الأمور والنشاطات الحزبية والفردية.

من المناسب أن يقيد مبلغو الدين أنفسهم بهذا المعيار وأن يرشدوا الآخرين إليه حيث ينبغي رسم الأصول السياسية الإسلامية لهم.

يقول الإمام الحسن العسكري عليه السلام في هذا الشأن: «**الصراط المستقيم، هو صراطان: صراط في الدنيا وصراط في الآخرة؛ فأمّا الصراط المستقيم في الدنيا فهو ما قصد من الغلو وارتفع عن التقصير واستقام فلم يعدل إلى شيء من الباطل**»[2].

(١) م.ن، الحديث ٦٨١٨.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٤، ص٩، ح١.

وعلى هذا الأساس، فإنّ الطريق الوحيد المقبول من ناحية الإسلام هو البعيد عن الباطل ـ أمثال: الأفكار السياسية غير الدينية، محورية الشرق والغرب، الأهواء النفسانية والاحتياجات المادية الصرفة ـ والبعيد عن الإفراط والتفريط.

ينبغي لمبلِّغي الدين الابتعاد عن الأجنحة الباطلة، وأن يقيسوا عمل وسلوك الأحزاب والمجموعات طبق ذاك المعيار، وأن يوضحوا حقائق الأمور للناس.

طبعاً هنا يجب الحؤول دون السلائق الفردية والتأكيد على التعادل واتباع طريق الحق؛ كما يقول الإمام علي عليه السلام: «**اليمين والشمال مضلة والطريق الوسطى هي الجادة، عليها باقي الكتاب وآثار النبوة ومنها منفذ السنة وإليها مصير العاقبة**»[1].

إن التعادل والوسطية واتباع الصراط الإلهي المستقيم، هو الطريق الأكثر اطمئناناً ومقبولية ومطلوبية، وهو الذي يجب على مبلغي الدين اعتماده في المجال السياسي والالتزام بأصوله ومعاييره كي لا يكونوا مصداق الرواية الشريفة: «**وأَخَذُوا يميناً وشمالاً ظعناً في مسالك ألغي وتركاً لمذاهب الرشد**».

وكان الإمام الراحل قدس سره يؤكد على هذا الأمر أيضاً، يقول: «**أطلب من جميع المتصدين للأمور في الجمهورية الإسلامية خصوصاً علماء الدين أن يراعوا في تدبير أمور البلاد وحل القضايا خط الإسلام بشكل دقيق وأن لا يقعوا تحت تأثير التحزبات والميل إلى فئة ومعارضة فئة أخرى وأن يتعاملوا مع الناس ومن يراجعونهم بالعدل الإسلامي والعطف المتوقع من الجمهورية الإسلامية**»[2].

إذاً يجب على المبلغين القيام بدَوْر ايجابي ومؤثر في هذه النقاشات والنزاعات والفتن وأن لا يقعوا ضحية الأحداث والتشنجات السياسية وأن يجعلوا من كلام

(١) نهج البلاغة، خ١٦.
(٢) صحيفة النور، ج١٤، ص١٤٢.

أمير المؤمنين عليه السلام حلقة على آذانهم حيث يقول: «**كن في الفتنة كابن اللبون، لا ظهر فيركب ولا ضرع فيحلب**»[1].

٢ . البحث عن الحقيقة

من جملة المعايير البعيدة عن الفرق والأحزاب والقائمة على أساس الأصول، الاصرار على الحق والالتزام به. المبلغ الصالح، هو الذي يعرف الحقيقة ويدافع عنها ويتبع طريق الحق، وهو الذي يبادر في نشاطاته السياسية والاجتماعية على أساس هكذا معيار. وأما على مستوى التنافس والتحزب السياسي، فالمبلغ الصالح هو الذي يقبل السلوك الأقرب إلى الحق والصلاح وهو الذي يبتعد عن طريق الباطل. إن طريق الحق واضح وسهل باستمرار، حتى لو غطته غبار الغربة على أثر النقاشات الاجتماعية والنزاعات السياسية، والله تعالى هو الذي يظهر تلك الحقيقة للراغب بالوصول إليها؛ كما يقول الإمام علي عليه السلام: «**إن الله قد أوضح لكم سبيل الحق وأنار طرقه**»[2].

ويقول الإمام عليه السلام في مقطع آخر: «**عليكم بالمحجة البيضاء فاسلكوها وإلا استبدل الله بكم غيركم**»[3].

في الأساس فإن السياسة الدينية هي التي تبنى على أساس الحق والحقيقة حيث كان علماء ومبلغو الإسلام العظام مقيَّدين بذلك. يقول الإمام الراحل في هذا الشأن: «**ما أريد أن أقوله أنّ السياسة حقٌ من حقوق الأنبياء والأوصياء وعلماء الدين... فلو افترضنا وجود شخص يريد أن يطبق وينفّذ مبادئ السياسة بمعناها الصحيح لا بمعناها الشيطاني الفاسد، أو أن حكومة ما أو رئيس جمهورية ما أو دولة ما تريد الالتزام بتطبيق السياسة الصحيحة وأن**

(١) نهج البلاغة، الحكمة ١.
(٢) م.ن، الخطبة ٨٧.
(٣) غرر الحكم، ح ٦١٥٠.

تعمل لخير الأمة وصلاحها، فإن كل هذا لا يمثل إلا بعداً واحداً من أبعاد السياسة لدى الأنبياء والأولياء»[1].

وعلى هذا الأساس إذا كان الشخص تابعاً للحق والسياسة الإسلامية الصحيحة، يمكن قبول كلامه وسلوكه. يقول الرسول الأكرم ﷺ: «**إقبل الحق ممن أتاك به . صغيراً أو كبيراً . وإن كان بغيضاً، واردد الباطل على من جاء به من صغير أو كبير وإن كان حبيباً**»[2].

٣ . الثبات في طريق الحق

ينبغي بعد معرفة الحق والابتعاد عن الافراط والتفريط واعتماد الخط السياسي المتعادل، الثبات في هذا الطريق وعدم الخوف من الصعوبات والمشقات.

يتمكن مبلغو الدين بما يمتلكون من كياسة من الابتعاد عن النقاشات السياسية والأحزاب والمجموعات، وفي الوقت عينه توضيح طريق الاعتدال للناس. ليس من الضروري الإشارة إلى اسم حزب أو شخص بعينه، إلا أنه يكفي أن تكون معايير الطريق الصحيح واضحة ليتمكن الناس من الحركة طبعاً الطريق المستقيم.

يتحدث القرآن الكريم حول الثبات في طريق الحق قائلاً: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأَخِرَةِ ﴾[3].

وفي آية أخرى يخاطب الله تعالى الرسول ﷺ: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْاْ ﴾[4].

يوضح الإمام الخامنئي دام ظله مسؤولية علماء الدين على النحو التالي:

«**تصبح السنة الإلهية عملية عندما نقف في أماكننا بثبات واستحكام؛ هذا هو أصل القضية. يجب على العلماء الثبات عملاً، وقولاً، وفعلاً، وسياسياً،**

(١) صحيفة النور، ج١٣، ص٢١٧.
(٢) بحار الأنوار، ج٧٥، ص٢٩.
(٣) سورة إبراهيم، الآية: ٢٧.
(٤) سورة هود، الآية: ١١٢.

واجتماعياً، وفردياً وجماعياً، في المكان الذي نحن فيه والذي هو منصب لنا. مهما كان هذا المنصب، وأيّاً كانت مأموريتنا ومسؤوليتنا، وأن نقوم بعملنا والله تعالى هو المعين»[1].

إذاً ينبغي للمبلِّغين رعاية الوسطية وعدم الانحياز فيما يتعلق بالمجموعات السياسية وعليهم عدم الغفلة عن توضيح الحقائق والوقائع السياسية والاجتماعية وتقديم المعايير والشواخص الدينية الأساسية، وينبغي الخوف من المجموعات التي تخاف الحق. يقول الرسول ﷺ: «**ألا لا يمنعن رجلاً مهابة الناس أن يتكلم بالحق إذا علمه. ألا إنّ أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**»[2].

طبعاً عندما ينهض علماء الدين للدفاع عن الحق والصراط المستقيم، يجب عليهم الابتعاد عن الأسلوب العامي والمظاهر التي قد تقدمها المجموعات والأحزاب السياسية وعدم الوقوع في شباك المنافقين والمنحرفين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**اعلموا أن الله تعالى يبغض من خلقه المتلون، فلا تزولوا عن الحق وأهله، فإن من استبد بالباطل وأهله هلك وفاتته الدنيا**»[3].

النتيجة

النتيجة أن المجتمع الذي تعيش فيه مجموعات سياسية وأحزاب ومؤسّسات يعيش حالة نزاع وتنافس واضح وغير واضح، ولكن عندما يخرج التنافس والنزاع عن حدود المعايير المحددة يؤدي إلى الكثير من المشكلات والصعوبات.

في هذا الاطار يجب على المبلغين إظهار مقدار كبير من الوعي والاستقلال، وذلك لأنهم على علاقة بالناس وببعض الأحزاب السياسية واعتماد السبل الآتية:

(١) حديث الولاية، ج٩، ص١١٠.
(٢) كنز العمال، ح٤٣٥٨٨.
(٣) أمالي المفيد، ص١٣٧، ح٦.

١ . عدم الانحياز إلى المجموعات واختيار سلوكيات فوق التحزبات.

٢ . الابتعاد عن الافراط والتفريط وعدم الميل نحو اليمين واليسار واعتماد طريق الحق والوسطية والتعادل.

٣ . الابتعاد عن النزاعات السياسية اليومية والمساعدة في تلطيف الأجواء السياسية.

٤ . معرفة واتباع الحق، تعيين المعايير الإسلامية، امتلاك روحية محورية الحق والهداية إلى الصراط الإلهي المستقيم.

٥ . الاستقامة والثبات في اتباع طريق الحق والحقيقة (بالأخص الولاية) والدفاع عنه.

٦ . اعتماد أسلوب الاشفاق الأبوي بالأفراد.

السلوك السياسي والاجتماعي للمبلّغين (٢)

رحيم كاركر

من جملة الأمور الضرورية في السلوك السياسي ـ الاجتماعي للمبلغين، الاهتمام والمشاركة الفعالة والايجابية في «**الانتخابات**» والمساهمة في تثبيت أسس النظام؛ نظام «**السيادة الشعبية الدينية**» في البلد الذي هو بلد إمام الزمان وتشجيع الناس على المشاركة والحضور الواعي في هذا الأمر المصيري.

ينبغي للعُلماء والمبلّغين إظهار مقدار كبير من الدقة والوعي والعقلانية والحضور في الحركات السياسية المعاصرة انطلاقاً من صورتهم الأبوية لينشروا الوعي ويراقبوا كافة الأعمال والأحداث السياسية والاجتماعية في المجتمع، يجب أن يكونوا مثالاً للهادي البصير، الأمين، غير المنحاز، الواعي والمهتم وأن يعملوا على رفع مستوى البصيرة لدى الناس، ليشارك الجميع بشكل فعّال وواعٍ.

يقول الإمام الراحل قدس سره: «**يجب على الجميع المشاركة بجدية كاملة في هذا الأمر، ويجب على جميع الأشخاص أينما كانوا، وأهل العلم أينما وجدوا، أن يدعوا الناس بشكل جاد للتدخل في الأمور الموجودة**»[١].

بناءً على ضرورة ووجوب المشاركة الفاعلة للعلماء والمبلّغين في الأمور السياسية وهداية وقيادة الناس نحو انتخابات نظيفة وسليمة، لذلك سنحاول في هذا المقال دراسة أهمية الانتخابات، السيادة الشعبية الدينية المشاركة السياسية

---

(١) صحيفة النور، ج١٥، ص٥٨.

و... ثم نتعرض بعد ذلك لوظائف وضرورات السلوك السياسي والاجتماعي للمبلغين لتقديم معايير صحيحة لذلك.

الانتخابات والسيادة الشعبية الدينية

من جملة الشواخص الهامة لتطور وتقدم الجمهورية الإسلامية اليوم، الانتخابات والدور الأساسي للناس في تحديد مصيرهم السياسي والاقتصادي والثقافي، وانتخاب المسؤولين والموظفين بشكل مباشر ومن خلال المشاركة السياسية الفاعلة والواسعة حيث يدل هذا الأمر على مدى دخالة الناس في عملية اتخاذ القرارات والتشريع.

تطلق الانتخابات على العملية الرسمية لاختيار أشخاص لإحراز مناصب ومسؤوليات في المجتمع عن طريق الآراء العامة. والانتخابات أداة يمكن من خلالها إحراز تدخل المواطنين في تأسيس المؤسسات والمنظمات السياسية وتحديد المتصدين للسلطة السياسية. وبما أن الجمهورية الإسلامية هي الجمهورية التي أُسست على المبادئ والمعايير الإلهية، فهي تعتمد وبشكل أساسي على القاعدة الشعبية، يجب الالتفات إلى أن بحث الانتخابات وكما يقول الإمام الراحل، هو بحث حفظ ودعم النظام وتثبيت أسسه على المستوى الدولي، لذلك كانت من أهم الواجبات العقلية والشرعية التي لا يقارنها شيء آخر على الاطلاق وهي من الأمور التي لا يحتمل فيها أي نوع من الظن والشك على الاطلاق[1].

جاء في دستور الجمهورية الإسلامية: «**في الجمهورية الإسلامية في إيران، يجب أن تدار أمور البلد بالاعتماد على الآراء العامة؛ عن طريق الانتخابات، انتخاب رئيس الجمهورية، ممثلي مجلس الشورى الإسلامي، أعضاء المجالس وأمثالها، أو عن طريق الاستفتاء في الحالات التي حدد فيها القانون أصولاً أخرى**»[2].

(١) م.ن، ج١٩، ص١٠٥.

(٢) دستور الجمهورية الإسلامية الإيرانية، الأصل السادس، ص٦٤.

إن ما هو مطروح في الجمهورية الإسلامية في إيران والحاكم عليها، هو «**السيادة الشعبية الدينية**». إذاً مشروعية الحكومة والحاكم الإسلامي، لا ترتبط برأي وآراء الناس؛ بل إن رأي ورضى ومساعدة الناس، تؤدّي إلى الوجود والتحقق العيني للحكومة الإسلامية. يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «**لولا حضور الحاضر وقيام الحجة بوجود الناصر... لألقيت حبلها على غاربها**»[1] وقد كتب الإمام عليه السلام قبل بداية الحرب إلى معاوية: «**... ولأنّي المسلمون الأمر... فأدخل فيما دخل فيه الناس...**»[2].

يبين هذا الكلام دور الناس في ظهور وتثبيت وفعالية الحكومة الإلهية. طبعاً الحكومة الإسلامية تعتمد على الإرادة التشريعية الإلهية وأمر الله مطاع في كل شيء، وأما اعتبار رأي الناس فهو موجود ما لم يُنافِ دين الله تعالى. إذاً، ليست الحاكمية فقط لله تعالى؛ بل التشريع أيضاً له ويجب أن تكون القوانين في هذا الاطار الإلهي.

السيادة الشعبية الدينية تعني حضور الناس في المجالات الاجتماعية والسياسية على أساس المبادئ الدينية والرجوع إلى رأي الناس في إطار القيم الإلهية. يؤدّي الناس دوراً فاعلاً في الحكومة الدينية على مستوى تحديد السياسة واجراء القوانين. يتدخل الناس عن طريق انتخاب ممثلي المجلس في تحديد السياسات العامة للمجتمع ومن خلال انتخاب أعضاء المجالس في تحديد السياسات الجمعية. كما يؤدّي الناس دوراً في تعيين القائد والرقابة عليه من خلال انتخاب ممثلي مجلس خبراء القيادة، ثم إن الناس تختار أعلى مقام في البلد بعد القائد من خلال انتخاب رئيس الجمهورية.

(١) نهج البلاغة، الخطبة الثالثة؛ ولاية الفقيه، ص١٤٧.
(٢) شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، ج٤، ص١٢؛ مبادئ الحكومة الإسلامية، ص٨٨.

يتحدث السيد القائد في توضيح معنى «**السيادة الشعبية الدينية**» ويقول: «**[السيادة الشعبية الدينية] تعني، أن كامل النظام السياسي، يعود إلى الناس... إن متصدي النظام السياسي هم من الناس. وهذا يعني بالمعنى الحقيقي للكلمة، اشتراك الجميع في وجود هذا النظام على مستوى كل ما له علاقة باتخاذ قرار للناس، وعواطف الناس وإيمان الناس وعشق الناس ومصلحة الناس، هذا يقال له السيادة الشعبية الحقيقية**»[1].

ويعتقد بأن: «**السيادة الشعبية [الدينية] لا ترتبط بجذور الديمقراطية الغربية على الاطلاق... إن السيادة الشعبية الدينية، ليست أمراً... إن السيادة الشعبية بنفسها ترتبط بالدين**»[2].

وظائف المبلغين

١ . الحضور الفاعل والواعي

إن أكثر الأحداث السياسية حساسية في مجتمعنا الديني، المشاركة في الانتخابات والحضور الكامل والواسع، المترافق مع الوعي، الرغبة الاهتمام والحرية في هذه «**المشاركة السياسية**»؛ وقد تحدث الإمام الراحل: «**نحن مكلفون بالتدخل في الأمور السياسية، نحن شرعاً مكلفون كما كان يفعل الرسول** ﷺ **وكما كان يفعل حضرة الأمير** عليه السلام»[3].

يجب على العلماء والمبلّغين، الحضور الفاعل والجدي في هكذا أمور، لا بل يجب عليهم بالإضافة إلى ذلك ايجاد أرضية وثقافة الحضور الواسع والمشاركة السياسية للناس؛ وهذا هو الأمر الضروري لرفعه وثبات نظامنا الديني.

(١) شريعة العقل (السيادة الشعبية الدينية)، ص٣.
(٢) م.ن، ص٥.
(٣) صحيفة النور، ج١٥، ص٥٨.

«**تطلق المشاركة السياسية**» على الجهود المنظمة للمواطنين لانتخاب قادتهم والموظفين ومسؤولي الأمر والمشاركة الفاعلة في الأمور الاجتماعية والسياسية والتأثير في وجود وهداية الدولة. من جملة الشواخص البارزة للمشاركة السياسية، المشاركة في الانتخابات والنشاطات السياسية. حملت هذه المشاركة نتائج كثيرة للنظام الإسلامي:

أ. ضمان بقاء النظام الإسلامي.

ب. ضمان الوصول إلى أهداف النظام السياسي للإسلام.

ج. إفشال مؤامرات وبرامج أعداء النظام.

د. مشاركة ومرافقة الناس في النظام السياسي والرقابة على حسن إجراء الأمور.

هـ. إيجاد أرضية مناسبة لإقامة الوظيفة الدينية، أي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وإقامة القسط والعدل[1]...

يقول السيد القائد في هذا الخصوص: «**إن سرّ عدم سقوط النظام أنه يعتمد على الناس. إن هذا الأمر، هام للغاية. إن الاعتماد على رأي الناس ليس سهل الحصول ولا يحصل في أي مكان... النتيجة، أن أكبر المخططيين السياسيين وأقوى شبكات التجسس في العالم، قد بنوا على أساس العمل ضد هذا البلد والنظام، ثم إن عملهم هذا لم يؤتِ ثماره بعد سبعة عشر عاماً...**»[2].

إذاً ينبغي للمبلِّغين المتديِّنين العارفين بالحقّ دعوة أفراد المجتمع للمشاركة الفاعلة في الأمور السياسية والانتخابية، وذلك بما يرضي الله تعالى، وبالتالي الحؤول دون عدم تدخلهم أو لا مبالاتهم.

(١) المشاركة السياسية، ص٢٢ و٢٥.

(٢) صحيفة الجمهورية الإسلامية، ١٣٧٤/١٠/٢٧، ص١٥.

يقول الإمام الخميني قدس سره: «**الجميع مسؤول أمام الله تعالى... الجميع مسؤول بدءاً من المراجع والعلماء الكبار إلى طبقة التجار والمزارعين والعمال والموظفين مسؤولون عن مصير البلد والإسلام؛ سواء في الجيل الحاضر أو الجيل القادم وفي بعض المقاطع فإن عدم الحضور والمسامحة هي معصية وهي على رأس المعاصي الكبيرة**»[1].

٢ . تبيين أهمية وضرورة الانتخابات

أشرنا إلى أن للانتخابات في الجمهورية الإسلامية الإيرانية أهمية عالية، كما أن رأي وانتخاب الناس يحمل قيمة واعتباراً خاصاً حيث يترك هذا الانتخاب تأثيراً كبيراً في مستوى اختيار المسؤولين وممثلي مجلس الخبراء ومجلس الشورى الإسلامي. وبوساطة الانتخابات يتدخل الناس بشكل مباشر في مصير مجتمعهم حيث يؤثرون في مستوى تحديد السياسات والبرامج والاتجاهات الطويلة الأمد في البلد.

إذاً، الانتخابات هي مرآة تجلي حضور ومشاركة الناس في تحديد مستقبلهم ومصيرهم حيث يجب على المبلغين توضيح هذه المسألة وتبيين كونها تكليفاً ومسؤولية دينية ـ وطنية، فلا يسمحون لأحد التهاون فيها.

يقول الإمام الراحل قدس سره: «**... الناس جاهزون للحضور في الانتخابات؛ لأن الناس يعتبرون البلد لهم ويعرفون أن مصير البلد بالانتخابات... آمل أن يشاركوا بشكل أكبر في الانتخابات، هذه وظيفة إلهية وهي وظيفة وطنية إنسانية يجب أن نعمل بها. يجب أن تكونوا جديين في مسألة حسن إجراء الانتخابات فيأتي الناس إن شاء الله ليدلوا بأصواتهم**»[2].

وفي هذا الإطار يجب على المبلغين الرجوع إلى الدستور لمطالعة مقدار تدخل ومشاركة الناس في الانتخابات سواء كان ذلك بشكل مباشر أو غير مباشر، كما

(١) الوصية الإلهية السياسية للإمام الخميني.
(٢) صحيفة النور، ج١٨، ص٢٥٣.

ينبغي التحدث إلى الناس حول وظائف ومسؤوليات كل شخص من العاملين في النظام على مستوى التخطيط وإصدار القوانين الموافقة للشرع، تحديد السياسات العامة، الرقابة على النشاطات الاقتصادية والثقافية في البلد، تنظيم العلاقات الدولية، حفظ الأمن والهدوء في البلد،... حتى إذا ظهر خلل ما يتمكن الناس ومن خلال الانتخاب الصحيح والمطلوب حلّ المعضلات التي قد تواجه البلد في المستقبل.

يقول الإمام الخميني قدس سره: «**أتمنى على العلماء المعظمين وأئمة الجمعة والجماعات المحترمين والمتحدثين الملتزمين في كافة أنحاء البلد، إعلام الناس الشرفاء بأهمية هذا الموضوع الحياتي والمصيري وإرشادهم إلى تكليفهم الشرعي**»[1].

يقول الإمام القائد: «**يجب على الناس اعتبار إيران بلداً متعلقاً بهم. إن مصير هذا الشعب وهذا البلد هو بأيدي كل واحد منكم. ويمكن اضفاء العزة والعظمة على هذا البلد عندما يريد الناس أن يشاركوا في الساحات السياسية**»[2].

٣ . نزاهة وسلامة أجواء الانتخابات

يتضح مما تقدم أن ما يندرج في المرحلة الأولى هو اعتبار وقيمة وأهمية أصل الانتخابات وإجراؤها بشكل سالم وواسع وهذا ما يصبو إليه السيد القائد. وفي المرحلة الثانية يبدأ الحديث عن اختيار الأشخاص الصالحين، المتدينين، الواعين، المعتقدين بمبادئ الدين، المدافعين عن المحرومين والقيم الأخلاقية والثورية.

تغلب على الانتخابات أجواء المنافسة والحرب الاعلامية والتنازع بين الأحزاب والأجنحة وتحصل بعض الأعمال أمثال خداع العوامّ وإعطاء الوعود الكاذبة التي

(١) م.ن، ج١٥، ص١٦٤.
(٢) حديث الولاية، ج٣، ص٦٩.

لا يمكن تطبيقها عملياً وبذل الجهود لاكتساب المقام والشهرة، ومن ثم يلي ذلك الاسراف والافراط في الأموال التي تدفع على الانتخابات وتدخل أصحاب الثروة والمال والمناصب عدا عن رواج الشائعات والاتهامات والاختلافات القومية والعرقية...

كل هذه الأمور تجعل من أجواء الانتخابات غير سالمة بالأخص على المستوى الأخلاقي مما يؤثر في حركة الناس وجديتهم ومشاركتهم واختيار غير الصالحين. هنا تبرز الوظيفة الكبيرة والثقيلة للمبلغين في إعادة الأجواء المطلوبة والسالمة إلى الانتخابات والدعوة إلى رعاية الشؤون والتعاليم الأخلاقية.

يؤكد الإمام الراحل على هذه المسألة ويقول: «**[يجب] أن تكون الانتخابات صحيحة**» و«**... أن يشعر الناس بأن مسألة الانتخابات تجري كما هو محدد في الدستور وكما يريده الإسلام**»[1].

ويوصي الإمام قائلاً: «**أنا أميل بشكل كبير إلى أن تراعي المجموعات الملتزمة والمعتقدة بالجمهورية الإسلامية وخدمة الإسلام، كمال الهدوء في المنافسات الانتخابية لاختيار ممثليهم وأن تربطهم ببعضهم علاقة التفاهم والصميمية والأخوة الإسلامية والابتعاد عن التفرقة والكدورة...**»[2].

إن أهم وظيفة للمبلغين هنا، الدعوة إلى رعاية الشؤون الأخلاقية وحفظ الحرمات والابتعاد عن الاسراف والتفريط، الحؤول دون استخدام امكانيات المساجد والمحافل الدينية في المصالح الشخصية، لَفت الناس إلى المعرفة الحقيقية بالمرشحين وعدم الالتفات إلى الحملات الاعلامية الظاهرية ورعاية عدم الانحياز والتدخل في الجدالات والمنازعات الجناحية ورعاية الاعتدال والوسطية في المنافسات.

(١) صحيفة النور، ج١٨، ص٣٥٢.
(٢) م.ن، ج١١، ص١٨٨.

الباب الثالث:

بدور في سماء التبليغ

- خواطر من حياة العلّامة الشهيد السيد محمد علي القاضي الطباطبائي
- ثلاث وصايا عرفانية لآية الله علي آغا القاضي

خواطر من حياة العلّامة
الشهيد السيد محمد علي القاضي الطباطبائي

عبد الكريم بك

ترتبط معرفة وتشخيص وظيفة العلماء الأعلام بمقتضيات الزمان والمكان، وهي المسؤولية الإلهية والاجتماعية الملقاة على عاتقهم، وعليهم أن لا يألوا جهداً في مقام القيادة الفكرية للمجتمع الإسلامي وأن يعتمدوا على الروحية العالية المرتكزة على الإيمان والعشق الإلهي من أجل الوصول إلى إيجاد تحول جذري في أفكار الناس والسير بهم نحو الأهداف الرسالية والقيم الإلهية، وأن يحافظوا على حدود العقيدة والإيمان لعموم الناس كما عليهم أن يواجهوا حملات الشياطين من الوسواسين والخناسين.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**علماء أمتي مرابطون**»، فهم مراقبون لحدود الإيمان التي تتعرض لهجمات الشياطين، ويقفون سداً منيعاً في وجه الغزو الذي يطال المستضعفين من ضعاف العقيدة والفكر.

ويكمل الإمام الصادق عليه السلام: علماء شيعتنا مرابطون في الثغر الذي يلي إبليس وعفاريته، يمنعونهم من الخروج على ضغفاء شيعتنا وعن أن يتسلط عليهم إبليس وشيعته والنواصب، ألا فمن انتصب لذلك من شيعتنا كان أفضل ممن جاهد الروم والترك والخزر ألف ألف مرة لأنه يدفع عن أديان محبينا وذلك يدفع عن أبدانهم[1].

يُعتبر العلامة آية الله الطباطبائي واحداً من جنود العقيدة المرابطين في متراس العلم والاجتهاد والفقاهة. وهذا العالم الجليل والمجاهد مُحيي الليل

---

(١) الاحتجاج، الشيخ الطبرسي، ج١، ص٨، منية المريد، الشهيد الثاني، ص١١٧.

بذل جهوداً كبيرة على طول حياته المباركة وقدَّم خدمات جليلة من أجل عالم الإسلام، لاسيما لانتشار فكر أهل البيت عليهم السلام حتى نال من خلال دفاعه عن كيان التشيع والمعارف الإلهية مرتبة الشهادة.

نظرة قصيرة في حياة آية الله القاضي الطباطبائي

وُلد آية الله السيد محمد علي القاضي الطباطبائي ابن المرحوم آية الله ميرزا باقر سنة ١٣٣١هـ.ش[١]. في مدينة تبريز من عائلة كريمة ومعروفة، وتلقى علومه الأولى على يدي والده وعمه آية الله الميرزا أسد الله في تبريز، وفي سنة ١٣٤٧هـ.ش. تم إبعاده مع والده إبان نهضة تبريز إلى طهران على يدي رضا خان.

وبعد انقضاء مدة الإبعاد في طهران تم إبعاده مجدداً لمدة سنة إلى مشهد، وفي هذه المدة تم هدم بيته وتسويته بالتراب بقرار من رضا خان بهلوي، وبعد انقضاء عدة أشهر على إبعاده عاد الى مدينة تبريز.

وفي سنة ١٣٥٩هـ.ش. قصد الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة وانشغل بتحصيل العلوم الدينية وتلقَّى علومه على أيدي المراجع العظام أمثال آية الله حجت، صدر، بروجردي،كلبايكاني، الإمام الخميني قدس سرهم. وبعد مضيّ عشر سنوات على تحصيله للعلوم في مدينة قم المقدسة على أيدي كبار المراجع العظام غادر إلى النجف الأشرف لينهل من معين المراجع العظام هناك من أمثال آية الله الحكيم، الصدر، آية الله عبد الحسين رشتي، الميرزا باقر الزنجاني، آية الله بجنوردي، آية الله محمد حسين كاشف الغطاء، وفي سنة ١٣٧٢هـ.ش. وبعد نيله أعلى المراتب في العلم والتقوى رجع إلى إيران وأقام في تبريز.

(١) ورد في كتاب مفاخر آذربايجان أنه ولد سنة ١٣٣٣ .

وكان للشهيد السيد القاضي الطباطبائي دور فعَّالٌ وحضور مؤثر في ساحات المواجهة مع النظام البهلوي أثناء ثورة الإمام الخميني سنة ١٣٤٢هـ.ش.، وساهم مساهمة فاعلة في تحقيق الأهداف الإلهية لقائد الثورة الإسلامية الإمام الخميني قدس سره.

هذا الحضور المؤثر دفع سلطة الشاه إلى اعتقاله وسجنه في سجن «**فرل**» ومن ثَمَّ تمَّ إبعاده إلى ضاحية بافت في مدينة كرمان وإلى مدينة زنجان، وانت هذه المضايقات الجسدية والروحية التي تعرض لها السيد الشهيد سبباً في مرضه مرضاً شديداً وإقامته في المستشفى لمدة ثلاثة أشهر، وبعد تماثله للشفاء، تم إبعاده من جديد إلى العراق، وبعد إنقضاء مدة الإبعاد رجع إلى إيران وسكن مجدداً في تبريز. إلا أنّ ذلك كله لم يجعله يترك دوره الفعال في الحضور ومواجهة النظام البهلوي.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية، استكمل دوره وخدماته القيمة من خلال تولي منصب ممثل الإمام الخميني في أذربايجان وإمامته جمعة تبريز، حيث تحمل من سبيل تحقيق أهداف الثورة الإسلامية أعباء كبيرة حتى كانت شهادتُه المباركة فارتفع شهيداً في سبيل الإسلام والقرآن.

نال السيد الشهيد فيض الشهادة أثناء عودته من مسجد (شعبان) بعد تأديته لصلاتي المغرب والعشاء على يد مجموعة ضالة أطلقت على نفسها اسم (الفرقان) فكانت شهادته مورد افتخار الإسلام والعلماء المجاهدين كما شكلت فضيحة عالمية لأعداء الإسلام.

في محراب العلم

من أهمّ الخصائص العلمية في شخصية آية الله القاضي علمه الوافر والغزير، فقد ترك مجموعة كبيرة من المقالات المفيدة والمحققة في عددٍ من المجلات

الصادرة باللغة العربية، وله مؤلَّفات عديدة في مجالات محتلفة تفوق الأربعين مؤلَّفاً منها ما هو مطبوع ومنها ما زال مخطوطاً، ومن جملة تأليفات هذا العالم الشهيد (باللغة الفارسية): تحقيق حول الأربعين، مقدمة كتاب جنة المأوى، تاريخ القضاء في الإسلام، تقريرات الأصول لآية الله حجت كوه كمرى، حاشية على كفاية الأصول للأخوند الخراساني...[1].

الإخلاص والتوسُّل

لا شكّ أنّ المناجاة في جوف الليل والتوسُّل بالنبي والأئمة الأطهار واحد من أهم أسباب التوفيق عند العلماء والأولياء الإلهيين، فالإنسان يستطيع من خلال التوسل الحقيقي أن يصل إلى مراتب عالية في تحصيل العلوم واكتساب الإخلاص وتهذيب النفس والتخلُّص من مختلف المشاكل التي تعترض حياته. فلا شكّ أنّ خلوات العرفاء وتهجُّدهم وإحياءهم الليل وتأدية نوافل الليل والنهار وبركات وأسرار السَّحَر تعطي السالك في سبيل الله الأمل والهدوء والطمأنينة.

وكما قيل: إنّ كلّ بركة منحها الله للعبد إنما هي ببركة دعاء الليل وأوراد السَّحَر.

ومن هنا فإن آية الله القاضي لم يكن لينقطع عن الذكر والتهجُّد والتعبد طيلة أيام حياته، فقد كان الدعاء والتوسل من أهم برامجه في الليل والنهار، وكان يعتبر أنّ سرّ توفيقه مرهون لهذه الخصلة فيه، فقد كتب في بعض مذكراته: «**عندما كنت أتلقَّى علومي في الحوزة العلمية في مدينة قم المقدسة وقبل مغادرتي إلى النجف الأشرف كنت أملك شوقاً كبيراً وميلاً خاصاً لتعلم مادة أصول الدين، وفي هذا الأمر لم أكن لأكتفي بتعلم الواجبات العامة والمطلقة، بل كنت أملك رغبة قوية بتعلُّم كافّة تفاصيل وفروع وحقائق أصول الدين، ومن جملتها فقد استمعت كثيراً لموضوع علم النبي** صلى الله عليه وآله وسلم **والإمام** عليه السلام **بغية**

(١) جريدة جمهوري إسلامي، العدد ٤١٧٧، وجريدة اطلاعات الصادرة بتاريخ ١٣٦٧/٨/١٠.

أن أمتلك اعتقاداً جازماً بهذا الأمر وعدم الاكتفاء بالظنّ والتخمين، بل حتى وعدم التقليد للآخرين، ومن أجل الوصول إلى هذه الغاية مددت يد التوسل بأهل بيت العصمة وسألت الأئمة الأطهار تحقيق هذه الرغبة.

وفي إحدى السنين كان من سعادتي أن وفقني الله لمجاورة المقام المطهر والقبر المنير للإمام الرضا عليه السلام، وكنت أجلس خلف الرأس المبارك داخل الحرم وكان مرادي هو التالي: أن أحصل على إشارة من الإمام الرضا عليه السلام تجعل اعتقادي بموضوع علم الإمام اعتقاداً جازماً وأن أفهمه فهماً تفصيلياً عميقاً، وأن ينكشف لي هذا الأمر وينجلي من خلال القرآن الكريم، وبقيت على هذه الحال عدة أيام مداوماً على التوسل بالإمام إلى أن حدث ذات يوم أني كنت داخل المقام وفي نفس المكان الذي كنت أجلس فيه مقابل الضريح وأنا مشغول بالتفكير في نفس الموضوع، فشعرت فجأةً بإلهام وقع في قلبي حول موضوع علم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والإمام عليه السلام وأن آية التطهير وحدها كافية لنفي أيّ جهلٍ أو عدم معرفة عنهم، فالله تعالى يقول ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

السعي من أجل وحدة المسلمين

لا شك أن مسألة وحدة المسلمين وتآلفهم لا تحتاج إلى استدلال أو برهان، وأن هذه المسألة جزء أساسي من أهداف وطموحات القادة والعلماء الغيارى في العالم الإسلامي. كما أنّ إنقسام المسلمين وتفرقتهم من أشد أسباب ذلة المسلمين وانكسارهم، ولذلك فقد كان آية الله القاضي لا يألو جهداً ولا يوفر فرصةً في هذا المضمار إلا ويستفيد منها إلى هذه الدعوة، لأنه كان يعتقد اعتقاداً راسخاً بالمقولة التي اشتهرت عن استاذه العلامة محمد حسين آل كاشف الغطاء

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣.

بأن «**حصن الإسلام في كلمتين: كلمة التوحيد وتوحيد الكلمة**».

كتب آية الله القاضي: أذكر يوماً كنت في مدينة الرمادي عائداً من سورية إلى العراق وكان الوقت أوشك على الغروب، فتوقفنا لأداء صلاة المغرب ثم إكمال المسير، فتوضأت ودخلت الساحة الكبيرة للمسجد وكانت مفروشةً بالحصير، فوقفت للبدء بالصلاة فرأيت عدداً من الشبان من أهل السنة وقفوا على بعد أقدامٍ مني، وعلمت أنهم يريدون أن يعلموا كيف سأسجد سيما أني وضعت سجدةً فوق الحصير وكذلك فعل أكثر رفاقي الذين كانوا معي اقتداءً بي، وبعد الفراغ من الصلاة تقدم بعضهم وسأل عن حقيقة السجود على التربة الكربلائية التي كان البعض قد وضعها أمامه، وفي واقع الأمر فقد شرحت لهم المسألة بالتفصيل وأبدوا قناعة بالموضوع وكانوا ممتنين جداً وقالوا إنّا كنا نظلمكم نظراً لما كانوا يلقنوننا إياه عنكم في هذه المسألة[1].

القوة والشهامة

كان آية الله القاضي واحداً من مصاديق قول أمير المؤمنين في حديثه عن رجال الله: «**عظم الخالق في أنفسهم فصغر ما دونه في أعينهم**»[2]، فقد كان واحداً من العلماء المجاهدين الذين وقفوا سنين طويلة علناً وبكل شجاعة في مواجهة النظام البهلوي أثناء أوج قدرته، وكان يحقّر أزلام النظام ويستهزئ بهم متوكلاً على الله وحده، ولم يترك ساحة المواجهة هذه أو يتخلى عن دوره ولو للحظةٍ واحدة. وفي هذا المقام نقتصر على ذكر خاطرتين فقط في هذا الجانب من حياته:

١. عندما كانت الثورة الإسلامية في أوج نهوضها في أيام جريمة ١٥ خرداد ١٣٤٢هـ.ش. قام النظام الشاهنشاهي بدعوة جمعية العلماء المجاهدين في

(١) تحقيق حول الأربعين، ص٢٨٠. (فارسي).
(٢) نهج البلاغة، خطبة ١٩٣.

آذربايجان إلى غرفة التجارة في مدينة تبريز من أجل الحوار وإيجاد حل سياسي للأزمة السياسية التي تعصف بالبلاد والبدء بعملية الإصلاح، وفي هذا الجمع قام آيه الله القاضي من مكانه ووقف منفرداً وبكل شجاعة وبدون أي خوف وصاح باتباع النظام قائلاً: «**أنتم ماذا تريدون منا؟ نحن لا نريد منكم إلا احترام القانون**».

هذه الجملة القاسية أربكت قائد الفيلق الذي كان يحاوه وأدّت إلى مشادّة كلامية قاسية بينهما، فما كان من أتباع النظام إلا أن اعتقلوا هذا الرجل الحر والشجاع ووضعوه في طائرة وتم إبعاده عن تبريز، وبعد سنتين عاد إلى دياره مكلَّلاً بالنصر واستقبله أهالي آذربايجان استقبالاً لائقاً.

استاء النظام من هذا الاستقبال الحاشد لآيه الله القاضي كونه كان سبباً عفوياً في انعقاد النطفة الأولى لمشروع المواجهة مع النظام الجائر[1].

وكان آية الله القاضي يرتقي المنبر دائماً ويُطلق البيانات النارية في وجه النظام أثناء أوج قدرته والتي كانت تشكل زلزالاً في أرواح هؤلاء الطغاة وأزلامهم والتي كانت تسري كالنار في الهشيم في توعية الناس. وهذا الموقف القاطع والجازم في وجه الطغاة ووقوفه الثابت وغير المهادن في وجه أبواق الزور كان يقابله العالم المؤدب والمتواضع والرحيم لإخوانه وأصحابه المؤمنين، وهذه علامة أخرى من علامات أحباء الله ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[2].

٢. عندما كان يمثل أمام أزلام المخابرات (ساواك) فإنه كان يقف بكل شجاعة بدون أي ضعفٍ أو خوف، بل على العكس فقد كانت روحيته روحية إباء ومقاومة في وجههم.

(١) جريدة كيهان الصادرة بتاريخ ١٢/٨/ ٥٨ .
(٢) سورة المائدة، الآية: ٥٤ .

ففي فترة إبعاده إلى منطقة كرمان كان أحد رجال المخابرات يدخل عليه في محلّ إقامته بأمر من المؤسّسة التابع لها للقيام بتفتيش عن الحضور والغياب، وكان - وفقاً للتعليمات المعطاة له - يدخل بكلّ وقاحة وجرأة إلى وسط الغرفة بحذائه من الشباك بدل دخوله من الباب، ويصيح بهم بمنتهى الغرور والتكبر آمراً إياهم بصوت خشن: بسرعة، تحركوا.

مرت عدة أيام على هذا المنوال وآية الله القاضي يذكره بضرورة رعاية الأدب والاحترام لكن ذلك المتعجرف المغرور لم يكن لينصت للنصائح المهذبة لذلك العالم الرباني صاحب الضمير اليقظ ولم يترك فعلته التي لا تتوفر فيها أي شكل من أشكال الخجل والحياء حتى دخل يوماً إلى وسط الغرفة بنفس تلك الطريقة التي اعتاد الدخول بها فما كان من آية الله القاضي إلا أن تناول كتاباً ثقيلاً وضخماً من كتبه وضربه به على رقبته ضربةً محكمة وصاح به: يا قليل الأدب، ألم أقل لك أن تكون مؤدباً[1]؟! فما كان من ذلك المغرور إلا أن ترك الغرفة بمنتهى الخوف والجبن ولم يعد يكرر فعلته تلك منذ ذلك اليوم.

عشقه للكتاب والمطالعة

كان آية الله القاضي شغوفاً جداً بالمطالعة بل لا نظير له في القراءة وتتبع المسائل العلمية، وإذا تناول حصل على كتابٍ فلم يكن ليضعه في المكتبة قبل أن يكمل مطالعته، وكانت مكتبته منظمة جداً وتحتوي على الكثير من الكتب القيمة التي ورثها عن أجداده أو اشتراها بنفسه، فقد كانت مكتبته تضمُّ ما يزيد عن خمسة عشر ألف كتاب وأكثر من ألف نسخة مخطوطة ونادرة، ومن هنا فقد كانت واحدةً من المكتبات القيمة والصروح العلمية في مدينة تبريز.

(١) القاضي الطباطبائي، ص٧٥، (فارسي).

وكان عندما يُحضر كتاباً ما فإنه يتصفحه بشكلٍ عامّ، ثم إن كان ممكناً فإنه يقرأ الكتاب كاملاً، وإلا فإنه يقرأ فصلاً أو بعضاً من فصوله، وشيئاً فشيئاً يبدأ بتحقيق موضوعاته بدقة، ويضع علامة على حاشية الكتاب في كل مكان يحتاج إلى ردّ أو توضيح، ثم يدوّن ملاحظاته الإيجابية وانتقاداته على حاشية تلك الصفحة.

الاهتمام بشريحة الشباب

استلهم العالم الحكيم آية الله القاضي من الإمام الصادق عليه السلام ضرورة الاهتمام بالشباب فقد ورد عنه عليه السلام: «**عليكم بالأحداث فإنهم أسرع إلى كل خير**»[1]، فعمل بشكلٍ مهم على رفع المستوى الثقافي لشريحة الشباب وعلى ترسيخ الأصول الدينية والأخلاقية لمنهج أهل البيت في نفوس وعقول هؤلاء الشباب، وفي الوقت الذي أُقفلت فيه أبواب مدينة تبريز في وجه الثوار وخصوصاً الشباب خوفاً من النظام فإن هذا العالم العظيم الشأن فتح باب بيته لهم وقدّم لهم الحماية الكاملة وعمل بجدّ واجتهاد على تربيتهم وأنار لهم طريق الإسلام والثورة وعلمهم كيفية الحياة بهذا الدين العزيز، واستطاع أن يُحّول المجتمع إلى مجتمعٍ يعشق الإيمان والمعنويات، وما زال الشباب يملكون خواطر وذكريات كثيرة عن الشهيد السعيد وتوجيهاته النيّرة التي بعثت فيهم الحياة في تلك الفترة.

كرم أخلاقه

في إحدى المناسبات، دخل إلى منزله أحد رجال الدين المعادين للثورة زائراً، وبدون أي تردد وقف له آية الله القاضي وسلّم عليه وأبدى له كامل الاحترام، وبعد مغادرته سأله أحد المقرّبين منه: لماذا أبديت هذا الاحترام الشديد لهذا الرجل المعادي لك؟ فأجابه السيد القاضي: لسببين اثنين، فأولاً لأنه ضيفنا واحترام

(١) الكافي، ج٨، ص٩٣.

الضيف واجب حتى وإن كان عدواً لنا، وثانياً فإنه يرتدي زي رجال الدين ويجب المحافظة على قداسة هذا الزي[1].

شوكة في أعين الأعداء

تماماً كما عمل آية الله القاضي بكلّ جهد على تحقيق أهداف الإسلام والدفع قدماً نحو القيام بالثورة فإنه وقف سدّاً منيعاً في وجه أجواء الفتنة وعمل على مواجهتها والتصدي لها مما جعل الأعداء يظهرون له البغض والكراهية فراحوا ينشرون عنه الأكاذيب ويلفقون له التهم الباطلة ويهددونه بالقتل، إلا إنه وقف بكل شجاعة في وجه هذه التهديدات قائلاً: «**أبالقتل تهددونني؟! فأنا لا أخاف الشهادة، وحاضر لها، بل إني أطلبها من الله**»، فلقد كان إيمانه راسخاً بكلام الله تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ﴾، فقاومهم بكل إرادة وثبات مشكّلاً سدّاً منيعاً في وجه المعارضين للدين والأحكام الإلهية.

وهذه الحقيقة يمكن مشاهدتها في ملفات المخابرات الإيرانية (ساواك)، فقد جاء في أحد هذه الملفات أنّ رئيس جهاز الأمن في منطقة آذربايجان الشرقية كتب عن آية الله القاضي يقول: «**من الأسماء المشهورة أحد رجال الدين المعارضين للنظام في آذربايجان الشرقية، بل هو على رأس هؤلاء المعارضين، وقد إزداد نشاطه وفعاليته سنة ١٣٤٢هـ.ش. وأصبح يعارض الدولة واللوائح السداسية (وهي لوائح متبناة من قبل النظام) بشكلٍ علني وبدأ بتوهين وتحقير المقامات العالية وأجهزة المخابرات والمؤسّسات الإدارية في الدولة، ويُشار إلى أنه أثناء انتخابات عام ١٣٤٢هـ.ش. حرّم المشاركة بها وأصدر بياناً تضمَّن مطالب قاسية حول الإنتخابات وبعض المسائل المتعلقة بها، وهناك مستندات موجودة تؤكد أنه كان دائماً يعمل**

(١) القاضي الطباطبائي، ص١٠٣.

على توهين المسؤولين والبرامج الإصلاحية للنظام وأنه كان يُسند هذه البيانات إلى رأي الخميني» .

وفي عيد الفطر سنة ١٣٨٨هـ.ق الموافق لسنة ١٣٤٧هـ.ش. ارتقى المنبر في مسجد المقبرة وتحدث بخطبة رائعة عن وضع الأخوات وظهورهنّ في الساحات العامة، وأبدى مجموعة من الآراء التي يجب على الأخوات التنبه لها كونها تنافي العفاف الاجتماعيّ العامّ، كما تعرض في خطبته إلى بعض الآراء حول موضوع الأقليات المذهبية مما دفع المنظمة الأمنية في تلك المحافظة إلى اعتقاله ووضعه تحت الإقامة الجبرية لمدة ستة أشهر بقرار صادر عن الفرع الثاني من محكمة المحافظة.

مواجهته لإسرائيل

جاء في رسالة أرسلها لآية الله العظمى الميلاني في ١٥ شوال ١٣٨٨هـ.ق. من صحراء كرمان يبين فيها سبب الحكم عليه بالإبعاد أنه: عندما خرجت من المسجد ليلاً بعد أن أدَّيتُ فريضة الصلاة تم اعتقالي وإبعادي إلى هذه الصحراء، وهنا قالوا لي إنه عليَّ أن أبقى مدةً من الزمن في هذا المكان لأن الخطبة التي تحدثت بها يوم العيد تضمَّنت اللعن على اليهود (خذلهم الله وأخزاهم)، ومع أني هنا وحيد ولا يوجد أي اهتمام لكن لطف ومحبة الناس هنا على اختلاف طبقاتهم في هذه المنطقة أزالا عني آثار الغربة والبعد، وأني مسرور فعلاً لأني تفاجأت بذلك في مكان إبعادي.

أشعاره التوحيدية

يعتبر الشعر والفن من أهمّ الوسائل التي يعتمدها العلماء والمبلِّغون من أجل إيصال المضامين المعنوية والعرفانية في الفكر الديني، ولم يكن السيد القاضي مستثنىً من هذه القاعدة، بل كثيراً ما كان يعتمد الشعر في إيصال النغمات التوحيدية إلى آذان المشتاقين.

الغيرة والحسّ الديني

عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله تبارك وتعالى غيور ويحبّ كل غيور**»[1].

يعتبر الحس الديني والغيرة للدفاع عن القيم الدينية من لوازم الإيمان الكامل في شخصية المؤمن، فالإنسان المؤمن يتجه تلقائياً لمواجهة أي انحراف في كلام الأعداء من شأنه أن يُشكِّل خطراً على الكيان الإسلامي، ويواجه كافة الخلافات والآراء الدينية والاجتماعية الشاذة.

وعلماء الدين من الذين يمتلكون حساسية عالية في هذه الخصوصية، ومنهم آية الله القاضي الذي كان عالماً يتمتع بهذه الخصوصية من الغيرة والحسّ الديني المرهف والتي تجسّدت في مراحل مختلفة من حياته من خلال الدفاع عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والقيم الدينية.

فعندما انتشرت بعض كتابات أحد الكتّاب التي يتطاول فيها على بعض الأصول القيمية للشيعة، والتي شكّلت هجوماً قاسياً على الحدود العقائدية لعالم التشيع، فإن آية الله القاضي وبمجرد اطلاعه على هذا الأمر غضب غضباً شديداً وتغير لونه واضطربت حالته، ولم تمر بضعة أيام إلا وآية الله القاضي كان قد أعدّ الردَّ المناسب على تلك الآراء وبما يليق وذلك الكاتب.

أنتشر خبر هذه المواجهة الفكرية كالنار في الهشيم، فتصدَّى أحد العلماء المقتدرين وأحد حرّاس العقيدة وهو الحاج محمد علي الأنصاري وقام بكتابة هذه الردود الواردة عن آية الله القاضي بطريقة فصيحة وبليغة وتم طبعها في كتاب أسماه «**الإجابة على علماء السوء**» تضمن الرد عل هذيان وثرثرة هؤلاء الكتّاب، وتم نشر الكتاب، ومرة أخرى عمّ الفرح والسرور بانتشار هذا الكتاب وشكّل ذلك موجة فرح عارمة وكان ذلك بحضور آية الله القاضي الذي أشاد

(١) مشكاة الأنوار، ص ٤١٥.

بالمؤلِّف الصديق وبالقيمة العلمية والأدبية للكتاب، وطُبع من هذا الكتاب آلاف المجلدات وتم توزيعها في المنطقة وبذلك تم القضاء على أحد مخططات الشؤم لأعداء الإسلام[١].

السيد القاضي في نظر كبار العلماء

١. العلامة السيد محمد حسين كاشف الغطاء

جاء في رسالةٍ يخاطب فيها السيد القاضي قائلاً له: أيها السيد الكبير، أيها العالم العالي المقام.... نحن نرى ونتابع إرشاداتكم وتعليماتكم التي تركت أثرها النافع والمفيد لأهالي آذربايجان عموماً وأهالي تبريز خصوصاً، وأن سرعة تأثير خدماتكم القيمة والجليلة في نصرة الحقّ وحضّ الباطل أمر ملموس ومحسوس. وعليه فأي شخصٍ أفضل منكم أو مقدمٌ عليكم في نصرة الحق بعد الذي تقدمونه[٢]!

٢. حضرة الإمام الخميني قدس سره قائد الثورة الإسلامية الإيرانية

يقول الإمام الخميني قدس سره في إحدى كلماته في شأن السيد القاضي بعد وفاته: السيد القاضي من الأصدقاء القدامى الذين تربطني بهم علاقات قديمة، وقد تعرض لدخول السجون وللنفي والإبعاد، وهو واحد من الأفراد الذين تعرضوا للإرهاب وغاية النظام في ذلك أن يجعلكم يائسين ومحبطين[٣].

وفي حديثٍ آخر يخاطب بزجر أزلام أمريكا: «**أيجب علينا أن نحفظ ونصون الطبّاخين الأميريكيين والميكانيكيين الأميريكيين والإدارات الأميريكية والموظفين والفنيين وعائلاتهم، والسيد القاضي يبقى سجيناً**»[٤]؟!

(١) القاضي الطباطبائي، ص ١١١.
(٢) الفردوس الأعلى، ص٦٤ ،
(٣) صحيفة إمام، ج١٠، ص٤٥٢ .
(٤) همان، ج١، ص ٤٢١ .

٣. آية الله العظمى الكلبايكاني

كتب آية الله العظمى الكلبايكاني الذي كان أحد أساتذة السيد القاضي عن شخصية هذا العالم الشهيد: كان من الوجوه العلمائية البارزة وأحد أبناء الإسلام العزيز، وكانت خدماته القيمة وآثاره العلمية والكتبية زينة المكتبة الشيعية فضلاً عن كونه من السلالة الطاهرة لأهل البيت عليهم السلام ومن العشّاق المخلصين لنهج سيد الشهداء عليه السلام [1].

وأيّد كبار علماء الشيعة الدرجات العلمية والمعنوية الرفيعة التي نالها سماحة السيد القاضي وأثنوا كثيراً على مقامه العلمي وكانت جهوده المباركة مورد تأييد واحتفاء وعناية الكثير من العلماء الأعلام، نذكر هنا بعض المشاهير من هؤلاء أمثال: العلامة الشيخ آغا بزرك الطهراني، آية الله السيد محمد كوه كمرى، العلامة المجاهد السيد عبد الحسين شرف الدين العاملي، العلامة المجاهد الشيخ محمد حسين كاشف الغطاء، آية الله الحكيم، الإمام الخميني، آية الله الكلبايكاني، آية الله الخوئي، آية الله المرعشي النجفي، العلامة الطباطبائي، آية الله الشاهرودي (مرجع الشيعة في النجف)، والسيدة العلوية الهاشمية المعاصرة نصرت أمين الأصفهاني.

روحية طلب للشهادة

كان آية الله القاضي يعتبر الشهادة أملاً عظيماً وكان يتوسّل ويطلب من الله بكلّ خضوع أن يرزقه هذه الأمنية الجميلة ويردد: «**يا ليتني أشرب من كأس الشهادة كما شرب منها الشهيد المطهري**»، وفي النهاية ففي العاشر من شهر آبان وبعد مرور ستة أشهر على استشهاد العلامة المطهري نال السيد القاضي أمنيته بالشهادة.

(١) جريدة كيهان الصادرة بتاريخ ٥٨/٨/١٢ .

كتب الإمام الخميني قدس سره في جزء من بيان التعزية بشهادة آية الله القاضي:

إنّ الشهادة تعني الافتخار بالفوز بالحياة الأبدية ومصباح هداية الأمم، وعلى الأمم الإسلامية أن تتخذ المجاهدين في سبيل الحرية والاستقلال وتحقيق أهداف الإسلام نموذجاً وقدوةً لها، وأن تقف سدّاً منيعاً من خلال اتحادها في وجه الاستعمار والاستثمار. فإلى الأمام نحو الحرية والحياة الكريمة للإنسان. نسأل الله المتعالي الرفعة والعظمة للإسلام وللشهداء الرحمة والمغفرة لا سيما الشهيد السعيد السيد الطباطبائي[1].

(١) صحيفة إمام، ج١٠، ص٤٢٠.

ثلاث وصايا عرفانية لآية اللّه علي آغا القاضي (رضوان الله عليه)

م. قهرمانيان

إنّ الهدف من خلق الإنسان هو الوصول إلى القرب الإلهي، وأمَّا هذا الهدف فلا يتحقّق من دون التزكية وتهذيب النفس. أشار اللّه تعالى في الآيات الأولى من سورة الشمس إلى ضرورة وأهمية تزكية وتهذيب النفس ثم بَيَّن بعد قسم مكرر وقاطع وتأكيد كبير[١] على أن: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾[٢].

ونحن نعلم أنّ القسم في القرآن الكريم كلما كان محكماً قاطعاً، فهو يشكل دليلاً على أهمية المسألة وكونها مصيرية وأساسية؛ لذلك كان لتهذيب النفس موقع عالٍ في حياة الإنسان فإذا أراد الإنسان الفلاح، يجب عليه أن يبادر إلى التزكية وإلا كان محروماً من السعادة والفلاح.

من جهة أخرى التزكية غير ممكنة من دون أستاذ وبرنامج ووصايا عملية محددة. لذلك كان وجود هذه الأمور ضرورياً.

يقول الإمام الخميني قدس سره: «**التفتوا، لا تفرقوا بعد خمسين عاماً في جهنم بعد كد اليمين وعرق الجبين، فكروا في تنظيم برنامج للتهذيب وتزكية النفس وإصلاح الأخلاق؛ وعينوا أستاذاً محدداً الأخلاق**»[٣].

---

(١) في الآية الشريفة أحد عشر قسماً وثلاثة عشرلا تأكيد.

(٢) سورة الشمس، الآيتان ٩ ـ ١٠.

(٣) روح الله الموسوي الخميني، الجهاد الأكبر، طهران، انتشارات أمير كبير، ١٣٦٠، ص٣١.

يعتبر آية الله القاضي قُدِّسَ سِرُّهُ واحداً من كبار علماء الأخلاق حيث تُعَدّ وصاياه الأخلاقية منارة لدروبنا التي نستفيد منها في الوصول إلى مراحل المعنويات العالية.

يتحدث الإمام الخميني قُدِّسَ سِرُّهُ حوله قائلاً: «**كان القاضي جبلاً من العظمة ومقام التوحيد**»[1].

يقول العلامة الطباطبائي قُدِّسَ سِرُّهُ: «**إن كل ما لدينا في هذا الخصوص، هو من المرحوم القاضي. إن كل ما تعلمناه في حياته واستفدناه من محضره، وأن الطريق الذي نسير به، كل ذلك من المرحوم القاضي**»[2].

يقول آية الله السيد هاشم الحداد: «**منذ صدر الإسلام وحتى اليوم، لم يأتِ عارف بجامعية المرحوم القاضي**»[3].

في هذا المقال تم جمع ثلاث وصايا أخلاقية وعرفانية عن آية الله القاضي، وقد عملنا في الحاشية على الإشارة إلى شواهد عن أحوال ذاك العارف التقي بما يتناسب مع الفقرات المختارة من الوصايا.

(١) محمد حسين حسيني الطهراني، الروح المجرد، طهران، انتشارات حكمت، ١٤١٤هـ.ق، ص ٢٨٥.
(٢) صادق حسن زاده، قدوة العرفاء، قمك، انتشارات آل علي، الطبعة الخامسة، ١٣٧٩، ص٧١.
(٣) الروح المجرد، ص١٧٤.

الوصايا الأخلاقية

الوصية الأولى

كان آية الله السيد علي القاضي يطلب من طلبته وتلامذة السير والسلوك كتابة رواية عنوان البصري في سبيل تجاوز مرحلة النفس الأمّارة والأهواء النفسانية ومن ثم العمل طبقها؛ أي أن أحد أهم وصاياه العمل طبق مضمون هذه الرواية. وفي هذا الاطار كان يقول: يجب أن تحتفظ بها في جيبك وعليك أن تطالعها مرة أو مرتين في الأسبوع. إن هذه الرواية هامة للغاية وهي تحتوي على مطالب جامعة تبين كيفية المعاشرة والخلوة وكيفية ومقدار الطعام وكيفية تحصيل العلم وكيفية الحلم ومقدار التواضع وتَحّمل الشدائد أمام الافتراءات. وفي النهاية تبين مقام العبودية والتسليم والرضا والوصول إلى أعلى قمم العرفان والتوحيد. لذلك كان لا يقبل من تلامذته عدم الالتزام بمضمون هذه الرواية[1].

ينقل عنوان البصري هذه الرواية عن الإمام الصادق عليه السلام حيث سنحاول الاكتفاء بجزء منها رعاية للاختصار، فنركز على الجزء المتعلق ببعض الوصايا. سأل عنوان البصري الإمام الصادق عليه السلام عن حقيقة العبودية، فكان جواب الإمام عليه السلام: «**ثلاثة أشياء: أن لا يرى العبد لنفسه فيما خَوَّله الله ملكاً لأن العبيد لا يكون لهم ملك، يرون المال مال الله يضعونه حيث أمرهم الله به ولا يدبر العبد لنفسه تدبيراً وجُمْلَةُ اشتغاله فيما أمره تعالى به ونهاه عنه، فإذا لم يَرَ العبد لنفسه فيما خَوَّله الله تعالى ملكاً هان عليه الانفاق فيما أمره الله تعالى أن ينفق فيه وإذا فوض العبد تدبير نفسه على مدبره هان عليه مصائب الدنيا،**

(١) محمد حسين حسيني الطهراني، الروح المجرد، انتشارات حكمت، ١٤١٤هـ.ق، ص١٧٥.

وإذا اشتغل العبد بما أمره الله تعالى ونهاه لا يتفرغ منهما إلى المراء والمباهاة مع الناس.

فإذا أكرم الله العبد بهذه الثلاثة هان عليه الدنيا وابليس والخلق ولا يطلب الدنيا تكاثراً وتفاخراً ولا يطلب ما عند الناس عزاً وعلواً ولا يدع أيامه باطلاً. فهذا أول درجة التقى. قال الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾»[1].

ثم إن عنوان البصري طلب من الإمام عليه السلام أن يوصيه.

قال عليه السلام: «**أوصيك بتسعة أشياء فإنها وصيتي لمريدي الطريق إلى الله تعالى والله أسأل أن يوفقك لاستعماله. ثلاثة منها في رياضة النفس وثلاثة منها في الحلم وثلاثة منها في العلم فاحفظها وإياك والتهاون بها**».

ثم إنّ عنواناً أفرغ قلبه للإمام عليه السلام الذي شرع قائلاً: «**أما اللواتي في الرياضة فإياك أن تأكل ما لا تشتهيه فإنه يورث الحماقة والبله ولا تأكل إلا عند الجوع وإذا أكلت فكل حلالاً وسمّ الله واذكر حديث الرسول** صلى الله عليه وآله وسلم: «**ما مَلأَ أدميٌّ وعاءً شراً من بطنه. فإن كان ولا بد فثلث لطعامه وثلث لشرابه وثلث لنفسه**».

وأما اللواتي في الحلم فمن قال لك «**إنْ قلت واحدة سمعت عشراً**»، فقل: «**إن قلت عشراً لم تسمع واحدةً**» ومن شتمك فقل له «**إن كنت صادقاً فيما تقول فاسأل الله أن يغفر لي وإن كنتَ كاذباً فيما تقول فالله أسأل أن يغفر لك**» ومن وعدك بالخنى فَعُدَّهُ بالنصيحة والرعاء.

وأما اللواتي في العلم: «**فاسأل العلماء ما جهلتَ وإياك أن تسألهم تعنتاً وتجربةً وإياك أن تعمل برأيك شيئاً وخذ بالاحتياط في جميع ما تجد إليه سبيلاً واهرب من الفتيا هربك من الأسد ولا تجعل رقبتك للناس جسراً.**

قم عني يا أبا عبد الله فقد نصحت لك ولا تفسد عليَّ وردي فإني امرُؤٌ ضنينٌ بنفسي والسلام على من اتبع الهدى»[2].

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) محمد باقر المجلسي، بحار الأنوار، ج١، الباب ٧، آداب طلب العلم وأحكامه، ص٢٢٥ ـ ٢٢٦.

الوصية الثانية

بسم الله الرحمن الرحيم

بعد حمد الله جل شأنه والصلاة والسلام على رسوله وآله. أيها السيد فإن كافة هذا الخراب ومن جملة ذلك الوسواس وعدم الطمأنينة، هو من الغفلة وأدنى مراتب الغفلة، الغفلة عن الأوامر الإلهية، وللغفلة مراتب أخرى لا تصل إليها إن شاء الله تعالى، وأما سبب كافة الغفلات، الغفلة، عن الموت وتخيل البقاء في الدنيا. وعليه إذا أردت الأمان من كافة أنواع الخوف والوساوس، فكر باستمرار في الموت والاستعداد للقاء الله تعالى، وهذا هو الجوهر الثمين ومفتاح السعادة في الدنيا والآخرة. إذاً فكر ولاحظ ما الذي يمنعك ويشغلك عنه، إذا كنت عاقلاً! ولتسهيل هذا المعنى، أكتب عدة أمور واستعِنْ بها:

الأول وبعد تصحيح التقليد أو الاجتهاد واظب بشكل تام على الفرائض الخمس في أحسن الأوقات والسعي أن يكون خضوعك وخشوعك يوماً بعد يوم أفضل مما مضى واقرأ تسبيح الصديقة الطاهرة عليها السلام بعد كل صلاة، واقرأ آية الكرسي كذلك وصلي سجدة الشكر واقرأ سورة «**يس**» بعد صلاة الصبح، و«**الواقعة**» في الليالي وواظب على النوافل الليلية وقراءة المستحبات[1] في كل ليلة قبل النوم واقرأ المعوذات في الشفع والوتر واقرأ الاستغفار سبعين مرة في ذلك وبعد صلاة العصر واقرأ الذكر الآتي بعد صلاة الصبح وصلاة المغرب أو في الصباح والعشاء عشر مرات: «**لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الحمد وله الملك وهو على كل شيء قدير، أعوذ بالله**

(١) يقول العلامة الطباطبائي أن السور المستحبات هي التي تبدأ بيسبح أو سَبَّح وهي خمس: سورة الحديد والحشر والصف والجمعة والتغابن.
وفي الرواية أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يقرأ هذه السور الخمس قبل النوم من كل ليلة. وعندما سئل عن السبب أجاب الرسول صلى الله عليه وآله بأن في كل هذه السور آية تعادل ألف آية من القرآن. (محمد حسين، الحسيني الطهراني، مهرتابان، قم، انتشارات باقر العلوم عليه السلام، ص ١٥٦ ـ ١٥٧).
يقول العلامة الطباطبائي أن المرحوم القاضي كان يوصي أولاً بالذكر اليونسي ثم بالمستحبات حيث يطلب تلاوتها كل ليلة. (حسن، حسن زاده الآملي، ألف مسألة ومسألة، قم، مركز رجاء للنشر الثقافي، الطبعة ٢، ١٣٥٦، ص٥ ـ ٦).

من همزات الشياطين وأعوذ بك ربي أن يحضرون إن الله هو السميع العليم». داوم على هذا الأمر مدة فقد يحصل طلب الاستقامة[١]، إن شاء الله تعالى[٢].

الوصية الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على الرسول المبين ووزيره الوصي الأمين وأبنائهما الخلفاء الراشدين والذرية الطاهرين والخلف الصالح والماء المعين، صلى الله وسلم عليهم أجمعين.

قال عز من قائل: ﴿وَمَن يَعْتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدْ هُدِىَ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾[٣]. وقال: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ﴾[٤]. وقال جل جلاله العظيم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾[٥].

الإخوة الأعزاء، لقد وفقكم الله تعالى لطاعته، فالتفتوا إلى أننا دخلنا الأشهر الحرم، فما أعظم النعم الإلهية علينا! يجب علينا وقبل أي شيء التوبة طبق الشروط الضرورية والصلوات الخاصة ثم الابتعاد عن المعاصي الكبيرة والصغيرة قدر المستطاع.

إذاً صلّوا صلاة التوبة ليلة الجمعة أو يوم السبت[٦] ثم أعيدوا ذلك يوم الأحد الذي هو اليوم الثاني من الشهر.

ثم الزموا المراقبة الصغرى والكبرى ومن ثم محاسبة ومعاتبة النفس بما هو لائق ولازم لها[٧]. وفي ذلك ذكرى لمن أراد أن يتذكر أو خاف الله تعالى ثم توجهوا

(١) يقول العلامة حسن زاده الآملي، كتب المرحوم الآغا بزرك الطهراني في طبقات أعلام الشيعة حول آية الله القاضي: «فرأيته مستقيماً في سيرته» وهي كلمة كبيرة جداً، لأن نزول البركات هو في ظل الاستقامة. ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (سورة فصلت، الآية: ٣٠).

(٢) صادق حسن زاده، قدوة العارفين، قم، انتشارات آل علي، الطبعة الخامسة، ١٣٧٩، ص١٢٨ ـ ١٢٩.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ١٠١.

(٤) سورة هود، الآية: ١١٢.

(٥) سورة فصلت، الآية: ٣٠.

(٦) جرى توضيح هذه الصلاة في مفاتيح الجنان، أول أعمال شهر ذي القعدة.

(٧) المقصود من المراقبة الصغرى، محاسبة النفس من جهة صدور المعصية والخطأ حتى ترك المستحبات وارتكاب المكروهات والمراقبة الكبرى، هي دوام الذكر، والتوجه وعدم الغفلة عن الله في حدود الامكان.

بقلوبكم إلى الله تعالى وداووا الأمراض التي جاءت على أثر المعاصي وذلك من خلال الاستغفار ولا تصغر العيوب الكبيرة. ابتعد عن هتك الحرمات، فإذا هتك الشخص الحرمة، فالله كريم لم يهتك حرمته.

أين الأمل في النجاة لقلب دخلت فيه الشبهة والشكّ وأصبح مبتلى؟ بل يجب اقتفاء أثر الصالحين وشربه كالماء الزلال، والله المستعان على نفسي وأنفسكم وهو خير معين.

١ . أوصيكم بالصلوات في أفضل الأوقات وأكثرها فضيلة[١] وأدوا تلك مع النوافل الإحدى والخمسين ركعة، فإذا عجزتم صلوا الأربعة والأربعين ركعة وإذا لم تسمح لكم مشاغل الدنيا، فصلوا على الأقل صلاة الأوابين (صلاة أهل الانابة والتوبة ثماني ركعات عند الزوال).

٢ . أما صلاة الليل فلا مفر منها للمؤمنين والعجب ممن يريد الكمال ولا يقوم لصلاة الليل ولم نسمع أن أحداً وصل إلى تلك المقامات إلا بوساطة صلاة الليل[٢].

(١) يقول آية الله مصباح اليزدي: «ينقل المرحوم العلامة [الطباطبائي] و[آية الله العظمى] بهجت عن المرحوم القاضي أنه قال: من صلى صلاته أول الوقت ولم يصل إلى المقامات العالية، فالعنوني! أو أنه كان يقول: ابصقوا على وجهي».
إن لأول الوقت سرّاً عظيماً. «حافظوا على الصلاة» وهي مسألة غير «أقيموا الصلاة» فأن يكون الإنسان ملتزماً بالصلاة أول الوقت فلذلك بحد ذاته آثار كبيرة حتى لو لم يكن لديه حضور قلب. (محسن غرويان، في محضر العظماء، قم، نشر نويد إسلام، ١٣٧٦، ص٩٩).
ينقل العلامة الطهراني أن السيد القاضي كان يوصي تلامذته قراءة الدعاء الآتي في القنوت: «اللهم ارزقني حبك وحب ما تحبه وحب من يحبك، والعمل الذي يبلغني إلى حبك واجعل حبك أحب الأشياء إليَّ» (قدوة العارفين، ص٧٧).

(٢) ينقل العلامة الطهراني كيفية صلاة الليل للمرحوم السيد هاشم الحداد وهي عن المرحوم السيد القاضي: كان السيد القاضي يتناول شيئاً مختصراً من الطعام أول الغروب بعد صلاة المغرب ثم ينام بعد صلاة العشاء وبعد ساعة ينهض ليتوضأ ويصلي عدة ركعات بصوت جميل وعذب يقرأ فيها السور الطوال ثم يجلس إلى القبلة في حالة تفكر ثم ينام ثانية وينهض ليصلي عدة ركعات على هذا المنوال. (محمد حسين الحسيني الطهراني، الروح المجرد، طهران، انتشارات حكمت، ١٤١٤هـ.ق، الطبعة الأولى، ص٤٩٣).

٣ . عليكم قراءة القرآن في الليل بصوت جميل وحزين فهو شراب المؤمنين[١].

٤ . عليكم الالتزام بالأوراد المعروفة الموجودة بين أيديكم والسجدة المشهورة بين ٥٠٠ إلى ١٠٠٠ مرة.

٥ . عليكم زيارة المشهد الأعظم ـ للمجاور ـ في كل يوم والذهاب إلى المساجد المعظمة قدر الامكان وكذلك سائر المساجد[٢]، فالمؤمن في المسجد كالسمك في الماء.

٦ . لا تتركوا تسبيح فاطمة الزهراء عليها السلام بعد الصلاة الواجبة فهي من الذكر الكبير فلا بد من ذكرها ولو مرة واحدة في كل مجلس.

٧ . من جملة الأمور الضرورية والهامة الدعاء لفرج صاحب العصر عجل الله فرجه في قنوت الصلاة الوتر بل في كل صلاة ودعاء.

٨ . قراءة الزيارة الجامعة كل يوم جمعة والمقصود هو الزيارة الجامعة المشهورة.

٩ . أن لا تكون قراءتكم للقرآن أقل من جزء واحد[٣].

(١) يقول آية الله محمد تقي الآملي قدس سره: كنت أشارك في بحث الفقه لآية الله القاضي حيث سألته في يوم من الأيام ـ وكان الجو بارداً ـ إننا نسمع عن البعض تفتح أمامهم الآفاق عند قراءة القرآن فيتجلى لهم الغيب والأسرار، مع أننا نقرأ القرآن ولا نرى أثراً كهذا! يقول نظر المرحوم القاضي إلى وجهي لمدة من الوقت ثم قال: نعم! هم كانوا يقرأون القرآن الكريم تلاوة بشروط خاصة نحو القبلة. كانوا يكشفون رؤوسهم ويرفعون كلام الله إلى الأعلى ويتلون القرآن بكامل وجودهم وكانوا يعرفون أمام مَنْ يقفون... (قدوة العارفين، ص٢٥).

(٢) كان المرحوم القاضي يوصي بالصلاة دائماً في المسجد والذهاب إلى باقي المساجد والصلاة في المكان الذي يجعلكم أكثر توجهاً وأما إذا جعلكم المكان غير متوجهين فعليكم تغييره. لذلك يجب الانتقال من مسجد لآخر للبحث عن الحال وبالتالي اختيار المكان الذي فيه الكثير من التوجه. (قدوة العارفين، ص٣٢).

(٣) يقول العلامة الطباطبائي أن أغلب الأشخاص الذين نجحوا في نفي الخواطر وتصفية الذهن حيث سطع سلطان المعرفة عليهم، هم واحد من حالين:
الأول حين قراءة القرآن المجيد والالتفات إلى قارئ القرآن حيث يظهر وينكشف أن القارئ للقرآن هو الله جل جلاله.
الثاني عن طريق التوسل إلى أبي عبد الله الحسين عليه السلام لأن للإمام عليه السلام عناية خاصة لرفع الحجب والموانع عن طريق السالكين إلى الله. (محمد حسين الحسيني الطهراني، رسالة لب اللباب، طهران، انتشارات حكمت، ص١٥٩).

١٠ . أكثروا من زيارة الإخوة الصالحين لأنهم إخوتكم في طيّ الطريق والرفيق في المشكلات.

١١ . زوروا القبور مرة كل يومين ولا تزوروا ليلاً[١].

ما لنا وللدنيا قد غرّتنا وشغلتنا واستهوتنا وليست لنا، فطوبى لرجال أبدانهم في الناسوت وقلوبهم في اللاهوت، أولئك الأقلون عَدداً والأكثرون عُدداً، واستغفر الله[٢].

(١) كان آية الله القاضي يذهب لزيارة وادي السلام بين الطلوعين وهذا ما تشير إليه بعض الروايات. (قدوة العارفين، ص١٣٩).

(٢) قدوة العارفين، ص١٣٤ . ١٣٩.

الباب الرابع:

سيرة وتاريخ

- دروس الصبر والاستقامة في مدرسة السيدة زينب عليها السلام
- زينب سيدة عليها السلام الحياء والحفاظ على العفة والطهارة
- خدمة الناس في سيرة وكلام الإمام الحسين عليه السلام
- إيجاد عزة النفس في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

دروس الصبر والاستقامة في مدرسة السيّدة زينب عليها السلام

تقوي . صادقي

مقدمة

في الخامس من جمادى الأولى من العام الخامس أو السادس للهجرة[١]. كان بيت النبوة في انتظار مولود جديد ليضع قدميه في هذا العالم. وصلت اللحظة المنتظرة، فانتشر خبر يبعث على السرور ففاح عطر الولادة الميمونة في أزقة وشوارع المدينة. أطلق الرسول صلى الله عليه وآله وسلم على المولودة الجديدة اسم «زينب» لتعود به الذكريات إلى ابنته زينب التي توفيت قبل ذلك.

بعد ذلك كان الحديث عن الفضائل والمناقب والكمالات الإنسانية للسيدة زينب حتى أصبحت هذه الكمالات حديث العام والخاص وقد ذكر لها أكثر من ٦٠ لقباً. بعض هذه الألقاب عبارة عن: نائبة الزهراء، مليكة النساء، سيدة العقائل، الفصيحة، البليغة، الكاملة، العابدة، الفاضلة، العارفة، الصابرة، وعظيمة البلايا[٢].

أشار المرحوم الشيخ محمد حسين الأصفهاني المعروف بالكمباني في قصيدة مشهورة له إلى فضائل وألقاب تلك المرأة العظيمة نذكر منها بعض الأبيات:

---

(١) فاطمة الزهراء بهجة قلب المصطفى، أحمد الرحماني الهمداني، نشر مرضية، ص٦٢٤.

(٢) زينب الكبرى عقيلة بني هاشم، حسن إلهي، مؤسسة آفرينه الثقافية، ص٦٢ ـ ٦٣.

مَـا وَرِثَـتْـهُ مـن نـبـيِّ الـرَّحْـمَـةِ جـوامـعَ الـعِـلـم أصـول الحكمة
سـرُّ أبـيـهـا فِي عـلُـو الـهـمَّـةِ والـصَّـبْـرُ فِي الـشـدائـد الْمُـلِـمَّـةِ
ثـبـاتُـهـا يُـنْـبـئ عـن ثَـبـاتِـه كَـأَنَّ فـيـهـا كـلُّ مَـكْـرمَـاتِـه
لـهـا مـن الـصـبـر عـلـى المصـائـبِ مـا جَـلَّ أن يُـعَـدَّ فِي الـعـجـائـب

إن تلك السيدة العظيمة، التي واجهت في حياتها الكثير من الأحداث والمصائب، ودعت الدنيا في النصف من رجب عام ٦٢ للهجرة عن عمر ٥٦ سنة والتحقت بديار الحق[١].

وبما أن شخصية السيدة زينب عليها السلام تقارنت مع الصبر والاستقامة أمام المصائب إلى مستوى أطلق عليها «**أم المصائب**» و«**أم العزائم**»، لذلك سنحاول في هذا المختصر توضيح بعض المطالب حول صبرها واستقامتها وسنذكر بعض النماذج عن ذاك الصبر والاستقامة.

آثار الصبر على المصيبة

إن من أهم وأبرز الأصول الأخلاقية في الإسلام، الصبر والاستقامة في مواجهة الصعوبات. أشارت الروايات إلى ثلاثة أنواع من الصبر؛ الصبر على المصيبة، الصبر في مقابل المعصية والصبر في مقام العبادة والعبودية. وبما أننا نتحدث في هذا المقال حول الصبر على المصائب، لذلك سنشير إلى بعض آثار هذا النوع من الصبر.

١ . سرّ الانتصار

يقول الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[٢].

(١) أخبار الزينبيات، يحيى بن الحسن بن جعفر، ص١٢٢.
(٢) سورة السجدة، الآية: ٢٤.

واجه المسلمون في صدر الإسلام الكثير من المشكلات والصعوبات وتعرضوا للكثير من الأذى على أيدي المشركين، وكان منهم من هو غير قادر على تحمل هذه الصعوبات ففقد صبره. في الآية الشريفة يخاطب الله تعالى الرسول والمسلمين ويحدثهم حول مصير قوم بني إسرائيل ويذكرهم بما جرى، وفي ذلك دعوة للصبر والثبات وليبشرهم بأن النصر سيكون حليف الصابرين؛ وإذا كان قوم بني إسرائيل قد تعرضوا للأذى على أيدي الكفار والمشركين، فقد انتصروا بعدما تحملوا الصعوبات وقاوموا الأعداء، وفي النهاية وهب الله البعض منهم مقام الإمامة.

وعلى هذا الأساس تحدثت الآية الشريفة حول أمرين باعتبارهما رمزين للنصر: الأول هو الإيمان واليقين بالآيات الإلهية والثاني هو الصبر والاستقامة.

جاء في حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**فمن صبر واحتسب لم يخرج من الدنيا حتى يُقرّ الله له عيناً في أعدائه مع ما يَدَّخر في الآخرة**»[1].

٢ . الثواب الأخروي

عندما واجه المسلمون المشكلات والمصائب في مسألة الهجرة، نزلت الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[2]. إن عبارة «**يوفى**» في الآية الشريفة وهي من مادة «**وفى**» والتي تعني الإعطاء الكامل هذا من جهة ومن جهة أخرى عبارة «**بغير حساب**»، تشير إلى أن للصابرين أرفع الأجر والثواب عند الله تعالى. الشاهد على هذا الكلام الحديث المعروف للإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، يقول: «**إذا نشرت الدواوين ونصبت الموازين لم ينصب لأهل البلاء ميزان ولم ينشر لهم ديوان**»[3]. ثم تلى الآية الشريفة: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

(١) أصول الكافي، الكليني، دار الأضواء، ج٢، ص٧٢.
(٢) سورة الزمر، الآية: ١٠.
(٣) مجمع البيان، ذيل الآية المتقدمة.

٣ . الافتخار والرفعة عند الامتحان الإلهي

يخضع جميع الناس بدءاً من الأنبياء إلى الآخرين، للامتحان الإلهي ليتمكنوا بذلك من إخراج استعداداتهم إلى ساحة الفعل والوصول إلى قمة الكمال والسعادة. لذلك يُمتحن الناس بطرق متعددة، منها الخوف والجوع والخسارة المالية والروحية، وأمّا الذي يتمكن من الخروج من الامتحان منتصراً فسينال السعادة المطلوبة. إنّ «**الصبر والاستقامة يمكنهما أن يكونا سلاحاً فاعلاً ومؤثراً في مسيرة المشقّات والصعوبات التي يواجهها الإنسان وتساعدانه في طي مسيرة الكمال والوصول إلى السعادة.**

يقول الله تعالى: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَٰتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُهْتَدُونَ ﴾[1].

البلاء للأولياء

من جملة السنن الإلهية إرسال البلاء والمشقات للأولياء والأنبياء ويمكن القول بناءً على الروايات أنه كلما ازداد إيمان الشخص، ازدادت المرارات والصعوبات عليه. وفي هذا المجال العديد من الروايات؛ حتى إنّ الكتب الروائية أفردت باباً تحت عنوان «**شدة ابتلاء المؤمن**». من جملة الروايات في هذا الباب ما نقل عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إنما المؤمن بمنزلة كفّة الميزان كلّما زيد في إيمانه زيد في بلائه**»[2].

من جهة أخرى فإن التاريخ يشهد على هذا الأمر حتى إنّنا نرى وبوضوح أنّ

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٥٥ ـ ١٥٧.
(٢) بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، ج٦٧، ص٢١٠.

أولياء الله تعالى ومن جملتهم زينب الكبرى وأبوها وأمها وأَخَواها كيف تعرضوا لأنواع المصائب والابتلاءات وكيف قدموا نماذج في الصبر في مواجهتها.

قد يخطر السؤال الآتي في الذهن: **لماذا أنزل الله تعالى البلاء لأوليائه كالأنبياء وأوصياء الرسول العظيم ﷺ والأئمة المعصومين عليهم السلام والسيدة الزهراء المرضية عليها السلام وزينب الكبرى عليها السلام وهم المقربون إليه مع العلم أن الكثير من أسوء الناس يعيشون في الرفاه والنعمة؟**

الجواب: إنّ النعم الظاهرية والمشقات ليست جميعها معياراً للحسن والقبيح. المهم كيفية تعاطي الإنسان مع هذه الأحداث، فإذا تعامل الإنسان بشكل حسن مع هذه الأمور وصل من خلالها إلى السعادة وكانت حسنة بالنسبة إليه، وإذا وصل إلى الشقاء كانت قبيحة له. يقول الشهيد مطهري في هذا الخصوص: «**ليس الفقر شقاءً مطلقاً وليست الثروة سعادة مطلقة، فكم كان الفقر سبباً لتربية وكمال الإنسان، وكم كانت الثروة سبباً في الشقاء والنكبة!... ويشتمل هذا القانون على العديد من الأمور من أمثال الصحة والمرض، العزة والذلة وكافة المصائب الطبيعية. إنّ النعم وكذا الشدائد والبلايا هي مواهب؛ لأنه يمكن الاستفادة منها جميعها بشكل عالٍ وكبير. ومن الممكن أن تكون جميعها بلاءً وشقاء؛ لأنه يمكن التنزل والسقوط من خلالها**»[1].

آثار وفوائد البلاء

إنّ الأحداث التي تبدو في الظاهر بلاءً وشقاءً، تحمل في الباطن آثاراً وفوائد، لذلك كان أولياء الله راضين بالبلاء يرددون نداء «**رضى برضائك**»، لا بل لا يعتبرون البلاء بلاءً لأنهم ينظرون إليه بعين الجمال؛ ومن هنا نجد السيدة زينب عليها السلام وبعد تحمل المصائب والمشقات التي انهالت عليها وعلى أهل بيتها،

(١) مجموعة الآثار، مرتضى المطهري، صدرا، ج١، ص١٨٣ . ١٨٤.

تقول: «**ما رأيت إلا جميلاً**»[1]. لذلك من المناسب في هذا المقال التعرض لفوائد البلاء لنتمكن من خلال التأسي بالسيدة زينب عليها السلام، من مشاهدة الجمال المكنون في البلاء مما يساهم في الانجذاب نحو الجمال الإلهي المطلق.

١ . جرس انذار

بما أنّ الدنيا وزينتها الظاهرة قد تخدع الإنسان فينشغل بنفسه ويبتعد عن ذكر الله وطاعته، ومن هنا عندما يبتلي الله الإنسان فقد هيَّأَ له الأرضية لليقظة من الغفلة، عند ذلك يشاهد المرارات والآلام الموجودة في الدنيا وزينتها فيتجه نحو الحقّ تعالى.

في إحدى السنوات واجه المسلمون القحط وقلة الماء، فخرج الإمام علي عليه السلام لأداء صلاة الاستسقاء وفي الطريق خاطب المرافقين: «**إنَّ الله يبتلي عباده عند الأعمال السيئة بنقص الثمرات وحبس البركات وإغلاق خزائن الخيرات ليتوب تائب مقلع ويتذكر متذكر**»[2].

٢ . محو الذنوب

قد يخطيء بعض المؤمنين أحياناً فيرتكبون المعاصي. أما الله تعالى ـ الذي هو بالمؤمنين رؤوفٌ رحيم ـ فيرسل البلاء لتطهيرهم من المعاصي وبالتالي لا يترك حسابهم إلى يوم القيامة. يقول الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام: «**الحمد لله الذي جعل تمحيص ذنوب شيعتنا في الدنيا بمحنتهم لتسلم بها طاعاتهم ويستحقوا عليها ثوابها**»[3].

٣ . أساس السعادة

إن البلاء والشقاء هما سبب وجود السعادة عند الإنسان، لأن السعادة مكنونة

(١) بحار الأنوار، المجلسي، ج٤٥، ص١١٦ واللهوف على قتلى الطفوف، ابن طاووس، دار الأسوة، ص٢٠١.
(٢) نهج البلاغة، الخطبة ١٤١.
(٣) بحار الأنوار، ج٦٧، ص٢٣٢.

في باطن البلايا والمصايب؛ وكما يقول الله تعالى: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾[١].

من جملة القوانين الموجودة في الطبيعة أنّ حجر المعدن ما لم يتعرض لحرارة قوية لا يخرج منه الذهب الخالص. ثم إن هذا القانون يصدق على الإنسان أيضاً، يقول الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾[٢].

يقول الأستاذ مطهري في تفسير الآية الشريفة: «**يجب أن يتحمل الإنسان المشقات ويقاسي الصعوبات ليحصل على وجوده الذي يليق به. إن التضاد والتعاند هما سبب التكامل، ومن خلالهما يقطع البشر الطريق نحو الكمال**»[٣].

كتب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام إلى عامله على البصرة عثمان بن حنيف يوبخه لمشاركته في مجلس الأشراف. وقد خاطبه قائلاً: «**ألا وإن الشجرة البرية أصلب عوداً والروائع الخضرة أرق جلوداً والنباتات البدوية أقوى وقوداً وأبطأ خموداً**»[٤].

من هنا وبما أنّ أولياء الله هم أحباب الله، لذلك هم في معرض البلاء أكثر من غيرهم، وكما يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله إذا أحب عبداً غته بالبلاء غتاً**»[٥].

ثبات وشجاعة زينب من وجهة نظر الآخرين

عندما نتصفّح أوراق التاريخ يتضح لنا أنّ زينب عليها السلام قد تعرفت على البلاء والمشقات منذ صغرها وكانت في كل مصيبة وبلاء مثالاً للصبر والتواضع والحركة في الاتجاه الذي يرضاه الله تعالى. لذلك كان هذا الأمر سبباً في كونها نموذجاً للثبات والشجاعة، من هنا نجد علماء المسلمين أعم من السنة والشيعة قد دونوا

(١) سورة الانشراح، الآية: ٥.
(٢) سورة البلد، الآية: ٤.
(٣) مجموعة الآثار، مرتضى المطهري، صدرا، ج١، ص١٧٦.
(٤) نهج البلاغة، الرسالة ٤٥.
(٥) أصول الكافي، الكليني، دار الأضواء، ج٢، ص٢٥٢، وبحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، ج٦٧، ص٢٠٧.

عبارات المدح والثناء على هذه السيدة العظيمة. مثال ذلك، يقول ابن الأثير وهو من مؤرخي السنة الكبار: «**وكانت زينب امرأة عاقلة لبيبة جذلةً... وهو يدل على عقلٍ وقوة جنانٍ**»[1]. وكذلك يقول جلال الدين السيوطي وهو من المفسرين: «**وكانت لبيبة جذلة عاقلة لها قوة جنان**»[2]. ويقول العلامة المامقاني وهو من علماء الشيعة: «**وهي في الصبر والثبات وحيدة**».

مصائب زينب عليها السلام على لسان الرسول صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام

عن قدامة بن زائدة، عن أبيه قال: قال علي بن الحسين عليه السلام: بلغني يا زائدة أنك تزور قبر أبي عبد الله أحياناً؟ فقلت: إن ذلك لكما بلغك. فقال لي: فلماذا تفعل ذلك ولك مكان عند سلطانك الذي لا يحتمل أحداً على محبتنا وتفضيلنا وذكر فضائلنا والواجب على هذه الأمة من حقنا؟ فقلت: والله ما أريد بذلك إلا الله ورسوله، ولا أحفل بسخط من سخط، ولا يكبر في صدري مكروه ينالني بسببه، فقال: والله إن ذلك لكذلك فقلت: والله إن ذلك لكذلك يقولها: ثلاثاً وأقولها ثلاثاً فقال: أبشر ثم أبشر ثم أبشر فلأخبرنك بخبر كان عندي في النخب المخزون إنه لما أصابنا بالطف ما أصابنا، وقتل أبي عليه السلام ... وتبينت ذلك مني عمتي زينب بنت علي الكبرى فقالت: مالي أراك تجود بنفسك يا بقية جدي وأبي وإخوتي؟ فقلت: وكيف لا أجزع وأهلع، وقد أرى سيدي وإخوتي وعمومتي وولد عمي وأهلي مضرّجين بدمائهم مرمّلين، بالعراء مسلّبين، لا يكفنون ولا يوارون، ولا يعرج عليهم أحد ولا يقربهم بشر كأنهم أهل بيت من الديلم والخزر فقالت: لا يجزعنك ما ترى فوالله إن ذلك لعهد من رسول الله إلى جدك وأبيك وعمك، ولقد أخذ الله ميثاق أناس من هذه الأمة لا تعرفهم فراعنة هذه الأرض وهم معروفون

(١) أسد الغابة، ابن الأثير، دار المعرفة، ج٥، ص٣٠٠ والاصابة، ابن حجر العسقلاني، دار الجيل، ج٧، ص٦٨٤.
(٢) فاطمة الزهراء بهجة المصطفى، أحمد الرحماني الهمداني، ص٦٤٠.

في أهل السماوات أنهم يجمعون هذه الأعضاء المتفرقة فيوارونها، وهذه الجسوم المضرجة وينصبون لهذا الطف علماً لقبر أبيك سيد الشهداء لا يدرس أثره، ولا يعفو رسمه، على كرور الليالي والأيام، وليجتهدن أئمة الكفر وأشياع الضلالة في محوه وتطميسه فلا يزداد أثره إلا ظهوراً وأمره إلا علواً فقلت: وما هذا العهد؟ وما هذا الخبر؟ فقالت: حدثتني أم أيمن[1] أنّ رسول الله ﷺ زار منزل فاطمة عليها السلام في يوم من الأيام فعملت له حريرة صلى الله عليها وأتاه علي عليه السلام بطبق فيه تمر، ثم قالت أم أيمن: فأتيتهم بعس فيه لبن وزبد، فأكل رسول الله وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام من تلك الحريرة وشرب رسول الله ﷺ وشربوا من ذلك اللبن، ثم أكل وأكلوا من ذلك التمر بالزبد ثم غسل رسول الله يده وعلي يصب الماء فلما فرغ من غسل يده مسح وجهه ثم نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين نظرا عرفنا فيه السرور في وجهه، ثم رمق بطرفه نحو السماء ملياً ثم وجه وجهه نحو القبلة وبسط يديه يدعو، ثم خرَّ ساجداً، وهو ينشج فأطال النشوج وعلا نحيبه وجرت دموعه، ثم رفع رأسه وأطرق إلى الأرض ودموعه تقطر كأنها صوب المطر، فحزنت فاطمة وعلي والحسن والحسين وحزنت معهم، لما رأينا من رسول الله وهبناه أن نسأله حتى إذا طال ذلك قال له علي وقالت له فاطمة: ما يبكيك يا رسول الله لا أبكى الله عينيك؟ وقد أقرح قلوبنا ما نرى من حالك؟...

ثم قال جبرئيل: يا محمد إنّ أخاك مضطهد بعدك، مغلوب على أمتك، متعوب من أعدائك، ثم مقتول بعدك، يقتله أشر الخلق والخليقة، وأشقى البرية نظير عاقر الناقة، ببلد تكون إليه هجرته، وهو مغرس شيعته وشيعة ولده، وفيه على كل حال يكثر بلواهم، ويعظم مصابهم، وإن سبطك هذا ـ وأومأ بيده إلى الحسين عليه السلام ـ

(١) كانت خادمة رسول الإسلام ﷺ ومن جملة الأوائل بالإسلام ثم رافقت السيدة الزهراء عليها السلام بعد وفاة رسول الله ﷺ. وقد شهدت لمصلحة الزهراء عليها السلام في حادثة فدك بعد أن طلب أبو بكر شاهداً من الزهراء، ومع ذلك لم يقبل شهادتها مع أنه يعرف أنها من أهل الجنة. راجع: شرح نهج البلاغة، ابن أبي الحديد، اسماعيليان، ج١٣، ص٢٧٢ وج١٦، ص٢١٤.

مقتول في عصابة من ذريتك وأهل بيتك، وأخيار من أمتك بضفة الفرات، بأرض تدعى كربلاء، من أجلها يكثر الكرب والبلاء، على أعدائك وأعداء ذريتك، في اليوم الذي لا ينقضي كربه، ولا تفنى حسرته، وهي أطهر بقاع الأرض، وأعظمها حرمة، وإنها لمن بطحاء الجنة.

فإذا كان ذلك اليوم الذي يقتل فيه سبطك وأهله، وأحاطت بهم كتائب أهل الكفر واللعنة، تزعزعت الأرض من أقطارها، ومادت الجبال، وكثر اضطرابها واصطفقت البحار بأمواجها، وماجت السماوات بأهلها، غضباً لك يا محمد ولذريتك واستعظاماً لما ينتهك من حرمتك، ولشر ما يتكافى به في ذريتك وعترتك، ولا يبقي شيء من ذلك، إلا استأذن الله عزَّ وجلَّ في نصرة أهلك المستضعفين المظلومين الذين هم حجة الله على خلقه بعدك...

ثم قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: فهذا أبكاني وأحزنني.

قالت زينب: فلما ضرب ابن ملجم لعنه الله أبي عليه السلام ورأيت أثر الموت منه قلت له: يا أبه حدثتني أم أيمن بكذا وكذا، وقد أحببت أن أسمعه منك، فقال: يا بنية الحديث كما حدثتك أم أيمن، وكأني بك وببنات أهلك سبايا بهذا البلد أذلاء خاشعين، تخافون أن يتخطفكم الناس، فصبراً صبرا، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما لله على ظهر الأرض يومئذ ولي غيركم وغير محبيكم وشيعتكم...[1].

إشارة إلى مصائب زينب عليها السلام

كانت تلك السيدة العظيمة في مقام عالٍ على مستوى الفضائل الأخلاقية حتى إنّها حملت اسم عقيلة بني هاشم. ومع أنّ زينب عليها السلام تحمل هكذا مقام ومنزلة

(١) بحار الأنوار، المجلسي، مؤسسة الوفاء، ج٤٥، ص١٧٩ ـ ١٨٣، وكامل الزيارات، ابن قولويه، مكتبة الصدوق، الباب ٨٨، ص٢٧٧ ـ ٢٧٨.

وعلى رغم وصايا الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حول أهل البيت عليهم السلام فقد تعرضت للكثير من الظلم حيث قيّدت العالم بصبرها وتواضعها وثباتها.

وإذا كان تعداد مصائب زينب الكبرى عليها السلام وإدراك الفجائع التي لحقت بها طوال حياتها بشكل عميق، أكبر من هذا المقال، إلا أنّ الإطلالة على بعض مصائبها، لتكون درساً لنا نتعلم منه الأخلاق والتهذيب وتزكية النفس. وقد عمل أحد المؤلفين على إعداد فهرس لبعض مصائب تلك السيدة العظيمة[1]، نشير هنا إلى البعض منها في بعض المراحل.

أ. مرحلة الوالد والوالدة

يظن البعض أنّ مرحلة طفولة زينب عليها السلام أفضل مرحلة في حياتها إلا أنها ترافقت مع الكثير من الآلام والمشقات. في البداية كان فراق رسول الإسلام صلى الله عليه وآله وسلم وبالتالي فقد فقدت زينب الحضن الدافيء الذي كان يضفي عليها هدوء واطمئنان الروح، وبعد ذلك كانت تعيش آلام أمها لحظة بلحظة، تلك الآلام التي كانت بمثابة مرحلة سوداء في تاريخ البشرية وكانت عاراً على جبين المسببين لن يمحى حتى نهاية التاريخ.

كانت زينب عليها السلام تعيش آلام أمها، لذلك كانت تندفع للبكاء وكأن الضربة التي أصابت الصديقة الطاهرة وكسرت ضلعها قد كسرت ضلع زينب وكأن كل بلاء نزل على الزهراء قد نزل على زينب، وقد بقيت هذه المصائب مع تلك البنت الصغيرة، ومع ذلك فلم تنتهِ الأمور هنا بل انهالت المصائب عليها الواحدة بعد الأخرى فكانت شهادة السيدة الزهراء عليها السلام والتي كانت أكبر المصائب التي نزلت على زينب عليها السلام.

(١) زينب الكبرى عقيلة بني هاشم، ص٧٠ ـ ٧٣.

بعد شهادة والدتها، شاهدت زينب الآلام التي عاشها والدها علي عليه السلام وشاهدت وحدته وما عاناه من أبناء زمانه حتى كانت شهادته على يَدَيْ أشقى البشر، فكانت الشهادة بمثابة المصيبة الكبيرة التي نزلت على زينب والتي لا يمكن التعويض منها. بعد ذلك لم يعد هناك أي ملجأ لزينب فكانت تشعر بالغربة، ومع ذلك كانت عظيمة المقاومة والثبات.

ب. مرحلة الإمام الحسن عليه السلام

استمرت مصائب زينب بعد شهادة والدها وبداية مرحلة خلافة أخيها الإمام الحسن المجتبى عليه السلام. كان صعباً لديها أن تشاهد الناس ضعاف الإيمان يرتقون المنابر ليسبوا والدها الذي كان رفيق ووصي وخليفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالحقّ. ثم كانت غربة أخيها الحسن، حيث لا وفيَّ ولا صاحبَ وهذا ما كان يعذب قلب زينب. وقد وصلت المصائب في هذه المرحلة إلى الأوج عند انتشار خبر مسمومية الإمام الحسن عليه السلام، لا بل الأصعب من ذلك مشاهدتها النبال تنهال على جسد أخيها عند الدفن[1]. ومع كل ذلك كانت المصائب تنهال على أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

لقد شاهدت زينب عليها السلام في حادثة كربلاء تلك الصعوبات والمشقات والابتلاءات التي كان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قيل أخبر بها من قبل. عاشت زينب عليها السلام في حادثة كربلاء أكثر أيام حياتها مرارة، هذه الأيام التي قيل في وصفها «**لا يوم كيومك يا أبا عبد الله**».

عندما كانت زينب عليها السلام تشاهد عطش النساء والأطفال وشهادة الأبناء والإخوة وأبناء الإخوة، وعندما تهيَّأ أخوها للنزول إلى ساحة المعركة، عند ذلك كأن العالم كله قد سقط على رأس زينب، وعندما عاد الحصان من دون فارسه، أصبحت زينب أكثر نساء العالم تعرضاً للمصائب.

(١) مناقب آل أبي طالب، ابن شهرآشوب، المطبعة الحيدرية، ج٤، ص٢٠٤، وبحار الأنوار، المجلسي، م.ن، ج٤٤، ص١٥٧.

وإذا كان فقد الأحبة يعذب قلب زينب عليها السلام إلا أنها بدأت مشواراً جديداً ومؤلماً مع قافلة الأسرى التي انطلقت من كربلاء إلى الكوفة ومن الكوفة إلى الشام عدا عن مرض الإمام السجاد عليه السلام. وقد ترافق هذا السفر مع أحداث مؤلمة وقاسية من جملتها: حمل الرؤوس المقطوعة على الرماح، ضجيج الأطفال اليتامى من شدة الألم والتعب، مرض الإمام السجاد عليه السلام الذي كان يتحرك مع القافلة بصعوبة، هتك حرمة حرم رسول الله، فرح أهل الكوفة... والمئات من الفجائع والمصائب الأخرى، هذه المصائب التي تكفي الواحدة منها للقضاء على الإنسان؛ أما زينب عليها السلام فقد بقيت مع كل تلك المصائب كالجبل الراسخ، تخطب خطباً تزلزل أركان الظلم والظالمين وتبين حقائق ثورة الإمام الحسين.

إن شدة بلاء زينب عليها السلام لا تترُكُ أيَّ مجال للشكّ في مقامها وعظمتها؛ ألم يتحدث أبوها عليّ عليه السلام من قبل قائلاً: «**إن أشدّ الناس بلاءً النبيون ثم الوصيون ثم الأمثل فالأمثل**»[1].

(١) بحار الأنوار، المجلسي، م.ن، ج٦٧، ص٢٢٢.

زينب عليها السلام سيدة الحياء والحفاظ على العفّة والطهارة

السيد جواد الحسيني

زينب عليها السلام هي سيدة الحياء والعفة والمدافعة عن الطهارة، هي ابنة علي عليه السلام والزهراء عليها السلام ولدت في اليوم الخامس من شهر جمادى الأولى للعام الخامس أو السادس للهجرة في المدينة المنورة مصدر الحياة والطهارة.

صحيح أنّ السيدة زينب عليها السلام فقدت والدتها في عامها الخامس، إلا أن الزاد الذي حملته منها على مستوى الحياة والطهارة بقي معها طوال حياتها. تحملت السيدة زينب في مسيرة حياتها المباركة الكثير من المشكلات والآلام وكانت أهمها وأصعبها، حادثة كربلاء وقصة أسرها. قدمت السيدة زينب دروساً في الحياة والعفة في خضمّ هذه المصائب والابتلاءات مع أنها كانت إلى جانب ذلك مثالاً للصبر والتواضع[1].

أطلق عليها أسماء عديدة منها: أم كلثوم الكبرى، الصديقة الصغرى، المحدثة، العالمة والفهيمة. وكانت سيدة عابدة، زاهدة، عارفة، خطيبة وعفيفة. لقد جعل نسبها النبوي وتربيتها العلوية والفاطمية بالإضافة إلى اللطف الإلهي، منها شخصية ذات خصوصيات وصفات بارزة حتى أطلق عليها عنوان «**عقيلة بني هاشم**».

(١) الشيخ زبيح الله محلاتي، رياحين الشريعة، طهران، دار الكتب الإسلامية، ج٣، ص٤٦.

حفل التسمية

المعمول عادة أن يقوم الوالد والوالدة باختيار اسم الطفل، ولكن في مسألة ولادة السيدة زينب عليها السلام فقد أوكل الوالدان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جدها الأعظم بتسميتها؛ وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مسافراً وبعد أن رجع من السفر، سمع خبر الولادة فأسرع الخطى إلى بيت علي عليه السلام. أخذ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الرضيع وضمه إلى صدره وقبله وبعد مدة نزل جبرائيل على الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث أخبره باسمها أي زينب والذي يُعْنى به «**زينة الأب**»[1].

ودعت هذه السيدة العظيمة الدنيا في الخامس عشر من رجب عام ٦٢ للهجرة بعد أن حملت حملاً ثقيلاً من الآلام والمحن والهموم وبعد أن تركت دروساً في الصبر والحياء والعفة والطهارة.

سنحاول فيما يلي تقديم صورة عن ما حملته السيدة زينب من حياء وعفة وطهارة وسنشير إلى ذاك الزاد الكبير الذي تركته للنسوة اللواتي يرغبن إن يكنّ زينبيات.

ضرورة بحث الحياء

يعمل المستعمرون في كافة أنحاء العالم اليوم وبالأخص في الدول الإسلامية وفي المجتمع الشيعي على وجه التحديد على استهداف الحياء والعفة عند النساء وسَوْق المجتمع نحو الفساد وعدم الاهتمام بالدين وبالتالي الوصول إلى أطماعهم الشيطانية؛ لأنهم أدركوا بشكل واضح أنّ القضاء على المذهب الشيعي، يبدأ من القضاء على الحياء والعفة والطهارة.

(١) م.ن، ج٣، ص٣٩.

عندما يدير المجتمع ظهره للحياء ويدوس على العفة، فينزوي الدين. يقول الإمام علي عليه السلام: «**أحْسَنُ ملابس الدين الحياء**»[1]. ويقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا إيمان لمن لا حياء له**»[2]. ويقول الإمام الباقر عليه السلام: «**الحياء والإيمان مقرونان في قرنٍ فإذا ذهب أحدهما تبعه صاحبه**»[3]. والأجمل من ذلك ما قاله الإمام الحسين عليه السلام الذي تعلمت منه زينب عليها السلام الحياء: «**لا حياء لمن لا دين له**»[4].

يستفاد من الروايات المتقدمة وجود علاقة قوية بين بقاء الدين في المجتمع ووجود الحياء. لقد أدرك غُزاة الثقافة هذه العلاقة والملازمة بشكل واضح، لذلك كان الصهيوني نتنياهو يقول إنّ برامج الفضائيات بمثابة قوة ثورية كبيرة التأثير؛ ممّا لا شكّ فيه أنّ الأطفال المسلمين الإيرانيين يرغبون الألبسة الجميلة التي يشاهدونها في التلفزيونات. وسيطلبون أيضاً المسابح ونمط الحياة المرفهة»[5].

من جهة أخرى يساعد على ذلك هواة الاستكبار العالمي في داخل البلد من خلال أقلامهم المسمومة وسلوكهم السيِّئ ولباسهم وأفلامهم الفاسدة.

نظرة على موقع الحياء في ثقافة الإسلام الغنية

من المناسب هنا الإشارة بشكل مختصر إلى مسائل حول موقع الحياء:

أ ـ حياء بنات شعيب عليه السلام في القرآن:

صحيح أن القرآن الكريم يشير إلى المسائل غالباً بشكل كلي وعام، إلا أنه بعض الأحيان يتعرض للجزئيات لما للمسألة من أهمية حياتية. يشير القرآن

(١) محمدي ري شهري، ميزان الحكمة (بيروت، دار الحديث)، ط٢، ١٤١٩، ج٢، ص٧١٦، الرواية ٤٥٤٤.
(٢) م.ن، ص٧١٧، الرواية ٤٥٧٠.
(٣) م.ن، الرواية ٤٥٦٥؛ بحار الأنوار، ج٧٨، ص٣٠٩.
(٤) م.ن، ج٧٨، ص١١١، الحديث ٦؛ ج٢، ص٧١٧، الرواية ٤٥٦٩.
(٥) صحيفة «جمهوری اسلامي»، ١٣٨١/٦/٢٣؛ يقول أحد المسؤولين المطلعين أن هناك في الوقت الحاضر ٩٧ قمراً صناعياً تعود إلى ١٥ بلداً في العالم تبث برامج تلفزيونية للشعب الإيراني وبعض هذه الأقمار تبث ما يزيد عن ٢٠٠ قناة تلفزيونية، طبعاً هناك الكثير من هذه القنوات التي تبث باللغة الفارسية وبما يعارض نظام الجمهورية الإسلامية.

الكريم إلى قصة النبي موسى عليه السلام وتعاطيه مع ابنتي شعيب عليه السلام: ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِّ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾ ثم تتابع الآيات حول الحوار الذي دار بين إحدى الفتاتين وموسى عليه السلام: ﴿فَجَآءَتْهُ إِحْدَىٰهُمَا تَمْشِى عَلَى ٱسْتِحْيَآءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا ...﴾[1].

يمكن ادراك وفهم مسألة الحياء من الآيات المتقدمة وذلك لأن:

١ . ما دام الرجال بالقرب من الماء، كانتا بنتا شعيب بعيدتين عنه.

٢ . كانتا تسقيان خرافهما بعد تفرق الرجال.

٣ . ثمّ إنّ إحداهما جاءت تمشي إلى موسى على حياء. لم تقل له إننا سندفع لك أجرك؛ بل قالت إن أبي يدعوك ليدفع لك الأجر.

ب ـ الحياء هو كامل الدين:

يقول الإمام علي عليه السلام: «**الحياء هو الدين كله**»[2].

ج ـ الحياء يمنع الفعل القبيح:

يقول الإمام علي عليه السلام: «**الحياء يصد عن فعل القبيح**»[3].

يقول الإمام السابع عليه السلام: «**ما بقى من أمثال الأنبياء عليهم السلام إلا كلمة؛ إذا لم تستحي فاعمل ما شئت...**»[4].

د ـ عاقبة عدم الحياء:

يقول الإمام علي عليه السلام: «**... من قلَّ حياؤه قَلَّ ورعه، ومن قَلّ ورعه مات قلبه، ومن مات قلبه دخل النار...**»[5].

(١) سورة القصص، الآيات: ٢٣ ـ ٢٥.
(٢) ميزان الحكمة، ج٢، ص٧١٧، الرواية ٤٥٦٧.
(٣) م.ن، ص٧١٧، الرواية ٤٥٥٦؛ أمالي الطوسي، ص٣٠١.
(٤) م.ن، ص٧١٨؛ الخصال للصدوق، ص٢٠.
(٥) نهج البلاغة، محمد دشتي، ص٧١٢، الحكمة ٣٤٩.

هـ ـ حجاب العيوب:

يقول الإمام علي عليه السلام: «**من كساه الحياء ثوبه؛ لم ير الناس عيبه**»[1].

و ـ منبع الخير

ويقول أيضاً: «**من لا حياء له لا خير فيه**»[2].

نماذج من حياء زينب عليها السلام

١ . ابنة بيت الحياء والعفة

ممّا لا شكّ فيه تأثير الوراثة والعائلة في سلوك الإنسان وأعماله. وقد ثبت اليوم بما لا يدع مجالاً للشكّ أنّ جزءاً من الصفات الحسنة والسيئة تنتقل من جيل إلى جيل بالوراثة، لذلك كانت العائلات التي ولد فيها الأنبياء، عائلات طاهرة وأصيلة، لذلك نجد النصوص الدينية توصي بعدم الزواج من الجميلات اللواتي يَعِشْنَ في عائلات غير طاهرة وعارية من الحياء. وهناك التربية إلى جانب الوراثة؛ لأن العديد من الفضائل والكمالات تنتقل إلى الأبناء من خلال التربية الصحيحة.

ويلاحظ أن هذين العاملين (الوراثة والتربية) متواجدان في أعلى درجاتهما فيما يخصّ زينب عليها السلام؛ حيث نقرأ في زيارتها: «**السلام على من رضعت بِلُبان الإيمان**».

نعم، زينب الكبرى عليها السلام وُلدت في بيت الوحي والولاية، من أب وأم معصومين وعاشت في حضن النبوة ومهد الإمامة والولاية ومركز نزول الوحي الإلهي ورضعت من المرأة المعصومة الفردية في عالم الوجود «**فاطمة الزهراء عليها السلام**» ومنها تعلمت الحنان والعفة والحياء والشهامة والعطوفة وإلى جانب ذلك فقد كبرت وتربت إلى جانب كبار أساتذة عالم الإنسانية؛ أي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمير المؤمنين عليه السلام وأخويها الحسن والحسين عليهما السلام.

---

(١) م.ن، ص٦٧٦، الحكمة ٢٢٣.

(٢) عبد الواحد الأمدي، غرر الحكم، ترجمة علي أنصاري، ص٦٤٦.

ينقل «**يحيى المازني**» وهو من العلماء ورواة الحديث أنه عاش مدة طويلة في المدينة في جوار علي عليه السلام. وكان منزله إلى جوار المنزل الذي كانت تسكنه زينب. ينقل أنه لم ير زينب ولم يسمع صوتها ولو لمرة واحدة، وكلما أرادت زيارة جدها، كانت تفعل ذلك ليلاً؛ حيث كان يمشي أبوها أمامها وأخواها الحسن والحسين على جانبيها. عندما كانت تصل إلى قبر جدها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، كان علي عليه السلام يطفي الشموع المضاءة في أطراف القبر. في أحد الأيام سأل الإمام الحسن عليه السلام عن سبب هذا الأمر، فأجابه الإمام عليه السلام: «**أخشى أن ينظر أحد إلى شخص أختك زينب**»[1].

وفي هذا الشأن يقول الشيخ جعفر نقدي: «**فالخمسة أصحاب العباد هم الذين قاموا بتربيتها وتثقيفها وتهذيبها وكفاك بهم مؤدبين ومعلمين**»[2].

بالمناسبة، أين ذهبت حدود الحياء هذه؟ ولماذا نشاهد في المجتمع الشيعي العلوي، يخرج الرجل مع زوجته وهي بكامل زينتها ومع بناتهم غير المحجبات؟!

٢ . الحياء منذ بداية الشباب

تقول الدكتور «**عائشة بنت الشاطئ**» وهي سيدة من اهل السنة وباحثة: كيف كانت زينب في بداية الشباب؟ امتنعت المراجع التاريخية عن وصف صورة زينب في هذه الأوقات؛ لأنها كانت تعيش في البيت. كان لا يمكن النظر إليها إلا من وراء حجاب، ولكن وبعد عشرات السنين من هذا التاريخ، خرجت زينب من البيت حيث أظهرتها لنا مصيبة كربلاء العظيمة[3].

إذاً لم يشاهدها التاريخ لأن حياءَها كان يمنع ذلك وقد أوصت السيدة فاطمة

(١) الشيخ جعفر نقدي، كتاب زينب الكبرى، ص٢٢، ورياحين الشريعة، ج٣، ص٦٠.
(٢) زينب الكبرى، ص٢٠.
(٣) عائشة بنت الشاطيء، سيدة كربلا، ترجمة السيد رضا الصدر، قم، نشر مركز الاعلام الإسلامي، ط٣، ١٣٧٨، ص٥٨ . ٥٩.

الزهراء عليها السلام النساء قائلة: «**خير للنساء أن لا يرين الرجال ولا يراهنَّ الرجال**»[1].

ولولا الأمر الإلهي حيث «**إن الله شاء أن يراهنّ سبايا**» لم يكن الإمام الحسين عليه السلام ليسمح لنفسه أن ترافقه زينب في رحلة كربلا.

٣ . مظهر الحياء عند الحركة من المدينة

تذكر المدينة ليلة خروج قافلة الحياء مجللة بالحياء والعظمة متجهة نحو مكة. كانت تلك الليلة، إحدى ليالي شهر رجب حيث خرجت من المدينة قافلة مجللة؛ كانت سيدتا «**الحياء والعفة**» تحيطان شباب بني هاشم وعلى رأسهم سيد شباب أهل الجنة. ينقل أحد الرواة في أحد المقاطع التاريخية:

«**رأيت نحواً من أربعين محملاً، وقد زيّنت المحامل بملابس الحرير والديباج.**

قال: فعند ذلك أمر الحسين عليه السلام بني هاشم بأن يُركبوا محارمهنَّ على المحامل، فبينما أنا أنظر وإذا بشابّ قد خرج من دار الحسين عليه السلام وهو طويل القامة وعلى خده علامة ووجهه كالقمر الطالع، وهو يقول: تنحّوا يا بني هاشم! وإذا بامرأتين قد خرجتا من الدار وهما تجرّان أذيالهما على الأرض حياءً من الناس، وقد حفّت بهما إماؤهما، فتقدّم ذلك الشابّ إلى محمل من المحامل وجثى على ركبتيه، وأخذ بعضديهما وأركبهما المحمل، فسألت بعض الناس عنهما فقيل: أمّا إحداهما فزينب، والأُخرى أُمّ كلثوم بنتا أمير المؤمنين.

فقلت: ومن هذا الشابّ؟ فقيل لي: هو قمر بني هاشم العبّاس بن أمير المؤمنين.

ثمّ رأيت بنتين صغيرتين كأنّ الله تعالى لم يخلق مثلهما، فجعل واحدة مع زينب، والأُخرى مع أمّ كلثوم، فسألتُ عنهما، فقيل لي: هما سكينة وفاطمة بنتا الحسين عليه السلام، ثمّ خرج غلام آخر كأنّه البدر الطالع، ومعه امرأة، وقد

(١) وسائل الشيعة، ج١٤، ص٤٣، الحديث ٧.

حفّت بها إماؤها، فأركبها ذلك الغلام المحمل، فسألت عنها وعن الغلام، فقيل لي: أمّا الغلام فهو عليّ الأكبر ابن الحسين عليه السلام، والامرأة أُمّه ليلى زوجة الحسين عليه السلام»[1].

٤ . الزينة فداءً للحياء والعفة

هجم جيش الكوفة والشام على خيم الإمام الحسين عليه السلام بعد أن أخذوا منه لباسه. كانت تلك اللحظات أكثرها مرارة وألماً. يمكن القول إنّ زينب الكبرى كانت تشعر بذاك الألم أكثر من غيرها؛ لأنها من جهة كانت تتولى الحفاظ والدفاع عن خيم الحياء والعفة، ومن جهة أخرى كان عليها الحفاظ على روح إمام زمانها. كانت ابنة علي تعرف أخلاق أهل الكوفة وتصرفاتهم، لذلك فكرت بالحفاظ على عفة وحياء النساء، فجمعت كل ما يمتلكن من زينة ونادت عمر بن سعد مانعة إياه من تحريك عسكره نحو الخيم فهي تقدم له كل ما يطلبه من زينة، كانت تفكر بعدم السماح للأعداء بالوصول إلى آل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

جمعت كل ما وجدت من الزينة حتى إنها قدمت لهم أقراط فاطمة بنت الحسين عليها السلام التي كانت ذكرى من والدها. ثم إنها جمعت النساء والأطفال في زاوية، ونادت على الجند بأن الزينة قد جمعت فمن يرغب فَلْيأتِ وليأخذ منها. وهذا ما حصل بالفعل[2].

٥ . صوت زينب عليها السلام يعلو على غير المقيدات بالحياء:

دخلت قافلة الحياء الكوفة، وكان الناس يتفرجون على الأسرى وهم يقادون إلى عبيد الله بن زياد. في هذه الأثناء علا صوت زينب عليها السلام: «**يا أهل الكوفة، أما تستحيون من الله ورسوله أن تنظروا إلى حرم النبي** صلى الله عليه وآله وسلم»[3]؟!

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، معهد دراسات باقر العلوم، قم، مؤسسة الهادي، ط١، ص٢٩٧ . ٢٩٨.

(٢) أحمد بن يحيى البلاذري، أنساب الأشراف، بيروت، مؤسسة الأعلمي، ١٣٤٩هـ.ق.، ج٣، ص٢٠٤.

(٣) السيد عبد الرزاق الموسوي المقرم، مقتل الحسين عليه السلام، ص٣١٠.

٦ . تجلّي الحياء في دار الإمارة في الكوفة:

عندما وصلت زينب الكبرى عليها السلام أثناء الأسر إلى دار الإمارة، أمسكت غضبها؛ لأنها تعرف هذا المكان، حيث كان المكان بيتاً لزينب في يوم من الأيام عندما كان يذكر اسم أبيها علي عليه السلام مع تلك العظمة. اجتمعت الدموع في عينيها لكنها امتنعت عن البكاء. هناك ألقت نظرها فرأت عبيد الله ابن زياد يجلس في مكان كان يجلس فيه والدها يستقبل الضيوف. لم تعره اهتماماً بل أزاحت بواجهها عنه وانزوت في زاوية من المكان يجللها الحياء والنجابة والطهارة[١].

سأل ابن زياد: من هذه المرأة؟ (وكرر السؤال ثلاث مرات). أمّا زينب فلم تجب، فمن جهة كان حياؤها، ومن جهة أخرى علمها بما يريده ابن زياد من احتقارها يمنعها من الجواب. إلى أن غضب ابن زياد الملعون وألقى بعض السموم التي على لسانه وقال: «**كيف رأيتِ صنع الله بأخيك وأهل بيتك**»[٢]؟ أمّا زينب فقدمت جواباً مختصراً جميلاً يعود إلى حيائها ثم قالت: «**ما رأيت إلا جميلاً**»[٣].

٧ . مجلس يزيد؛ قمة المواجهة بين الحياء وعدمه

دعا يزيد كبار أهل الشام والسفراء الأجانب، ثم أمر بإدخال الأسرى. كان الحاضرون في المجلس ينظرون إلى بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأهل بيته الذين كانوا مجللين بالعزة والاحترام إلى الأمس القريب، هؤلاء الطاهرون الذين لم يشاهد الأجانب وجوههم من قبل.

تذكّر الحاضرون عظمة أقارب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فغرقوا في الخجل والندم، إلا أنّ هناك رجلاً شامياً قوياً أحمرَ الوجه، أخذ يحدق بفاطمة ابنة الحسين عليها السلام

(١) نظرة على سيدة كربلاء زينب، ص١٣٨ . ١٣٩.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٧٩.
(٣) م.ن، ج٤٥، ص١١٦.

وكأنه أراد أن يبتلعها بنظراته. أمّا فاطمة فقد ظهر عليها الخوف فاحتمت بعمتها زينب عليها السلام.

نهض الرجل الشامي وطلب من يزيد إهداءه فاطمة عليها السلام. تمسّكت فاطمة بعمتها زينب عليها السلام التي حضنتها وخاطبته بعبارات أوضحت له أنه بعيد كل البعد عن مناه[1]. ثم جرى حديث بين زينب عليها السلام ويزيد حتى علا صوت الحياء ينهال بسهامه على من لا يملك أدنى مرتبة منه فقالت: «**أَمِنَ العدلِ يابن الطلقاء تخديرُك حرائرك وإمائك وسَوْقُك بنات رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سبايا قد هُتكت ستورهنَّ وأُبديت وجوهُهن تحدو بهنّ الأعداء من بلد إلى بلد يستشرفهن أهل المناهل والمناقل ويتصفح وجوههنَّ القريب والبعيد والدنيُّ والشريف، ليس معهنَّ من رجالهنَّ وليّ ولا من حُماتهن حمي؟! وكيف يرتجى مراقبة من لفظ فوه أكباد الأزكياء ونبت لحمه من دماء الشهداء**»[2]؟!

ثم هدأت زينب عليها السلام وكان كلامها قد دفع يزيد إلى السكوت فسكت الجميع. يقال إنّ هند ابنة عبد الله بن عامر وهي امرأة يزيد قد سمعت ما دار في مجلس زوجها، حتى إنها دخلت المجلس لتوبخ يزيد على عدم حيائه[3].

المسألة الهامة التي تحدثت وأشارت إليها السيدة زينب عليها السلام أنّ نساء يزيد قد ارتدَيْنَ الحجاب وقد حافظن عليه، إلا أنّ نساء أهل البيت عليهم السلام يشاهدهنّ كلّ من هو في المجلس من غير المحارم، لذلك لم تتحدث عن أن نساء يزيد تسكن القصور والأسرى يسكنون الأكواخ بل تحدثت فقط وفقط حول الحجاب والحفاظ على الحرمة والحياء، وهذا الذي يشكل أكبر درس للنسوة في مجتمعنا المعاصر اللواتي يجب عليهن الحفاظ على حدود الحياء تحت أي ظروف وفي أي حال.

(١) سيدة كربلا، زينب، ص١٤٤.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٥، ص١٣٣. وراجع: الطبرسي، الاحتجاج، ج٢، ص١٢٢.
(٣) سيدة كربلا، ص١٤٧.

٨ . العفة والطهارة نتيجة لحياء زينب

إنّ العفة والطهارة هي أبرز وأهم زينة للنساء وأغلى الجواهر التي يمكن أن يمتلكنها. لقد تعلمت زينب درس العفة من مدرسة أبيها؛ هناك عندما كان يقول: «**ما المجاهد الشهيد في سبيل الله بأعظم أجراً ممن قدر فعَفَّ يكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكة**»[١]. ثم إنّ الحياء الذاتي لزينب عليها السلام هو الذي جعل منها في قمة العفة والطهارة، لأن أبرز نتائج الحياء، العفة والطهارة وكما يقول علي عليه السلام: «**سبب العفة الحياء**»[٢]. ويقول في مكان آخر: «**على قدر الحياء تكون العفة**»[٣].

إن التربية العائلية والحياء الذاتي لزينب عليها السلام هما اللذان دفعاها للحفاظ على عفتها في أصعب الظروف. يقول المؤرخون: «**وهي تستر وجهها بكفها لأن قناعها أُخذ منها**»[٤].

(١) نهج البلاغة، فيض الإسلام، الحكمة ٤٦٦.
(٢) ميزان الحكمة، ج٢، ص٧١٧، الرواية ٤٥٥٧.
(٣) م.ن، الرواية ٤٥٥٩.
(٤) الجزائري، الخصال الزينبية، ص٣٤٥.

خدمة الناس في سيرة وكلام الإمام الحسين عليه السلام

عبد الكريم باك نيا

إنّ خدمة الناس والمحتاجين في المجتمع هي من أهمّ التعاليم التي ذكرها القرآن الكريم وأهل البيت عليهم السلام. إنّ خدمة أفراد المجتمع من وجهة نظر مدرسة أهل البيت عليهم السلام، لا تعرف الحدود، فكلّ متدين حقيقي يعمل وبالالهام من القادة العظماء وفي كافة مجالات الحياة على رفع ما يثقل كاهل الآخرين، وبالتالي تقديم خدمة للآخرين حتى لو كانوا من غير دينه، مع العلم أنّ خدمة أهل الإيمان ذات أهمية خاصة.

يؤكد الإمام الحسين عليه السلام على هذه المسألة الوحيانية ويقول: «**اعلموا أنّ حوائجَ الناس إليكم من نِعَم الله عليكم فلا تَملّوا النعم فتتحوّل إلى غيركم**»[1].

يخاطب الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أتباعه ويقول: «**أيّما مسلم خدم قوماً من المسلمين إلا أعطاه الله مثل عددهم خداماً في الجنة**»[2].

من جملة الأمور التي كان الأئمة عليهم السلام يعكفون على طلبها من الله تعالى، التوفيق لخدمة الناس وقد كانوا يظهرون هذا الطلب على شكل دعاء أو كلام ضمن خطاب. كان الإمام السجاد عليه السلام يناجي ربه قائلاً: «**وأجرِ للناس على يديَّ الخير ولا تمحقه بالمنّ**»[3].

---

(١) مستدرك الوسائل، ج١٢، ص٣٦٩.

(٢) أصول الكافي، باب خدمة المؤمن، الحديث ١.

(٣) الصحيفة السجادية، الدعاء ٢٠.

إن رفع حاجة المحتاجين والاهتمام بهم من جملة الأمور التي حظيت باهتمام لافت على مستوى المصادر الحديثية والمصادر الفقهية وأفردت لها أبواب مستقلة. من أبرز العناوين التي يتم طرحها في هذا الاطار «**قضاء حاجة المؤمن**»، «**خدمة المؤمن**»، «**الاهتمام بأمور المسلمين**»، «**إلطاف المؤمن وإكرامه**».

تشير نصوص هذه العناوين إلى الثواب الأخروي لخدمة الناس، بالإضافة إلى النتائج المفيدة على مستوى الدنيا. يتحدث الإمام الحسين عليه السلام في إحدى كلماته إلى الذين يخدمون الناس بشكل صادق ويقول: «**من نَفَّس كربة مؤمن فَرّج الله عنه كرب الدنيا والآخرة**»[1]. وعلى هذا الأساس فإن خدمة الناس في المجتمع الإسلامي بالأخصّ من قبل المسؤولين والموظفين وأصحاب السلطة والمال أمر ضروري. ومن المناسب أن ينهض كلّ مسلم عارف بوظيفته وفي أي مقام ومنصب كان، بمسألة خدمة الناس والعمل على تكريسها.

سنحاول في هذا المقال الإطلالة على مسألة خدمة الناس في سيرة وكلام أحد أبرز نماذج الخدمة أي سيد الشهداء عليه السلام حيث سنتعرض لأجمل سلوكيات وأحاديث هذا الإمام العظيم نقدمها للقراء الأعزاء؛ لأن الإمام عليه السلام هو في الحقيقة ملجأ من لا ملجأ له وكافل الأيتام وأسوة خدمة الناس. يخاطب الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف الإمام الحسين عليه السلام في زيارة الناحية المقدسة قائلاً: «**كنت ربيع الأيتام وعصمة الأنام وعزّ الإسلام ومعدن الأحكام وحليف الأنعام**».

نعم، كان الإمام الحسين عليه السلام نموذجاً بارزاً في خدمة الناس، كان في أعماله وسلوكه يرفع عن البعض صعوبات ومشقات الحياة عدا عن أنه كان يقدم نموذجاً لكيفية خدمة الآخرين ويعلم كيف تكون الخدمة.

(١) كشف الغمة، ج٢، ص٢٩.

آداب الخدمة

اشتملت سيرة الإمام الحسين عليه السلام على نقاط ظريفة فيما له علاقة بخدمة الناس تحتاج إلى الدقة والتأمل. من أبرز الأمور التي يمكن ملاحظتها الاهتمام بشخصية وحيثية الأفراد في أمر الخدمة، لأنه لو جرى أثناء خدمة الناس عدم الالتفات إلى كرامتهم وماء وجوههم، فلن يكون للخدمة أي أثر إيجابي، بل على العكس من ذلك ستكون الخدمة سبباً في الكراهية والابتعاد، وفي هذا الحال تتحول ثمار الخدمة العذبة إلى ذكريات مريرة؛ لذلك نرى الإمام الحسين عليه السلام كثير الاهتمام بهذه المسألة الخاصّة حيث كان يراعيها مع المحتاجين. فيما يلي نطالع نموذجين من سلوك الإمام في هذا الإطار:

١ . في أحد الأيام جاء شخص من الأنصار إلى الإمام في طلب حَلِّ مشكلة، وقبل أن يتلفظ الشخص بكلمة، أدرك الإمام عليه السلام ومن خلال وجهه المضطرب مقدار الألم الذي يحمله في داخله فقال له: «**يا أخا الأنصار صُن وجهك عن بذله المسألة وارفع حاجتك في رقعة فإني آت فيها ما سارَّك إن شاء الله**». فكتب: «**يا أبا عبد الله إن لفلان عليّ خمسمائة دينار وقد ألح بي فكلمه ينظرني إلى ميسرة، فلما قرأ الحسين عليه السلام الرقعة دخل إلى منزله فأخرج صرة فيها ألف دينار وقال عليه السلام له: أمّا خمسمائة فاقض بها دينك، وأمّا خمسمائة فاستعن بها من دهرك**».

وأضاف الإمام عليه السلام قائلاً: «**ولا ترفع حاجتك إلا إلى أحد ثلاثة: إلى ذي دين، أو مروةٍ، أو حَسَبٍ، فأمّا ذو الدين فيصون دينه، وأمّا ذو المروة فإنّه يستحي لمروته، وأمّا ذو الحسب فيعلم أنك لم تكرم وجهك أن تبذله له في حاجتك، فهو يصون وجهك أن يَرُدَّك بغير قضاء حاجتك**»[١].

(١) تحف العقول، ص٢٤٧.

٢ . وفد أعرابي المدينة فسأل عن أكرم الناس بها، فدُلّ على الحسين عليه السلام فدخل المسجد فوجده مصلياً فوقف بإزائه وأنشأ:

لَـمْ يَـخِـبْ الآنَ مـن رَجَـاكَ وَمَـنْ حَـــرَّكَ مـن دونَ بـابِـكَ الـحَـلَـقـه
أنـــتَ جـــوادٌ وأنـــت مـعـتـمـدٌ أبـــوكَ قـد كـان قـاتـلَ الـفَـسَـقـة
لـــولا الـــذي كـــانَ مـن أوائـلُـكـم كـانـت عـلـيـنـا الـجـحـيـمُ مُـنَـطـبِـقـه

قال: فسلم الحسين عليه السلام وقال: يا قنبر هل بقي من مال الحجاز شيء؟ قال: نعم أربعة آلاف دينار، فقال: هاتها قد جاء من هو أحق بها منا، ثم نزع برديه ولف الدنانير فيها وأخرج يده من شق الباب حياء من الأعرابي وأنشأ:

خُـــذْهَـــا فـإنـي إلـيـك مـعـتـذرٌ وَاعـلَـمْ بـأنـي عـلـيـك ذو شَـفَـقـه
لـو كـان فـي سَـيْـرَنـا الـغـداةَ عصا أَمَـسْـتَ سـمـانـا عـلـيـك مُـنْـدَفِـقَـه
لـكـنَّ ريـــبَ الـــزمـــان ذو غِـيَـرٍ والـكـفُّ مـنـي قـلـيـلـةُ الـنـفـقـة

قال: فأخذها الأعرابي وبكى فقال له: لعلك استقللت ما أعطيناك، قال: لا، ولكن كيف يأكل التراب جودك[1]؟!

السلوك الطيب المقبول

إذا لم يتمكن الإنسان بعض الأحيان من قضاء حاجة المحتاج فمن المناسب أن يرضيه بلسان جميل وسلوك مقبول؛ لأن الشخص صاحب المسؤولية قد لا يتمكن دائماً من تقديم العون المالي، ولكنه يتمكن بسلوكه الطيب المقبول أن يضع مرهماً على جرح المعذبين؛ وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم**»[2].

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٠.
(٢) الاختصاص، ص٢٢٥.

وعليه فالإمام الحسين عليه السلام كان تارة غير قادر على رفع حاجة المحتاج، إلا أنه كان بسلوكه يرضي صاحب الحاجة، ومن جملة المصاديق على ذلك:

عن ابن مهران قال: كنت جالساً عند مولاي الحسين بن علي عليه السلام فأتاه رجل فقال: يا ابن رسول الله إنّ فلاناً له عليّ مال ويريد أن يحبسني، فقال عليه السلام: «**والله ما عندي مال أقضي عنك**»، قال: فكلمه، قال: فليس لي به أنس ولكني سمعت أبي أمير المؤمنين عليه السلام يقول قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**من سعى في حاجة أخيه المؤمن فكأنما عبد الله تسعة آلاف سنة، صائماً نهاره، قائماً ليله**»[1].

الإمام الحسين عليه السلام والمرضى أصحاب الحاجة

من جملة خصائص سيد الشهداء الهامّة، عيادة المرضى أصحاب الحاجة. كان الإمام عليه السلام يجلس إليهم يخفف عنهم الآلام الروحية والجسدية ويعمل على حَلّ مشكلاتهم الاقتصادية والمادية؛ لأن المرضى الفقراء يعانون من ناحية ما يعانون من أمراض، فهم يعانون من مشكلات مادية ذات علاقة بالديون والاحتياجات المادية حيث تترك المشكلات المادية آثاراً سلبية عليهم من الناحية الروحية والنفسية. لذلك يجب على أفراد المجتمع الإسلامي بالأخصّ المرفهين منهم الالتفات إلى هذه المسألة.

كتب ابن شهرآشوب: «**دخل الحسين على أسامة بن زيد وهو مريض وهو يقول: وا غماه، فقال له الحسين: وما غمك يا أخي؟ قال: ديني وهو ستون ألف درهم، فقال الحسين: هو عليّ، قال أخشى أن أموت، فقال الحسين: لن تموت حتى أقضيها عنك قال: فقضاها قبل موته. وكان عليه السلام يقول: شر خصال الملوك الجبن من الأعداء والقسوة على الضعفاء، والبخل عند الاعطاء**»[2].

(١) بحار الأنوار، ج٧١، ص٣١٥.
(٢) مناقب آل أبي طالب، ج٣، ص٢٢١.

خدمة الضعفاء والأيتام

كان الإمام الحسين عليه السلام كما سائر المعصومين عليهم السلام يهتمون بخدمة المحرومين والأيتام وكان لهم في ذلك برامج خاصة، كان الإمام عليه السلام لا ينتظر حتى يأتي اليتيم إليه ليحدثه بحاجته، بل كان هو الذي يبادر إلى ذلك حيث كان يقصد الأيتام في الليالي المظلمة. كان الإمام الحسين عليه السلام في هذا الأمر كوالدة أمير المؤمنين عليه السلام ذا اهتمام بالغ بهذه المسألة يؤديها بشكل غير محسوس، لذلك كان الناس قبل شهادته غير مطلعين على ما كان يقوم به مع الأيتام والمحرومين. يقول: «**شعيب بن عبد الرحمن الخزاعي**» في هذا الشأن: وجد على ظهر الحسين بن علي يوم الطف أثر فسألوا زين العابدين عليه السلام عن ذلك فقال: «**هذا مما كان ينقل الجراب على ظهره إلى منازل الأرامل واليتامى والمساكين**»[1].

الخدمة على قدر المعرفة

إن خدمة الناس في سيرة الإمام الحسين عليه السلام هي على قدر المعرفة؛ لأن أكثر رأسمال مفيد للشخص هو جوهر المعرفة والعلم والأدب، وإنّ كافة أمور الحياة وفلسفة خلق الإنسان هي للوصول إلى هذا المقام حيث يرافق هذا الرأسمال الإنسان في الدنيا والآخرة.

جاء أعرابي إلى الحسين بن علي عليه السلام فقال: يا ابن رسول الله قد ضمنت دية كاملة وعجزت عن أدائه، فقلت في نفسي: أسأل أكرم الناس، وما رأيت أكرم من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال الحسين عليه السلام: «**يا أخا العرب أسألك عن ثلاث مسائل، فإن أجبت عن واحدة أعطيتك ثلث المال، وإن أجبت عن اثنتين أعطيتك ثلثي المال، وإن أجبت عن الكل أعطيتك الكل**».

(١) م.ن، ج٤، ص٦٦؛ بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٠.

فقال الأعرابي: يا ابن رسول الله أمثلك يسأل عن مثلي وأنت من أهل العلم والشرف؟

فقال الحسين عليه السلام: بلى سمعت جدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «**المعروف بقدر المعرفة، فقال الأعرابي: سل عما بدا لك، فإن أجبت وإلا تعلمت منك، ولا قوة إلا بالله**».

فقال الحسين عليه السلام: **أي الأعمال أفضل؟** فقال الأعرابي: الإيمان بالله، فقال الحسين عليه السلام: **فما النجاة من المهلكة؟**

قال الأعرابي: الثقة بالله، فقال الحسين عليه السلام: **فما يزين الرجل؟** فقال الأعرابي: علم معه حلم، فقال: **فإن أخطأه ذلك؟** فقال: مال معه مروءة، فقال: **فإن أخطأه ذلك؟** فقال: فقر معه صبر، فقال الحسين عليه السلام: **فإن أخطأه ذلك؟** فقال الأعرابي: فصاعقة تنزل من السماء وتحرقه فإنه أهل لذلك.

فضحك الحسين عليه السلام ورمى بصرَّة إليه فيها ألف دينار، وأعطاه خاتمه، وفيه فص قيمته مائتا درهم وقال: يا أعرابي أعط الذهب إلى غرمائك، واصرف الخاتم في نفقتك، فأخذ الأعرابي وقال: «**الله أعلم حيث يجعل رسالاته**»[1].

تحذير المسؤولين

تحدَّث الإمام عليه السلام قبل مدة قصيرة من موت معاوية في خطبة حساسة وتاريخية في منى في جمع من مسؤولي المجتمع الإسلامي والعلماء أصحاب الدور المؤثر في المجتمع والمقصِّرين على مستوى خدمة الناس وحذرهم مما هم فيه.

يتحدث الإمام عليه السلام في مقطع من كلامه مشيراً إلى تضييع حقوق المستضعفين والمحرومين في المجتمع ومنتقداً عدم اهتمام المسؤولين بالمجتمع. قال: «**فأمّا حقُّ الضعفاء فضيَّعتم وأما حقكم بزعمكم فطلبتم، فلا مالاً بذلتموه ولا نفساً**

(١) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٦.

خاطرتم بها للذي خلقها ولا عشيرة عاديتموه في ذات الله، أنتم تتمنون على الله جنته ومجاورة رسله وأماناً من عذابه؟!».

ويشير الإمام عليه السلام في مقطع آخر إلى أوضاع المستضعفين والمحرومين المؤسفة ويقول: «**وقد ترون عهود الله منقوضة فلا تفزعون وأنتم لبعض ذمم آبائكم تقرعون وذمة رسول الله مخفورة، والعمي والبكم والزمن في المدائن مهملة لا ترحمون ولا في منزلتكم تعملون وفي من عمل فيها تعنون وبالإدهان والمصانعة عند الظلمة تأمنون**»[1].

يعتبر الإمام الحسين عليه السلام أن الامتناع عن الاهتمام بالمحرومين والمحتاجين من أسوأ صفات الحكام ويقول: «**شر خصال الملوك: الجبن من الأعداء والقسوة على الضعفاء والبخل عند الإعطاء**»[2].

كان الإمام عليه السلام يدافع عملياً عن المحرومين في المجتمع ويؤكد على ضرورة خدمتهم وكان له في هذا الشأن أبيات من الشعر، يقول:

إذا جادت الدنيا عليك فَجُدْ بها على النّاسِ طُراً قبل أن تتفلت
فلا الجودُ يُفنيها إذا هي أَقْبَلت ولا البُخْلُ يُبقيها إذا ما تولّت[2]

آثار الخدمة

أراد الإمام عليه السلام إعلام الناس بآثار خدمة الناس وذلك بهدف نشر هذا الأمر. يقول: «**فمن تعجل لأخيه خيراً وجده إذا قَدم عليه غداً، ومن أراد الله تبارك وتعالى بالصنيعة إلى أخيه كافاه بها في وقت حاجته وصرف عنه بلاء الدنيا ما هو أكثر منه ومن نَفَّس كُربة مؤمن فرج الله عنه كرب الدنيا والآخرة**»[3].

(١) تحف العقول، ص٢٣٧ و٢٣٨.
(٢) العوالم، الإمام الحسين، ص٦٢.
(٣) كشف الغمة، ج٢، ص٢٩ و٣٠.

أهم شروط الخدمة

هناك شرطٌ أساسي في مسألة خدمة الناس يفقد العمل الحسن القيمة من دونه وهو أن الإحسان يجب أن يحصل عبر الطريق الصحيح والطاهر. يجب أن يكون على أساس التقوى والطهارة ولله فقط وإلا كانت الخدمة لأجل إرضاء الأهواء النفسانية والشيطانية، لأن عمل الخير يجب أن يحصل عبر الطريق الصحيح، كما يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]. وفي هذا المجال قدم الإمام الحسين عليه السلام تعليمات قيمة.

وعن الحسين بن علي عليهما السلام، أنه قيل له: إنّ عبد الله بن عامر تصدق اليوم بكذا وكذا، وأعتق كذا وكذا، فقال: «**أنما مثل عبد الله بن عامر، كمثل الذي يسرق الحاجَّ ثم يتصدق بما سرق، إنما الصدقة الطيبة صدقة من عرق فيها جبينه وأغبر فيها وجهه، قيل لأبي عبد الله عليه السلام: من عنى بذلك؟ قال: أمير المؤمنين عليه السلام**»[2].

(١) سورة المائدة، الآية: ٢٧.

(٢) دعائم الإسلام، ج٢، ص٣٢٩؛ مستدرك الوسائل، ج٧، ص٢٤٤.

إيجاد عزة النَّفس في سيرة الإمام الحسين عليه السلام

عبد الكريم باك نيا

تعتبر عزة النفس من جملة لوازم الحياة الناجحة والموفقة. والشخص الذي يرغب في إزاحة كافة المشكلات والموانع عن طريق وصوله للأهداف المتعالية، والوصول إلى مراحل التكامل والتعالي، ينبغي له أن يبدأ ذلك من مرحلة عزة وكرامة النفس وأن يعتقد بهذه الموهبة الإلهية في نفسه. وأما عدم امتلاك عزة للنفس ووجود عقدة حقارة الذات، فهُما أصل الكثير من أشكال الحرمان وعدم النجاح واختيار الطرق المخالفة للشرع والعرف عدا عن كونهما سبباً في تجاوز التقاليد الاجتماعية المقدسة وأنواع الخيانات والجرائم. يقول الإمام علي عليه السلام: «**من كرمت عليه نفسه لم يهنها بالمعصية**»[1].

من هنا يمكن القول إنه لا يمكن الاعتماد والثقة بالذين يعيشون عقدة حقارة الذات والذين لا يعتقدون بقيمة لأنفسهم وبالتالي لا يمكن إيكال أيّ من أمور المجتمع إليهم، عدا عن أن الآخرين لن يكونوا بمأمن منهم.

يقول الإمام الهادي عليه السلام: «**من هانت عليه نفسه فلا تأمننَّ شره**»[2].

إن الذي لا يهتم بشخصيته لن يبالي في اذلال الآخرين. لذلك وبهدف الحفاظ على اجتماع المسلمين وتقوية العلاقة الدينية والعاطفية والثقافية بين أفراد

(١) عيون الحكم والمواعظ، ص٤٣٩.
(٢) تحف العقول، ص٤٨٣.

المجتمع والحؤول دون شيوع المعاصي وأنواع الانحرافات، يجب تنمية وتطوير روحية العزة وكرامة النفس في المجتمع.

يَعْتَبر الإمام الحسين عليه السلام أنّ وجود عزة النفس من الصفات الضرورية للمؤمنين ويقول: «**إياك وما تعتذر منه فإن المؤمن لا يسيء ولا يعتذر والمنافق كل يوم يسيء ويعتذر**»[1].

هناك الكثير من المحطات في سيرة وكلام الإمام الحسين عليه السلام التي ندرك من خلالها ما كان يسعى إليه الإمام عليه السلام من تنمية وتقوية لعزة النفس عند الأفراد. سنحاول في هذا المختصر الإطلالة على بعض أساليب الإمام الحسين عليه السلام في تنمية عزة النفس فيكون نموذجاً يوصل إلى السعادة والإيمان الحقيقيَّيْن.

احترام الأطفال

عندما يحظى الأطفال باحترام الكبار بالأخص الوالدين، فسيكونون في المستقبل أشخاصاً أصحاب عزة ونجاح وثقة بالنفس؛ لأن احترام شخصية الأطفال ـ أصحاب الأرواح اللطيفة والحساسة ـ يقوي من روحية الاعتماد على النفس والثقة بها ويُهيِّئ الأرضية، للنمو الأخلاقي وإيجاد الصفات الحسنة عندهم، ممّا يجعل منهم في المستقبل أشخاصاً ذوي عزة نفس بعيدين عن كل أشكال احتقار الذات. فيما يلي نشير إلى عدة نماذج من احترام شخصية الطفل في سلوك الإمام الحسين عليه السلام:

١. ينقل عبد الله بن عتبة وهو من مشاهير فقهاء أهل السنة: قال: كنت عند الحسين ابن علي عليه السلام إذ دخل عليٌّ بن الحسين الأصغر، فدعاه الحسين عليه السلام وضمه إليه وقبل ما بين عينيه ثم قال: «**بأبي أنت ما أطيب ريحك وأحسن خلقك**»[2].

(١) حياة الإمام الحسين عليه السلام، ج١، ص١٨١.
(٢) كفاية الأثر، ص٢٣٤؛ معجم رجال الحديث، ج١٢، ص٨٢.

٢ . يقول جعيد بن همدان وهو أحد أصحاب الإمام الحسين عليه السلام : أتيت الحسين بن علي وعلى صدره سكينة بنت الحسين فقال [لأهله]: يا أخت كلب خذي ابنتك عني. ثم بدأ يحدثني عن أنواع الناس[١].

احترام أفكار وآراء الآخرين

من جملة الأساليب الفاعلة في المسائل التربوية والتبليغية، احترام أفكار وآراء الآخرين.

يتمكن المربي والمبلغ بهذا النحو من إضفاء الشخصية على المخاطبين فيتمكن من النفوذ إلى أعماقهم. يمكن إحياء روحية الثقة بالنفس لدى المخاطب من خلال الالتفات إلى أفكاره واحتياجاته وبالتالي تقوية عزة النفس لديه.

في أحد الأيام تقدم «**الحسن المثنى**» ابن الإمام المجتبى عليه السلام طالباً الزواج من إحدى بنات عمه الإمام الحسين عليه السلام . خاطبه الإمام عليه السلام قائلاً: «**اختر يا بني أحبها إليك**». سكت «**الحسن المثنى**» حياءً ولم يتحدث بشيء. فقال له الحسين عليه السلام : «**فإني قد اخترت لك ابنتي فاطمة فهي أكثرهما شبهاً بأمي فاطمة بنت رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم»[٢].

التحية والسلام

من جملة الأساليب القرآنية ذات العلاقة بعزة النفس بين الأفراد، إلقاء التحية والسلام عليهم. وأراد الله تعالى في القرآن الكريم اظهار عظمة المؤمنين، لذلك أمر الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بالسلام على أهل الإيمان: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾[٣].

ويشاهد وبوضوح وجود هذا الأسلوب القرآني في سيرة الإمام الحسين عليه السلام .

(١) ترجمة الإمام الحسن عليه السلام ، ص١٥٩.
(٢) مقاتل الطالبين، ص١٢٢؛ كشف الغمة،
(٣) سورة الأنعام، الآية: ٥٤.

يقول الإمام عليه السلام في ثواب إلقاء السلام: «**للسلام سبعون حسنة؛ تسع وستون للمبتدئ وواحدة للراد**»[١].

ويؤدي إلقاء السلام إلى تقوية الإحساس بالعزة والكرامة النفسية عند الشخص الذي يلقى السلام عليه ويرفع من مقامه عند الآخرين.

تبرز أهمية هذا الأسلوب وقيمته إلى مستوى نجد الإمام الحسين عليه السلام ينهى عن الشروع بالكلام من دون السلام حتى إنه خاطب الشخص الذي شرع السؤال عن أحواله من دون القاء السلام قائلاً: «**السلام قبل الكلام عافاك الله. لا تأذنوا لأحد حتى يسلم**»[٢].

وقد تحدث الإمام الحسين عليه السلام عن الشخص الذي لا يستفيد في علاقاته الاجتماعية والعائلية من هذه السنة القرآنية قائلاً: «**البخيل من بخل بالسلام**»[٣].

بناءً على سرة أهل البيت عليهم السلام فإن للسلام على المسلمين العصاة تأثيراً مطلوباً. يقول الإمام الحسين عليه السلام: «**إنّ ابن الكوا سأل علي بن أبي طالب عليه السلام، فقال: يا أمير المؤمنين تسلم على مذنب هذه الأمة؟ فقال عليه السلام: يراه الله عزَّ وجلَّ للتوحيد أهلاً، ولا تراه للسلام عليه أهلاً!**»[٤].

العلاقة الكلامية بعبارات لطيفة

إنّ كافّة أبناء البشر؛ أعم من الصغير والكبير، النساء والرجال، حساسون جداً في علاقاتهم الاجتماعية من ناحية الارتباط الكلامي مع بعضهم البعض، حتى إنّ نوع اللحن والصوت واختيار العبارات، ذَوَا أهمية كبيرة في جلب انتباههم. إن الكلام المنطلق من المحبة واللطيف والرقيق، يترك تأثيراً عميقاً في أرواح

(١) تحف العقول، ص٢٤٨.
(٢) مستدرك الوسائل، ج٨، ص٣٥٨.
(٣) تحف العقول، ص٢٤٨.
(٤) مستدرك الوسائل، ج٨، ص٣٥٩.

المخاطَبين ويقوّي الاحساس بعزة النفس لديهم. إن الذين يحافظون في عباراتهم على كمال الأدب والعفة، هم في نظر المخاطب أعزاء مكرمون ينظر إليهم كافة الناس نظرة احترام وتعظيم.

في الحقيقة فإن رعاية الأدب والعفة في الكلام تؤدِّيان إلى عزة النفس عند المتكلم والمخاطَب. ومن خلال العبارات اللطيفة والرقيقة يمكن علاج كافة أشكال المشاكل والعصبيات والأمور التي تنطلق من الاحتقار والمذلة. يقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**من أكرم أخاه المسلم بكلمة يلطفه بها وفرج عنه كربته، لم يزل في ظل الله الممدود، عليه الرحمة ما كان في ذلك**»(١).

فيما يلي نشير إلى بعض نماذج العلاقات الكلامية في سيرة الإمام الحسين عليه السلام.

١ . عندما أراد الإمام الحسين عليه السلام الخروج من المدينة، وبعد أن ركب الجميع، نادى: «**أين أخي؟ أين كبش كتيبتي؟ أين قمر بني هاشم**»؟ عند ذلك أجاب العباس: «**لبيك، لبيك، يا سيدي**»(٢).

٢ . عندما سأل القاسم عليه السلام عن شهادته، خاطبه الإمام الحسين عليه السلام على النحو الآتي: «**أي والله، فداك عمك إنك لأحد من يُقْتَل من الرجال معي**»(٣).

٣ . عندما وَدّع ابنته سكينة، خاطبها بكلمات تُهدِّئ من روعها بعد فراقه: «**يا نور عيني! كيف لا يستسلم للموت من لا ناصر له ولا معين**»(٤)؟!

(١) الكافي، ج٢، ص٢٠٦؛ وسائل الشيعة، ج١٦، ص٣٧٦.
(٢) ثقافة عاشوراء، ص٣٨٦؛ معالي السبطين، ج١، ص٢٢٠.
(٣) مدينة المعاجز، ج٤، ص٢١٤.
(٤) ناسخ التواريخ، ج٢، ص٣٦٠.

٤ . عندما أرسل الإمام الحسين عليه السلام أخاه العباس عليه السلام ليستطلع سبب حركة جيش العدو، بدأ الكلام معه قائلاً: «**يا عباس! إركب، بنفسي أنت يا أخي، حتى تلقاهم، فتقول لهم: ما لكم؟! وما بدا لكم؟!**»[١].

٥ . ودّع الإمام الحسين عليه السلام ابنه السجاد عليه السلام في يوم العاشر من المحرم وقد ضم ابنه إلى صدره وخاطبه بكلمات رقيقة لطيفة: «**يا ولدي! أنت أطيب ذريتي وأفضل عترتي وأنت خليفتي على هؤلاء العيال والأطفال**»[٢].

الاحترام والتشجيع

إنّ احترام الآخرين وتشجيعهم لما قاموا به من أعمال مقبولة ومطلوبة، مؤثر في مستوى تقوية روحية الثقة بالنفس، وبالتالي تنمية الإحساس بالعزة لديهم. وتبرز أهمية هذا العامل إلى مستوى يمكن القول إنّ الاحترام والتشجيع هما الأساس في ايجاد الخصال الحسنة وتقوية الثقة بالنفس. إنّ التشجيع يؤدي إلى ظهور الاستعدادات الخفية عند الإنسان ووصولها إلى فعلياتها الحقيقية ممّا يؤدي إلى تفتح وظهور الإبداعات الداخلية. وللتشجيع مظاهر كثيرة، من جملتها: الثناء، التقدير، الاحترام، التجليل، إعطاء الجوائز المادية والمعنوية، بذل العاطفة والمحبة والشكر. فيما يلي نشير إلى بعض نماذج التشجيع عند الإمام الحسين عليه السلام.

١ . احترام المعلّم

كان جعفر أحد أبناء الإمام الحسين عليه السلام يدرس عند معلم في المدينة باسم «**عبد الرحمان السلمي**». في أحد الأيام عَلّم المعلم سورة الحمد للطفل. عندما قرأ الطفل السورة على مسامع الإمام الحسين عليه السلام، قام الإمام عليه السلام بما من

(١) تاريخ الطبري، ج٤، ص٣١٥.
(٢) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٤٨٦.

شأنه تجليل واحترام المعلم مقابل هذا العمل القَيّم ثم أهداه ألف دينار وألف حلّة. وعندما سألوا الإمام عليه السلام عن سبب هذا العطاء، أجاب: «**وأين يقع هذا من عطائه**»؟ ثم قرأ الأبيات الآتية:

إذا جاءت الدنيا عليك فَجُد بها على الناس طُراً قبل أن تتفلت
فلا الجودُ يُفنيها إذا هي أَقْبَلت ولا البُخْلُ يُبقيها إذا ما تولّت

٢ . التشجيع على العمل الحسن

في أحد الأسفار، أضاع الإمام الحسن عليه السلام الطريق. وفي الليل صادف في طريقه راعياً. استضاف الراعي الإمام عليه السلام عنده ثم أرشده إلى الطريق عند الصباح. فقال له الحسن عليه السلام: «**إني ماضٍ إلى ضيعتي ثم أعود إلى المدينة ووقت له وقتاً. وقال له: تأتيني به. فلما جاء الوقت شغل الحسن عليه السلام بشيء من أموره عن قدوم المدينة، فجاء الراعي وكان عبداً لرجل من أهل المدينة فصار إلى الحسين عليه السلام وهو يظنه الحسن عليه السلام فقال: أنا العبد الذي بت عندي ليلة كذا، ووعدتني أن أصير إليك في هذا الوقت، وأراه علامات عرف الحسين عليه السلام أنه الحسن، فقال الحسين عليه السلام له: لمن أنت يا غلام؟!**

فقال: لفلان، فقال عليه السلام: كم غنمك؟ قال: ثلاثمائة، فأرسل إلى الرجل فرغبه حتى باعه الغنم والعبد، فاعتقه ووهب له الغنم مكافأة لما صنع مع أخيه. وقال عليه السلام: إن الذي بات عندك أخي وقد كافأتك بفعلك معه»[1].

٣ . تحرير الأَمة

يقول أنس بن مالك كنت عند الإمام الحسين عليه السلام عندما قامت إحدى إمائه بإهدائه وردة. أخذ الإمام عليه السلام الوردة وقال لها: أنتِ حرة لوجه

(١) موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام، ص٩٢١.

الله». ثم إنّ أنس بن مالك سأل الإمام عليه السلام عن تحريرها وأنّ وردة تدفعه إلى ذاك العمل! أجاب الإمام عليه السلام مستحضراً ما جاء في القرآن الكريم: ﴿وَإِذَا حُيِّيتُم بِتَحِيَّةٍ فَحَيُّوا بِأَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا﴾[1]. ثم قال: «**وكان أحسن منها عتقها**»[2].

احترام الاسم الحَسَن

إن الاسمَ الحَسَن يدفع الآخرين لاحترام صاحبه، لا بل قد يتفاءلون باسمه. ويؤدي هذا العمل إلى تقوية شخصيته وزيادة الإحساس بالعزة لديه. من هنا يمكن القول إنّ الاسم الحسن يؤدي إلى نشاط وسرور صاحبه. وعلى هذا الأساس يجدر بالأهل الالتفات والدقة في مسألة إطلاق الاسم على الأبناء. عندما سقط الحر شهيداً وكان في آخر لحظات حياته، جاء الإمام الحسين عليه السلام ووقف عند رأسه ثم كان يمسك بيديه المباركتين وجه الحر، يمسح التراب والدم عنه، عند ذلك تحدث الإمام عليه السلام قائلاً: «**بخ بخ لك يا حر، أنت حُرّ كما سميت في الدنيا والآخرة**» ثم إن الإمام عليه السلام تحدث عن والدته قائلاً: «**والله ما أخطأت أمك إذ سمتك حراً، فأنت والله حُرّ في الدنيا وسعيد في الآخرة**»[3].

الكلام الباعث على العزة

كان الإمام الحسين عليه السلام يسعى وبشكل عملي لإحياء الاطمئنان والثقة بالنفس في وجود الأشخاص عدا عن أنه عليه السلام كان يعمل وبشكل جاد في مساعدة المحرومين والمستضعفين والحفاظ على حيثياتهم وماء وجوههم وعدم التعرض لذلك بأي شكل من الأشكال. وكان عليه السلام يولي أهمية خاصة في أقواله لإحياء الكرامة الإنسانية والعزة الشخصية. وننهي المقال بعبارات تحكي عن روحية

(١) سورة النساء، الآية: ٨٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٤٤، ص١٩٥.
(٣) لواعج الأشجان، ص١٤٧؛ اللهوف، ص١٩٢.

عزة النفس عند الإمام عليه السلام والتي كانت بوجه الظالمين والمعتدين على حقوق المسلمين.

هناك الكثير من الناس ممن يفرون من الموت ويلتجئون إلى أنواع الملذات، وذلك لأجل يومين من الحياة الدنيوية السريعة الانقضاء، مما يجعلهم يضحون بعزتهم وكرامتهم. يقول الإمام الحسين عليه السلام في هذا الشأن: «**ألا وإن الدعي ابن الدعي قد ركز بين اثنتين بين السلة والذلة وهيهات منا الذلة، يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون وحجور طابت وطهرت وأنوف حمية ونفوس أبية من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام**»[1].

(١) اللهوف، ص١٨٠.

الباب الخامس:

مجتمعٌ وأسرة

- الطلاق أبغض الحلال
- العائلة وتربية الأبناء

الطلاق أبغض الحلال

بلا شك أنه لا يوجد أي نظام أرسى نظام الأسرة كما أرساهُ الإسلام بشكل محكم ومستقرٌ، فالإسلام وضع نظاماً للزواج مهتماً به لحظة بلحظة حتى يدرأ كافة التهديدات والأخطار التي تهدد الحياة الزوجية.

فأحبُّ العقود في الإسلام هو عقد الزواج المقدس، وأبغض الأمور عند الله تعالى هو الطلاق والإنفصال.

فعن رسول الله ﷺ: «**ما بُني بناء في الإسلام أحبّ إلى الله عزَّ وجلَّ من التزويج**»[١].

وعنه: «**ما من شيء أبغض إلى الله عزَّ وجلَّ من بيتٍ يخرب في الإسلام بالفرقة**»[٢].

إلا أن هناك بعض الأمور التي تطرأ على الحياة الزوجية والتي تحوّل هذا البناء المحبوب إلى بناء مبغوض، وإن معرفة هذه الأمور والاستعداد لها تمنع هذا التغير في الحياة الزوجية وتُبقي على سلامتها وسعادتها، وفي هذه المقالة سنشير باختصار إلى بعض هذه العوامل:

---

(١) بحار الأنوار، ج١٠٣، ص٢٢٢.

(٢) الكافي، ج٥، ص٣٢٨.

١ . التوقعات غير المحدودة

من العوامل المهمة التي تهدد الحياة الزوجية المشتركة من بدايتها هو التوقعات اللامحدودة.

وفي هذا المجال فإنّ تقوية روح القناعة وحدها هي التي تمنع هذا العامل من تهديده للأسرة، فعن علي عليه السلام: «**أنعم الناس عيشاً من منحه الله القناعة وأصلح له زوجه**»[١].

٢ . التدخلات غير المناسبة وغير المسؤولة للآخرين

ومن العوامل التي تهدد كيان الأسرة التدخلات غير المسؤولة للآخرين سيما عند الأفراد الذين هم حديثو العهد بالزواج، وهذا الأمر لا نعني به عدم إرادة الخير، لأنّ إرادة الخير لفلذات أكبادنا من النعم الإلهية التي تساهم في رفع الاختلافات.

٣ . اللامبالاة وعدم اهتمام أحدهما بالآخر

فإنّ كلاً من الرجل والمرأة لديهما مجموعة من الرغبات والحاجات التي وضعها الله عند الطرف الآخر، وإنّ عدم توجه أيّ من الزوجين لهذه الرغبات والحاجات يجعل مساحة الاختلافات بينهما تكبر شيئاً فشيئاً.

ففي حديث عن الإمام الصادق عليه السلام: «**لا ينبغي للمرأة أن تعطل نفسها**»[٢].

ومن جانب آخر فإنّ الإسلام أمر الرجل بالجلوس جانب زوجته وذلك من أجل إشباع حاجات زوجته العاطفية.

فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: «**جلوس المرء عند عياله أحبّ إلى الله تعالى من اعتكافٍ في مسجدي هذا**»[٣].

(١) ميزان الحكمة، حديث ١٧١٧٣.
(٢) مكارم الأخلاق، ص١٠٧.
(٣) ميزان الحكمة، الحديث ٧٨٨٤.

وكذلك فإننا نقرأ في القوانين الإسلامية أنّ الإسلام أوصى الرجال أن يتزينوا ويتهيؤوا لنسائهم.

يقول الحسن بن الجهم: رأيت أبا عبد الله الحسن عليه السلام اختضب، فقلت: جعلت فداك اختضبت، فقال: نعم، إن التهيئة مما يزيد في عفّة النساء، ولقد ترك النساء العفّة بترك أزواجهنّ التهيئة، ثم قال: أيسرّك أن تراها على ما تراك عليه إذا كنت على غير تهيئة؟ قلت: لا، قال: فهي ذاك[1].

٤ . سوء خلق أحدهما مع الآخر

من الآثار المهمة التي تنشأ بعد الزواج هو الشعور بالسكينة والإستقرار، وإلى هذا أشار الله بقوله:

فكل من الزوجين يشكل ظل السكينة للآخر وهذه من البركات والهبات الإلهية الكبرى، فمنشأ السكينة بينهما أنّ كل واحد منهما يكمل الآخر ويشكل ظلّ النمو والتربية والنشاط للآخر بحيث يشعر كل منهما بالنقص مع عدم وجود الآخر.

وهنا فإن حسن خلق كل منهما يؤدّي دوراً مؤثراً في إيجاد هذه البيئة كما أنّ سوء الخُلُق من الآفات الكبرى التي تهدد حياة الأسرة. ففي حديث غاية في الأهمية عن أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «**من ساء خلقه ملّه أهله**»[2].

فمن الطبيعي أن الكثير من المضايقات وعدم الاكتراث تجرّ الزوجين إلى الطلاق ولا يمكن جبرانها إلى حسن الخلق، ولا يخفى أن سوء الخلق فضلاً عن آثاره الدنيوية التي يتركها على الحياة الأسرية فإنه من الأمور التي يحاسب عليها الله يوم القيامة.

(١) الكافي، ج٥، ص٥٦٧، الحديث ٥٠.
(٢) ميزان الحكمة، الحديث ٥١٠٣.

وفي مضمون الحديث الوارد في أمالي الصدوق: أنه وبعد دفن الصحابي سعد بن معاذ قال النبي أنه ضُغط ضغطة القبر، ثم علّل ذلك بقوله إنه كان سيِّئ الخُلُق قليلاً مع أهله.

٥ . الهوس والتلبية غير المشروعة للرغبات النفسية

كلّما انساق الإنسان وراء شهواته أكثر فأكثر كلما كان عرضة للضياع والغرور، وشيئاً فشيئاً يصل إلى مرحلةٍ لا يصغي فيها لنداء العقل، وإنّ كثيراً من حالات الطلاق والإنفصال سببها تعطيل دور العقل وعدم الإنصات له.

يشير العلّامة الشهيد المطهري إلى هذا الجانب بكلام غاية في الأهمية نذكر هنا مقطعاً منه: فمن وجهة نظر الإسلام حدد العلاقات الجنسية المشروعة في محيط الزوجين والأسرة، فمن الناحية النفسية تساهم في السلامة النفسية للأسرة كما أنها تساهم في توطيد العلاقة بين أفراد الأسرة وفي العلاقة الحميمية الخالصة بين الزوجين.

والإسلام وضع مجموعة من التدابير من أجل توجيه الغريزة وحدد وظيفة معينة للرجال والنساء، وهناك وظيفة مشتركة للرجل والمرأة على حد سواء ترتبط بموضوع النظر، وخلاصتها أنه لا ينبغي للرجل والمرأة (غير المحرم) إملاء النظر من الآخر، ولا يجوز النظر بتلذذ أو شهوة إلى الطرف الآخر، وهناك تكليف خاص للمرأة وهو أنه يجب على المرأة التستر أمام الرجال الغرباء، وعدم الرغبة في المشاركة في اللقاءات المشتركة والامتناع عن أي عمل من شأنه تحريك الشهوة عند هؤلاء الرجال الغرباء.

لا شك أنّ أي عمل يساهم في تقوية الأواصر الأسرية والعلاقة المتينة بين الزوجين فإنه أمر مفيد جداً، ويجب السعي بجهد من أجل ايجاده وعلى العكس فإن أي عمل يوهن هذه العلاقة ويضعفها ويلحق بها الضرر فإنه يجب مواجهته ومقاومته.

إن كافة الاستمتاعات والتلذذات الجنسية مشروعة بين الزوجين في محيط

الأسرة وتقوّي العلاقة بين الزوجين وتحافظ على الاستقرار والاتصال الدائم بينهما.

فالهوس والنظرات الخاطئة لها عواقب سيئة، وعلى سبيل المثال يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**كم من نظرةٍ أورثت حسرةً طويلة**»[1].

ففي حال مراعاة الحجاب والشرائط الإسلامية الأخرى فإنّ مشاعر كلّ من الزوجين تتعلق بالآخر أكثر فأكثر حتى تشيع العفة وينتفي الطمع من المجتمع.

وهناك نقطة ينبغي الالتفات إليها وهي أنّ الهوس الجنسي سواء عند الرجل أو المرأة له عواقب وضعية وقهرية سيئة، فعن الإمام الصادق عليه السلام: «**عفّوا عن نساء الناسيُعَفّ عن نسائكم**»[2].

٦ . المعاملة بالمثل

يُروى أن في عهد حكم النبي داوود عليه السلام كان هناك امرأة يأتيها رجل ويغصبها على الزنا، فأوحى الله إلى تلك المرأة أن تقول له: إنّك في كل مرة تأتي إلي هناك رجل يأتي إلى زوجتك، فذهب هذا الرجل إلى زوجته فوجد عندها رجلاً، فأتى به إلى نبي الله داوود عليه السلام وقال: يا نبي الله لقد أتاني من البلاء ما لم يأتِ به أحد، فقال النبي عليه السلام وما هو بلاؤك، فقال وجدت هذا الرجل عند زوجتي، فأوحى الله إلى داوود أن قل له: «**كما تدين تُدان**»[3].

٧ . المال الحرام:

يؤثر المال بشكل كبير في إيصال الزوجين إلى الطلاق، فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**إنّ الرجل إذا أصاب مالاً من حرام لم يُقبل منه حج ولا عمرة ولا صلة رحم حتى إنه يُسد فيه الفرج**»[4].

(١) الكافي، ج٥، ص٥٥٩.
(٢) أمالي الصدوق، ص٢٣٨.
(٣) من لا يحضره الفقيه، ج٤، ص١٤١.
(٤) أمالي الطوسي، ص٦٨٠، الحديث ١٤٤٨.

عوامل الاصلاح:

إذا اشتد النزاع بين الزوج والمرأة لأي سبب كان، فإنّ الله تعالى وضع جملة من الأمور يمكن الرجوع إليها منعاً لانهيار هذا البناء المحبب إليه، نشير هنا إلى بعضها:

١ . محكمة العائلة:

عندما تصل الأسرة إلى حد الخوف من التشتت والتبعثر فإنه من الضروري اللجوء إلى محكمة العائلة، ويعني ذلك أنه يتم اختيار شخصٍ عادلٍ من طرف الزوج وآخر من طرف المرأة ليستطلعا المشاكل ويسعيا للإصلاح بينهما، وأن يبذلا جهدهما في سبيل الإصلاح ووضع حلول للمشاكل القائمة وعدم الوصول بأي شكل من الأشكال إلى خيار الانفصال والطلاق.

هذه الآية تطرح تشكيل محكمة عائلية بأسلوب غاية في الروعة. فيقول تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَابْعَثُوا حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَا إِن يُرِيدَا إِصْلَاحًا يُوَفِّقِ اللَّهُ بَيْنَهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا خَبِيرًا﴾[1].

١ . اختيار عادلَيْن من طرف الزوج والزوجة يسعيان لخير الطرفين والإصلاح بينهما.

٢ . هذه المحكمة ليست بحاجة إلى موازنة مالية.

٣ . سرعة الوصول إلى هذه المحكمة دون الحاجة إلى تراكم الملفات وعبء المشاكل الإدارية.

٤ . عدم وصول أسرار الزوجين إلى الأجانب وبقاؤها في محيط العائلة.

٥ . اعتماد هذين العدلين بشكلٍ دائم كونهما يمثلان طرفي العائلتين.

(١) سورة النساء، الآية: ٣٥.

وبناءً على هذه الآية فإن المجتمع ـ وبالأخص الأقرباء ـ مسؤولون عن تشكيل هذه المحكمة والسعي لرفع المشكلات القائمة والإصلاح بين الزوجين قبل حدوث أي أمر سيِّئ لا يكون في مصلحة الطرفين.

٢ . الالتفات إلى مستقبل الأولاد

لا شكّ أنّ الأب والأم يشكلان ملجأ الأولاد وحصنهم في أي أسرة، وهما يسعيان تحت ظل الألطاف الإلهية لتوفير أسباب الرفاهية وحمايتهم الجسدية والنفسية، ويعملان على إيصالهم إلى أعلى مراتب النمو والكمال والوعي.

فالخلاف والشقاق والنزاعات بين الزوج والزوجة تؤثر في شخصية الأطفال وتترك أثراً سيئاً على سلوكهم وتساهم في تعزيز خيار الطلاق، مع الالتفات إلى أنّ هؤلاء الأطفال سيشكلون جزءاً من المجتمع في المستقبل وأنّ أي تقصير أو قصور في وعيهم وتربيتهم من الآثام التي لا يغفرها الله تعالى.

٣ . التوصية بعدم الطلاق

أوصى الإسلام موقعي الطلاق والشهود والآخرين أن يسعوا لعدم المشاركة في جلسات الطلاق، ومن ذلك أن الطلاق لا يصح إلا بحضور شاهدين عدلين، ومن الطبيعي أن هذين العادلين بَذَلَا جهدهما من أجل التوفيق بين الزوجين وعدم الوصول إلى خيار الطلاق.

ومن البديهي أن هذه الأمور كلها جعلها الإسلام مانعاً من الوصول إلى الطلاق، والتخلص من حالة الغضب والتوتر التي يعيشها الزوجان والتي تؤدي غالباً إلى خيار الطلاق وبالتالي العودة إلى فضاء الحياة الزوجية السعيدة.

٤ . عدة الطلاق:

من المعلوم أنّ الرجل يستطيع الرجوع إلى زوجته خلال فترة العدة في الموارد التي وقع فيها الطلاق طلاقاً رجعياً، ومن الأمور الخاطئة التي لا يراعيها الكثيرون عند الطلاق أنه عندما يتم الطلاق فإنه سرعان ما يُخرج الزوج زوجته من المنزل

وتسارع الزوجة للخروج طلباً للحرية وهذا يخالف تعاليم الإسلام الذي أوجب احترام الزوجة وعدم إخراجها، فضلاً عن أن ذلك يوفر الأرضية للإصلاح وعودة الحياة الزوجية إلى مجاريها.

إنّ ثورة الغضب والغيظ الناشئة عن التراكمات بينهما غالباً ما تؤدي فجأة إلى قرار الطلاق والإنفصال، إلا أنّ بقاء الزوجة في المنزل وجلوس الزوجين إلى جانب بعضهما من شأنه أن يبرد أجواء الغضب ويُعيدُ الوِفاق أثناء العدة ـ إلا أنه مع الأسف كثيرون ممن يصل بهم الأمر إلى الطلاق لا يلتفتون إلى هذه المسألة ـ خصوصاً مع وجود الأطفال في المنزل، كما أنّ إظهار كلّ منهما محبته للآخر يساهم في صناعة أرضية الرجوع عن الطلاق فما يلبث أن تنقسع سحابه العداوة السوداء وتتبدد من سماء الحياة الزوجية وتشرق من جديد شمس المحبة والعاطفة وما أجمل قول الإمام الباقر عليه السلام: المطلقة تكتحل وتتخضب وتطيب.

عواقب الطلاق:

وفي النهاية نشير إلى بعض العواقب السيئة للطلاق وانفصال الزوجين.

١ . المشاكل العاطفية

لا شكّ أنّ الرجل والمرأة اللذين أمضيا مدة من الزمن يعيشان مع بعضهما البعض سيبتلى كل منهما بأزمة عاطفية مفاجئة بعد الطلاق حتى ولو تم التئام جرح الطلاق من خلال زواج آخر.

٢ . المشاكل الاجتماعية:

من الطبيعي أنّ كثيراً من النساء لا يتوفر لهنّ إمكانية الزواج اللائق والمكاسب مجدداً بعد الطلاق، ويتعرَّضْنَ لبلاء أكبر وخسارة واضحة، كما أنّ مشكلة الرجل ليست بأقل من خسارة النساء حيث سيبقى الرجل يعيش الحسرة والمرارة على حياته السابقة.

٣ . مشكلة الأولاد

وفي نهاية المطاف فإن المشكلة الأكثر إيلاماً هي مشكلة الأولاد حيث سيواجهون سيلاً من المشاكل النفسية والأزمات الروحية.

ومن المؤكد أن هذه بعض المشاكل التي تنتج من الطلاق والانفصال، وإلا فإن هناك آثاراً كثيرة تتعرض لها الأسرة بعد الطلاق.

والسؤال هو: هل إنّ تحمُّل بعض من المرارة في الحياة الزوجية التي تنطوي على كثير من الأنس والجمال أفضل أم تحمل الكثير من عواقب وآثار الطلاق؟.

لا شك أنّ طرح هذه المواضيع من قبل المبلّغين الأعزاء مفيد جداً ويمنع من انتشار موضوع الطلاق في المجتمع بنسبة كبيرة.

العائلة وتربية الأبناء

غلام رضا كلي زواره

تعتبر العائلة من وجهة نظر الإسلام أهم وأول حاضنة لتربية الأبناء وتهذيب أخلاقهم، ففيها يتلقى الأبناء دروس الفضيلة والمودة والخُلُق الحسن ويتعلمون الاجتناب عن الكذب والخيانة وفعل السوء، وعلى الرغم مما يتركه المجتمع على مسيرة الإنسان من أثرٍ من خلال الأصحاب وزملاء العمل إلا أن تأثير الأسرة يبقى أكبر وأكثر حساسية وأهمية.

إن مسؤولية العائلة من الأهمية بحيث إننا نقرأ في كتاب الله كيف يعلمنا أن ندعوه لتحقيق ذلك في الوسط الخاص بالمؤمنين. قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾[1].

ومن البديهي أن ليس المراد من الآية أن نجلس في الزوايا وندعو الله بذلك وإنما علاقة أهل الإيمان بالله وارتباطهم به كاشفٌ عن شوقهم ورغبتهم الروحية في تربية أبنائهم صالحةً، وإشارة إلى جهدهم واهتمامهم بذلك.

فعلى الناس أن تبذل قصارى جهدها في منح أبنائهم وزوجاتهم الرشد الفكري والإيماني والأخلاقي والمعرفي ويفيضون عليهم من ينابيع المودة والعطف والرحمة ما استطاعوا ثم يسألون الله تعالى أن يشملهم برأفته ورحمته ويُحسّن أحوالهم .

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٧٤.

وفي آية أخرى يقول الله تعالى محذراً أهل الإيمان: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ﴾[1].

جاء في إحدى الروايات أنه عند نزول هذه الآية فإن أصحاب النبي الأكرم ﷺ سألوه: كيف نقي عائلاتنا نار جهنم، فقال ﷺ: «**تأمرهم بما أمر الله وتنهاهم عما نهاهم الله، إن أطاعوك كنت قد وقيتهم وإن عصوك كنت قد قضيت ما عليك**»[2].

وفي حديثٍ آخر ينصح به رسول الله ﷺ المسلمين قائلاً: «**ألا كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته، الرجل راعٍ عن أهل بيته وهو مسؤول عنهم، فالمرأة راعية على أهل بيت بعلها وولده وهي مسؤولة عنهم**»[3].

ونقرأ في كلمات أمير المؤمنين عليه السلام أن أفضل ميراث يورّثه الأهل لأبنائهم هو الأدب والتربية الصالحة، فقد ورد عنه: «**إن خير ما ورث الآباء لأبنائهم الأدب**»[4].

وورد في حديثٍ آخر: « **علّموا أنفسكم وأهليكم الخير وأدبوهم** »[5].

ومما ورد عن لسان إمامنا السجّاد عليه السلام في خصوص هذه المسألة الحساسة أنه كان يقف على عتبة المولى تعالى ويطلب الاستعانة من القادر المتعالي فيقول: «**وأعني على تربيتهم وتأديبهم وبرهم**»[6].

مما تقدم يتضح أن الوالدين يشكلان مثلاً أعلى وقدوة مناسبة في تربية أبنائهم، وعليهم أن يرسموا لأبنائهم صورة النموذج الصالح والمناسب والواعي

(١) سورة التحريم، الآية: ٦.
(٢) تفسير نور الثقلين، ج٥، ص٣٧١.
(٣) مجموعة ورام، ورام ابن ابي فراس، ج١، ص٦.
(٤) روضة الكافي ، للشيخ الكليني، ج٨، ص ١٥٠.
(٥) الدر المنثو ، ج٦، ص٢٤٤.
(٦) الصحيفة السجادية، الدعاء الخامس والعشرون.

وتقديمها لهم للاقتداء بها، فعن مولانا الباقر عليه السلام: «**يحفظ الأطفال بصلاح آبائهم**»[1].

وفي رواية عن الإمام الصادق عليه السلام: «**إن الله ليفلح بفلاح الرجل المؤمن ولده وولد ولده**»[2].

وعليه فإن اللبنة الأولى في التربية هي تزكية الوالدين أنفسهم، فالذي لا يتمتع بالفضائل الأخلاقية ولا يراعى السلوك القويم لا يستطيع أن يهدي الآخرين إلى أرض الطهارة والصفاء.

وتشكل مسؤولية اختيار الزوجة الأرضية التربوية والفكرية الأولى للأبناء من وجهة نظر الإسلام، لأن مسؤولية التربية والوعي والعاطفة تقع على عاتقها، ومن هنا فإن الروايات نهت المسلمين عن الزواج من النساء المحرومات من الوعي والتربية الصالحة الكافية، وشددت الروايات على ضرورة اختيار الرجل المكان المناسب لنطفته؛ لأنّ هناك جملة من الخصال ستنتقل حتماً بالوراثة إلى الأبناء.

ومن نماذج هذه الآيات والروايات في هذا الموضوع يقول الله تعالى: ﴿وَٱلْبَلَدُ ٱلطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُۥ بِإِذْنِ رَبِّهِۦ ۖ وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا ۚ﴾[3].

وفي أحد الأيام قام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم خطيباً بين الناس وقال: «**إياكم وخضراء الدمن، قيل يا رسول الله وما خضراء الدمن؟ قال: المرأة الحسناء في منبت السوء**»[4].

وروى الإمام الصادق عليه السلام عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**إياكم وتزوج الحمقاء فإن صحبتها بلاء وولدها ضياع**»[5].

(١) بحار الأنوار، للعلامة المجلسي، ج ١٥، ص ١٧٨.
(٢) م.ن، ص١٧٨.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٥٨.
(٤) الكافي، ج٥، ص٣٣٢.
(٥) وسائل الشيعة، ج٤، ص٥٦.

ومما لا شك فيه أن مراعاة هذا الأصل المهم له انعكاساته المهمة على كل من الرجل والمرأة في الحياة الزوجية في جهات مختلفة، ويساهم في تقوية أواصر الأسرة ويخلق فضاءً مساعداً لتربية الإنسان على الفضائل والتوفيق والوعي وعزة النفس وسواها.

فتربية الأبناء لها أصولها وقواعدها والتي بمراعاتها يمكنك أن تصل سريعاً إلى الأهداف التي تتوخاها، وبناء عليه فإن الوالدين يستطيعان التغلب على المشاكل التي تعترضهما، وأما مع عدم مراعاتها فإنه لا يمكن تحقيق أي من الأهداف المرسومة، بل على العكس، فإن جملة من الاختلالات السلوكية والخسارات التي لا يمكن تعويضها أو جبرانها ستحلّ بالأطفال.

فهناك مسؤولية ملقاة على الأهل تجاه أبنائهم وعليهم أن يسعوا جهدهم لاختيار السبيل المناسب والكفيل بتقديم ابنٍ صالحٍ وسليمٍ للمجتمع.

وعلى الوالدين أن يتفاهما معاً على اختيار أفضل طريق في تربية الأبناء، وعليهما أن يحترما وجهات نظر بعضهما البعض، وأن يجتنبا الجدال واللجاجة والاستئثار، وأن يجعلا تفكيرهما في مستقبل أبنائهما والمسؤوليات الملقاة عليهم غداً، وذلك أنّ الجدال واللجاجة بلا أي طائل من شأنهما أن يسلبا الأبناء الإحساس بالأمن، كما أنه إذا أحس الأبناء أنّ الوالدين متضامنان معاً في تربيتهما فإنّ ذلك من شأنه أن يوصل هذه العائلة إلى ساحل الأمن والسعادة.

مراحل التربية

من الضروري في موضوع تربية الأطفال الالتفات إلى المراحل العمرية التي يمرون بها ، ففي رواية عن رسول الله ﷺ يُقسّم فيها مراحل تربية الطفل إلى ثلاثة أقسام تقع كل واحدة منها في سبع سنوات فيقول ﷺ: «**الولد سيدٌ سبعاً وعبدٌ سبعاً ووزيرٌ سبعَ سنين**»[1].

(١) سفينة البحار، ج٢، ص٦٨٤. أيضاً: مكارم الأخلاق، للطبرسي، ص١١٥.

وفي تكملة هذا الحديث يؤكد النبي الأكرم ﷺ أنه يجب تهيئة الطفل لتحمل أعباء وتكاليف الحياة الصعبة.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**ولدك ريحانتك سبعاً وخادمك سبعاً ثم هو عدوك أو صديقك**»[1].

وعن الإمام الصادق عليه السلام: «**الغلام يلعب سبع سنين ويتعلم الكتاب سبع سنين ويتعلم الحلال والحرام سبع سنين**»[2].

أولاً: مرحلة السيادة

عندما يبصر أي طفل من الأطفال النور فإنّ والديه يحمدان الله ويشكرانه، ويعتبران كما يعلّمنا الوحي المنزل على رسول الله ﷺ أن هذا المولود رحمة إن كان بنتاً، ونعمة إن كان صبياً، ثم يقومان بالأذان في أذنه اليمنى وبالإقامة في أذنه اليسرى حتى يحفظاه من شرّ الشيطان.

أ - **الاسم الجميل**: من حق الطفل على والديه أن يختارا له إسماً جميلاً، لأنّ رسول الله ﷺ يقول: «**من حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه**»[3].

وفي رواية رواها أبو بصير عن الإمام الصادق عليه السلام عن أبيه عن جده أمير المؤمنين عليه السلام يقول عليه السلام: «**سموا أولادكم قبل أن يولدوا فإن لم تدروا ذكر أم أنثى فسموهم بالأسماء التي تكون للذكر والأنثى، فإنهم أسقاطكم إذا لقوكم في القيامة ولم تسموهم، يقول السقط لأبيه ألا سميتني وقد سمّى رسول الله ﷺ محسناً قبل أن يولد**»[4].

(١) شرح نهج البلاغة، ابن ابي الحديد، ج٢٠، الكلمة، ٩٣٧، ص ٣٤٣.
(٢) فروع الكافي، ج٦، ص٤٦.
(٣) كنز العمال، للمتقي الهندي، ج١٦، ص ٤٦١.
(٤) فروع الكافي، ج٦، باب الكنى والألقاب، ص ١٨.

فالأسم هو الوجود الثاني للشخص، والإنسان يُعرّف في المجالس والمحافل العامة باسمه، فمن الضروري أن يراعي الوالدون معايير الشرع المقدس والبصيرة والحكمة والعرف العام في المجتمع ويختاروا اسماً جميلاً لأبنائهم.

فعن الإمام الباقر عليه السلام: «**أصدق الأسماء واسمي بالعبودية وأفضلها أسماء الأنبياء**»(١).

وبناءً عليه فإن الوظيفة الأولى للوالدين التي يجب عليهما القيام بها بدقة عالية هي انتخاب اسم مناسب لولدهما.

ب - حليب الأم

يساهم حليب الأم في وعي الطفل ويحفظه من الأمراض ويؤمن له الاستقرار النفسي، ويعتبر حليب الأم أفضل الأغذية وأكثر سلامة وغنى للطفل، ولذلك اعتبره الإسلام الغذاء الأول للطفل وحقه الطبيعي، فعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**ليس للصبي لبن خير من لبن أمه**»(٢).

ج - اللعب

في السنة الرابعة من عمر الطفل يدخل مرحلة جديدة من حياته، ففي هذه الفترة الزمنية تتضح له الكثير من المفاهيم ويتقمص فيها البعد النفسي له، ولذلك فعلى الوالدين العناية به أكثر فأكثر في هذه المرحلة، ويعتبر اللعب أفضل ما ينشغل به الطفل من سن الثالثة حتى السابعة وفي ذلك أكّد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: «**دع ابنك يلعب سبع سنين**»(٣).

ويؤيد علماء التعليم والتربية هذه الوصية من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأنّ الألعاب، فضلاً عن أن الحركات تعطي البدن شكله عند الأطفال، فإنها تساهم في توازن

(١) الكافي، ج٢، ص٨٦.
(٢) بحار الأنوار، ج٢٣، ص٧٦.
(٣) الكافي، ج٦، ص٤٦.

حواسه واعتدال تمايلاته، كما أنها تمنع الكثير من السلوك السيِّئ والعنيف.

يساهم اللعب عند الأطفال في تنمية جهات متعددة كالابتكار والقدرات الذهنية والعقل الخلّاق ويهيِّئ الطفل لحياة أكثر سعادة، كما أن القيم والمبادئ التي نادى بها الإسلام كنصرة الآخر والاتحاد والجماعة والمعاملة الحسنة وغيرها يمكن للأولاد أن يتعلموها أثناء فترة اللعب بشكل أفضل ويُدركوها بشكل أحسن.

نقاط لا بدّ من الالتفات إليها:

في فترة السيادة عند الأطفال أشار الأئمة الأطهار إلى جملة من المحاور التي يجب الالتفات إليها:

أ - تمتع الأطفال بمزايا التعليم والتربية وتوجيههم نحو القيم السامية والأمور التي تنسجم مع فطرة التوحيد ومعرفة الله، فعن علي عليه السلام: «**إنما قلب الحدث كالأرض الخالية كل ما ألقي فيها من شيء قبلته**»[1].

ب - في هذه المرحلة الزمنية يجب على الأطفال التعرف على الموازين الشرعية والمسائل العقائدية والفرائض الإلهية.

ويؤكد أمير المؤمنين أنّ الطفل إذا أدرك السنوات الخمس وصار يميز بين يمينه ويساره فعلّمه أن يتجه إلى القبلة ويسجد، وفي سنّ السادسة علمه الركوع والسجود، وفي سنّ السابعة علمه كيف يغسل يديه ويصلي وفي سن التاسعة علمه الوضوء والصلاة بشكل كامل.

وعنه عليه السلام: «**حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه ويعلمه القرآن**»[2].

فعلى الأهل أن يسلموا بهذا الواقع وهو أن الولد في هذه المرحلة من عمره تتكون شخصيته وأن أي سلوك يتعلمه يبقى أثره غالباً في المراحل العمرية التالية

(١) نهج البلاغة (تحقيق صالح) ص ٧٥٨.

(٢) ميزان الحكمة، الريشهري، ج٣، ص ٢٥٢٢.

من عمره ويختار طريقة تحت تأثير المبادئ والتعاليم التي تلقاها على يدي أبويه، فإذا حصل أي خلل أو نقص أو سوء تعليم في هذه المرحلة فمن الطبيعي أن تكون مسيرة حياته بعيدة عن الفضيلة والحق والصواب. وعلى الأبوين في هذه المرحلة أن يتعاملا مع الولد على أنه موجود ذو قيمة عالية داخل الأسرة وأن يبتعدا عن مخالفته وأن لا يجعلا نصب أعينهما تغذية بدنه فقط بل يساعداه على شق طريقه في الحياة ويرشدانه إلى الطريق الصحيح.

مع الأسف فإنّ بعض كبار السنّ يتعاملون مع الأطفال بجدية زائدة وبشيء من القسوة ويحمّلونهم بعض التكاليف محدودة الصعوبة ويضعون لهم القوانين ويصدرون الأوامر ويكثرون من تنبيههم وتحذيرهم ويهددونهم بالعقوبات علماً أن هذا النوع من المراقبة والمحاسبة له أثره السلبي على أذهان الأطفال وحالتهم النفسية، وبناءً عليه وحتى لا يُصاب الأطفال بمشكلات أخلاقية وسلوكية ، فعلى الوالدين الابتعاد عن الطريق الصعبة والعنيفة والمراقبة الدقيقة والارتقاء إلى سلوك السبيل الذي من شأنه إيجاد شخصية سليمة وعالمة لها ثقتها بنفسها وتجنح نحو الخير.

عين المحبة والعطف

في السنين السبع الأولى يعفى الطفل من التعليم الجدّي وتكون له حرية التعرف بشكل أكبر ولا يجب تكليفه بالأعباء الثقيلة، وقالوا في هذا المجال: «**إن الطفل في هذه المرحلة من عمره ليس مكلفاً**»، فالطفل على صغر سنه هو موجود له قيمته العالية ويجب أن يكون عزيزاً ومحبوباً في أسرته، ولا يمكن بأي شكل من الأشكال إرضاء عواطف الطفل ما لم يكن محيط العائلة مفعماً بالمحبة والود والأمن، فالمحبة إحدى أهم نقاط النفوذ إلى الأطفال، ومن خلالها يستطيع الأبوان أن يجعلا ابنهما تحت نظرهما ويحافظا على مساره وفق الأصول والتعاليم

التي تضمن له شخصية حكيمة وواعية، وأن يبقى بعيداً عن السقوط في مهاوي الفساد والرذيلة.

إن لإبراز المحبة أثراً كبيراً في موضوع التربية السليمة حتى ورد عن رسول الله ﷺ: «**نظر الوالد إلى ولده حباً له عبادة**»[1].

وفي حديث آخر عن رسول الرحمة ﷺ: «**أكثروا من قبلة أولادكم فإن لكم بكل قبلة درجة في الجنة مسيرة خمسمائة عام**»[2].

إن إظهار المحبة واللطف للأطفال بمنزلة الغذاء الروحي لهم، والتي يحتاجها الأطفال بشكل مستمر، ويجب أن تكون هذه المحبة بشكل صريح وعلني بحيث لا توجد أي شك أو تردد عند الأطفال، كما لا يجب التميز بين الأبناء في إظهار المحبة لأن ذلك من شأنه أن يوجد بعض الانحرافات والإحساس بالحقارة عند الآخرين، وأن أيّ شخص لا يرتوي من لطف ومحبة وحرارة العائلة فإنه من الطبيعي أن يفتش عنها خارج العائلة، وينجذب للكلام المعسول والكاذب والتملق الذي يجده في الخارج، وبالتالي فإن استمرار الوضع على هذا المنوال من شأنه أن يوصل الأطفال إلى المصائب والأزمات والأماكن التي لا تحمد عقباها.

فالأطفال الذين يعانون من المشاكل هم غالباً من الذين فقدوا المحبة والعطف في محيط عائلاتهم ولا يشملهم شعاع اللطف والحنان، فهؤلاء يسعون ليثبتوا وجودهم بشكل آخر ويستبدلوا محيط العائلة بمحيطٍ ينشدون فيه محبة الآخرين، هؤلاء الأطفال المحرومون من اللطف والمحبة هم ضحايا جهل العائلة وعدم محبتها ، وهم بأمس الحاجة إلى لفت نظر الآخرين إليهم والشعور بالثقة والتي بها يرضون أنفسهم من خلال سلوك بعض الطرق الملتوية التي سرعان ما تسبب لهم الكثير من المشاكل الاجتماعية.

(١) مستدرك الوسائل، باب ٦٤، ج١٥، ص١٧٠.
(٢) وسائل الشيعة، ج٢١، ص٤٨٥.

من الطبيعي أن دور الحضانة والحليب المتوفر للعموم لا يمكن أن تحلَّ مكان ابتسامة الوالدين الصادقة ولا تراعي مصلحة الطفل الخاصة، يقول الدكتور الكسيس كارل: **إن الأمهات اللواتي ينقطعن عن أطفالهن وهم ما زالوا في مهد الطفولة لينشغلن بأعمال إدارية وفنية وغير ذلك هؤلاء الأمهات هنَّ السبب المباشر في إطفاء شعلة المحبة في العائلة، وسرعان ما يقترب الأطفال من قضايا كثيرة أخرى يتلمسون بها شعاع المحبة واللطف.**

إن الرشد العاطفي هو ذلك المرتكز الذي يملك أهمية خاصة على كيفية الحالات الخصائص العاطفية وله أثره الكبير في الرشد الجسمي والرشد الذهني والاجتماعي، فالأطفال الذين يتمتعون بالمحبة والعطف في عائلاتهم وتُشبع حاجاتهم الفطرية بشكل مناسب تراهم دائماً في حالةٍ من السرور والابتسامة والطاقة النفسية اللافتة ويقومون بأعمالهم بكل هدوء وسكينة، وتظهر استعداداتهم التي بالقوة في ميادين الحياة المختلفة، وبشكل عامّ فإن الخصائص العاطفية السامية للأطفال الصغار لها تأثيرها الواقعي في بناء حالة الوعي وتشكل شخصيته وطباعه، فعند تأمين الحاجات العاطفية للأطفال بالشكل المطلوب فإنه يعزز عنده ثقته بنفسه وإحساسه بقيمته وينظر إلى الحياة بطريقة ايجابية وينهض في مواجهة تحديات الحياة بشكل قوي ويسعى في قضاء حاجاته بالشكل المناسب.

ويقع اللعب مع الطفل في مقدمة الغذاء العاطفي وقد أكّدت التعاليم الإسلامية على ذلك ، فقد ورد عن رسول الله ﷺ: «**من كان له ولد صبي صبا**» فإن اللعب مع الولد فضلاً عن كونه يغرقه باللذة والسرور فإنه يعطيه المزيد من العاطفة والحميمية ويقوّي لديه الإحساس بالقيمة والاعتماد على النفس.

مرحلة الإطاعة

في السنة السابعة من عمر الطفل تبدأ بالظهور جملة من التغييرات على المستوى البدني والنفسي، فعلى المستوى الذهني يصل الطفل إلى مستوى من الرشد يستطيع من خلاله أن يميز الصح من الخطأ والجميل من القبيح.

يؤكد علماء النفس - وبالدليل الحسي - أن الأطفال من سنّ السابعة حتى الرابعة عشرة يعيشون حالة من العجز الجسدي والروحي بمعنى أنهم يرون أنفسهم أكثر طاعة لمن هم أكبر منهم ويتبعون تعاليم الوالدين، وتراهم ينقادون بكل تسليم على المستوى السلوكي لهم، بل ويشعرون بحالة من اللذة عند إظهار التبعية والانقياد، وعلى أساس هذه الوقائع التي رآها رسول الله ﷺ في الأطفال التي تتراوح أعمارهم بين السابعة والرابعة عشرة اعتبر أن هذه المرحلة العمرية هي مرحلة الطاعة والاقتداء، كما يبدأ في هذه المرحلة التعليم والتربية بشكل جدّي لذلك فإن الأطفال يدركون هذه الطاعة وهم في الصفوف الأولى من المدرسة.

ولما كانت هذه المرحلة العمرية يظهر فيها الرشد الذهني وازدياد قدرة الحفظ وتفتح الاستعدادات والميل نحو الحياة الاجتماعية والشوق لاكتشاف المجهولات وبعض الحالات الأخرى، فإنّ هذه المرحلة تعتبر المرحلة الفُضْلَى لتلقي الفضائل وتعلُّم المبادئ الأخلاقية والصفات الحميدة، وفي هذه المرحلة العمرية يميل الطفل نحو التربية بشكل أفضل. وبناءً عليه يجب الاهتمام الزائد بالأولاد من أجل إعطائهم أكبر قدر من الاستقامة والثبات والسكينة، وفي حال لم تتوفر التربية الأخلاقية والعاطفية والفكرية في هذه المرحلة بشكل دقيق وبالصورة الصحيحة فسيؤدي ذلك إلى ظهور مشاكل كثيرة في مرحلة الشباب لا يمكن علاجها أو التغلب عليها.

في هذا المقطع من عمر الأطفال فإن كلّاً من المدرسة والمنزل يجب أن يضع

خطة واضحة وجيدة للتربية، ففي البيت يتلقى الطفل الروابط الفردية والعاطفية بشكل أكبر، بينما يتلقى في المدرسة الأبعاد الاجتماعية والمنطقية، وعليه فإن كلّاً من المدرسة والمنزل يساهمان في إيجاد الأرضية اللازمة لبناء الرشد عند الأطفال ويكمل كلٌّ منهما عمل الآخر.

بالنسبة للتكلم والتحدث مع الأطفال ففي هذه المرحلة يجب أن يكون الطفل مستمعاً جيداً ومن الضروري أن يكون متحملاً وصبوراً، ولا يجب توبيخ الأطفال وعقابهم لأن ذلك يكسرهم من الناحية النفسية بل يجب تحفيزهم ودعمهم من أجل توفيقهم وجعلهم أكثر سماعاً وحتى لا يُصاب اعتمادهم على أنفسهم بأي أزمة نفسية.

ومن الأخطاء التربوية المهمة التي تخدش شخصية الطفل وتسلبه الشعور بالقيمة والأمن مقارنته بالأطفال الآخرين وتعييره بنجاح بعض الأطفال الذين هم من عمره وتوقع الأمور غير الواقعية منه وعدم الالتفات إلى التفاوت الطبيعي بين الأشخاص، وكذلك فإن كان الولد يتمتع بذهنية عالية واستعدادات كبيرة وقدرات ذهنية جيدة فلا يجب إظهار ذلك أمام الطفل أو أمام الآخرين لأن ذلك من شأنه أن يضعف فعاليته وتُصاب فجأة بالركود وشيئاً فشيئاً يُصاب بالغرور وينعكس ذلك على شخصيته بشكل سلبي.

مرحلة الوزارة:

كما أشرنا سابقاً فإنّ المرحلة العمرية الممتدة من سن الرابعة عشرة إلى سنّ الواحدة والعشرين أسماها الأئمة الأطهار عليهم السلام باسم مرحلة الوزارة، والولد في هذه المرحلة يصبح مستعداً لتحمل المسؤولية والقيام بالأعباء الثقيلة للأسرة، ويجب على الوالدين هنا فتح مجال مشاركة هؤلاء الأبناء في المشاركة في شؤون المنزل لأن هؤلاء الشباب من حقّهم أن يعطوا فرصة إظهار وجهات

نظرهم والتعبير عن أفكارهم وعدم نسيان مشاورتهم وإظهار الوالدين الاحترام لعواطفهم وأحاسيسهم ومدح سلوكياتهم وحالاتهم النفسية إلى حدٍ ما، وعندما يشعر الأبناء في هذه المرحلة بالرغبات والميول والحقوق المقدسة لهم فعلى الأهل أن لا يستبدوا معهم في إدارة الأسرة ولا يلجأوا إلى الجدال واللجاجة والخصومة معهم، فإن ذلك يساهم في تأمين الاستقلال الفكري لهم وإحساسهم بالسعادة والسكينة أكثر فأكثر.

وعلى الوالدِين أن ينسجم سلوكهم مع كلامهم وهذا أصل مهم يؤكد عليه الإمام الصادق عليه السلام بقوله: «**كونوا دعاة الناس بأعمالكم ولا تكونوا دعاة بألسنتكم**»[1]، وبذلك يعلم الوالدون أبناءهم أن يسلكوا سبيل الفضيلة والخصال الحميدة ، كما أن التناقض بين القول والعمل يوقع الولد في حيرة واضطراب وخلل على المستوى التربوي.

فعلى الأبوَيْن أن يسعيا ليكونا قدوة ونموذجاً لأبنائهما على المستوى التربوي وأن يتصفا بالصفات الجميلة ويروجا للخصال الحميدة والعادات الجيدة حتى ينعكس ذلك في سلوك أبنائهما، وألا يكتفيا بالوعظ والتذكير، فالوالدان يجب أن يحرصا على مطابقة قولهما لعملهما وأي أمر يريدان أن يعلّماه لإبنهما عليهما أن يتصفا به أولاً وأن أي خلل في ذلك سيؤدي إلى نتائج معكوسة.

وعلى الوالدِين أن لا ينسوا أنه يجب عليهم تشخيص نوع الهداية التي ستكون من نصيب الولد، وأن ينقلوا إليه كلَّ ما لديهم من خير، وهذا ما نقرأه في كلمات الأئمة الأطهار عليهم السلام ويوصي به علماء التربية، أنه إذا أراد الأبوان أن يكون ابنهما ولداً طاهراً وعفيفاً صالحاً فلا سبيل لذلك إلا سلوك الأبوين نفس هذا الطريق المستقيم.

(١) سفينة البحار، ج٢، ص٢٧٨.

وبشكل عام إن الوالدَيْن إنما يريدان مجرماً فاسداً فيما لو كان سلوكهما مع بعضهما البعض ليس جيداً وسوف يقيم هذا الولد علاقة بالأولاد الفاسدين والعنيفين. ومن أولى المسائل الفاسدة والمدمرة التي يلجأ إليها الولد هو شربه للمواد المخدرة، ويعتقد العلماء والباحثون العلميون أنه في حال تعاطي الوالدين للمواد المخدرة فإنه ينتج من ذلك حالة من البرودة داخل الأسرة وضعف الروابط العاطفية وتظهر بعض العوارض الناشئة عن التعلم السيِّئ وتسود الحياة غير المرتبة وغير المنظمة ويشعر الأهل بالخجل والندم كما وينجر الأبناء نحو ارتكاب الجريمة والفساد، فالأهل هم أفضل نموذج وقدوة للأبناء ففي حال قابل الأهل السلوك الطبيعي والفطري للولد بشكل غير مناسب وقدموا له الإجابات غير الملائمة والخائفة أو تعاطوا معه بخشونة وعاملوه بشكل سيِّئ ففي الواقع سوف تتشكل وتظهر عند الأولاد الأرضية المناسبة للانحراف الروحي والعاطفي والفكري، ولا يجب أن يغيب عن ذهن الأهل أنهم مسؤولون عن مستقبل أبنائهم وأن مسيرة أبنائهم سواء كانت في المسيرة العلمية والمعنوية والاتصاف بالفضائل والصفات الحميدة أم كانت خلف قضبان السجون والاتصاف بالجريمة والخيانة فإن كلّاً منهما إنما هي حاصل ونتيجة تربية وجهد الأهل داخل الأسرة.

الباب السادس:

مهارات تبليغية

- بعض ضرورات التبليغ والخطابة
- كيفية اقامة جلسات السؤال والجواب

بعض ضرورات التبليغ والخطابة

محاضرة لحجة الإسلام والمسلمين قرائتي

١ . يجب أن تكون الدعوة إلى الله تعالى. المبلِّغين من وجهة نظر القرآن الكريم هم أفضل الناس على وجه الأرض، بشرط أن تكون دعوتهم وتبليغهم لله تعالى وبشرط أن يكون عملهم وسلوكهم صالحاً وخالصاً لله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[١].

٢ . يجب على المبلغ أن يمتلك شوقاً وعطشاً داخلياً لأجل هداية الناس. ثم إنّ هذا الأمر من جملة الخصائص التي أشار إليها الله تعالى في خصوص الرسول الأكرم: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[٢].

ويقول الله تعالى حول الرسول الأكرم ﷺ في هذا الشأن: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[٣].

٣ . يجب أن يبتعد المبلغ عن التكلف، فإذا كان لا يعلم عليه الاعتراف بذلك. فإذا سُئل وكان يعرف عليه تقديم الجواب وإذا كان لا يعرف فعليه عدم التكلف في الجواب: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾[٤].

---

(١) سورة فصلت، الآية: ٣٣.
(٢) سورة فصلت ، الآيتان: ٣٦ ـ ٣٧.
(٣) سورة الشعراء، الآية: ٣.
(٤) سورة ص، الآية: ٨٦.

٤ . يجب على المبلغ أن لا يكون مقلداً في أمر التبليغ. يجب على المبلغ أن لا يسعى ليكون كالخطيب الفلاني أو غيره، بل يجب أن يكون هو بنفسه وأن يكون شبيهاً لنفسه. ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَـٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَـٰتٍ لِّلْعَـٰلِمِينَ ﴾[١].

٥ . من جملة خصائص المبلغ الهامة أن يكون بسيطاً سلساً قابلاً للفهم عند الجميع. ﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴾[٢].

٦ . يجب أن يكون الخطاب مفيداً ومختصراً وجذاباً وأن يقدم في عشرين دقيقة.

٧ . المبلغ القدير هو الذي يُضحك الناس ويبكيهم. ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴾[٣].

٨ . يجب على المبلغ أن يتعاطى مع كافة المؤمنين بشكل واحد يجب أن لا يختلف كلامه وحديثه بين فرد وآخر، بل يجب أن يتعاطى مع الجميع على شكل واحد قربة إلى الله تعالى.

٩ . يجب أن تكون المطالب والمسائل التي تُطرح في المنبر مطابقة لحاجة المخاطب.

١٠ . الخطيب القادر هو الذي يتمكن من تنويع خطابه. ومن الخطأ أن يتحدث حول موضوع واحد لعدة ليالٍ.

١١ . يجب على الخطيب أن يقسم نظراته بين الحاضرين.

١٢ . يجب على الخطيب أن يتحدث بشكل منظم وأن يحدد بداية ونهاية كلامه، من الخطأ الخلط في الكلام.

١٣ . من المناسب الاستفادة من العبارات الغنية ومن الأمثلة الجميلة. قد يسأل: لماذا نسب الله الحسنات إلى نفسه والسيئات إلى الشخص؟ جاء في القرآن

(١) سورة الروم، الآية: ٢٢.
(٢) سورة القمر، الآية: ١٧.
(٣) سورة النجم، الآية: ٤٣.

الكريم: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾[1]. في الجواب يمكن الحديث على النحو التالي: الأرض تدور حول الشمس. ويكون الجزء المقابل للشمس مضيئاً وغير المقابل لها مظلماً. إذن ضياء الأرض من الشمس وظلامها من نفسها.

١٤. يجب أن يمتلك المبلغ ثلاثة شروط أساسية وهي شروط موجودة عند الأنبياء:

١. أن يكون من الناس: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2].

٢. أن يكون في الناس: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ﴾[3].

٣. مع الناس: ﴿فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ۖ وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ﴾[4].

١٥. يجب أن يكون القرآن محور كلام المبلغ في التبليغ ﴿نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ۖ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾[5].

١٦. يجب أن لا يُسَرّ المبلغ بالمدح والثناء من الآخرين. لأن عاقبة هؤلاء سيئة كما جاء في القرآن الكريم. ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا۟ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا۟ بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا۟ فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[6].

١٧. يجب أن يكون كلام المبلغ مطابقاً للزمان والمكان بحيث يشعر المخاطب أن الكلام له.

(١) سورة النساء، الآية: ٧٩.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٢٩.
(٣) سورة البقرة، الآية: ١٥١.
(٤) سورة الأعراف، الآية: ٧٢.
(٥) سورة ق، الآية: ٤٥.
(٦) سورة آل عمران، الآية: ١٨٨.

كيفية اقامة جلسات السؤال والجواب

محمد حسن نبوي

الإنسان موجود يحمل الأسئلة

ينبغي للمبلِّغ الواعي والحريص أن يتطلع إلى ما يحمل من رؤى قبل إقامة جلسات السؤال والجواب، فهل ينظر إلى هذه الجلسات بشكل أدائي؟ وهل يهتم بهذه الحركة لاعتقاده العميق بما يحمل الإنسان من أسئلة؟ تساهم رؤية المبلغ العميقة في هذا الشأن في إقامة هذا النوع من الجلسات بشكل متين انطلاقاً من القناعة القلبية، وعليه يكون دوره أكثر تأثيراً.

الإنسان موجود صاحب عقل وفكر ولأنه قادر على معرفة أسرار المجهولات، لذلك كان الجواب بمثابة شعور بالهوية الإنسانية ويشبع الإنسان الروح الباحثة عن الحقيقة فيه من خلال بذل الجهود لمعرفة العلوم الجديدة حيث يشعر في هذا الطريق بسرور منقطع النظير.

هناك بعض الأشخاص طوال التاريخ ممن تحملوا مشكلات كبيرة في سبيل إيجاد إجابات لاحتياجاتهم العميقة فضحوا باللذائذ المادية. إن كافة الاختراعات والاكتشافات والتطور العلمي للبشر رهن الحس الباحث، ثم إن كل تغيير حصل في الحياة البشرية بدءاً من سكن الكهوف إلى احتلال الفضاء والبحث في أعماق البحار والاطلاع على أسرار الذرات والتحليق على الأمواج وتحويل الكرة الأرضية إلى قرية عالمية و... كل ذلك نتيجة هذا الحس الباحث.

من جملة العلوم التي كانت جذابة للإنسان والتي أبدى رغبة في إدراكها، مجموعة من الموضوعات الأساسية في باب الخلق؛ كيف خلق؟ مَنْ هو الخالق؟ ما هي وظيفة المخلوق اتجاه الخالق؟ وإلى أين سيذهب المخلوق نهاية؟ وأخيراً، ماذا سيحل بالكون؟

يسعى الإنسان لمعرفة خالقه وأن يعرف الفرض من الخلق وأن يطلع على عالم ما بعد الموت، وكل هذه الأمور يتم تناولها في مجال علم الكلام والأبحاث العقائدية. ثم يُطرح سؤال على الإنسان بعد اعتقاده بالله والقيامة وهو: كيف يشكر الخالق صاحب النعم الكثيرة حيث يرتبط هذا البحث بمجال العبادة. وبعد ذلك يرغب أن يعرف الوظائف الاجتماعية والسياسية و... التي حددها الخالق له ليعمل بها. وتشكل هذه المسائل جزءاً من المعارف الدينية.

تقوم الأديان الإلهية وبالأخص الإسلام بتقديم إجابات عن هذه الأسئلة. وتركز الفلسفة الإسلامية على مبادئ هذه الأسئلة بشكل عقلاني كما يحاول العلماء الاستعانة بالمصادر الدينية والأدلة الفلسفية لتقديم إجابات تتمكن من إقناع الإنسان.

تطرح الأسئلة المتقدمة عند كل إنسان في أي مستوى كان، وهنا يجب على مبلغي الدين الاستعانة بالتعاليم الإسلامية لتقديم إجابات تتناسب مع المستوى الفكري للمخاطبين، وبالتالي مساعدة الآخرين في الوصول إلى إجابات مقنعة. ونشاهد في القرآن الكريم وروايات أهل بيت العصمة والطهارة عليهم السلام اهتماماً واضحاً بالأسئلة والاجابات أو توجيه تلك الأسئلة في مجراها الصحيح.

القرآن والسؤال

يلاحظ أنّ القرآن الكريم اهتم بالروح الباحثة وحاملة الأسئلة عند الإنسان حيث أشار إلى هذا الأمر في العديد من الآيات الشريفة التي يجدر الإشارة إليها هنا.

١ . أشار العديد من الآيات الشريفة إلى سؤال الناس وذلك من خلال عبارة «**يسئلونك**» أو «**إذا سئلك**» حيث نجد أن القرآن الكريم قدم إجابات عن تلك الأسئلة.

٢ . في بعض الأحيان يُطرح السؤال ولكن وبما أنه لا موضوعية له، فلم يقدم القرآن الكريم جواباً وقد يكون السؤال غير ذي أهمية، فيقدم القرآن الكريم جواباً اجمالية ثم يفصل في الجزء مورد الحاجة وهذا ما سنشير إليه في أجزاء المقال الأخرى.

٣ . في بعض الحالات كان القرآن هو من يوجد السؤال ليدفع المخاطب نحو الفعالية والنشاط بوساطة الحس الباحث الذي يمتلكه ويشاهد هذا الأسلوب في السيرة التبليغية للأنبياء عليهم السلام وهنا نبين كلا الأمرين:

أ ـ يقول الله تعالى في القرآن الكريم:

- ﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾[١].
- ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾[٢].
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾[٣].
- ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾[٤].

ب ـ أراد النبي يوسف عليه السلام توجيه وإرشاد أصحابه في السجن فطرح سؤالاً دفع المخاطبين إلى التفكير.

- ﴿ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾[٥].

(١) سورة العنكبوت، الآية: ٢.
(٢) سورة الحديد، الآية: ١٦.
(٣) سورة الفجر، الآية: ٦.
(٤) سورة الفيل، الآية: ١.
(٥) سورة يوسف، الآية: ٣٩.

إنّ هذه الأسئلة وغيرها الكثير من الأسئلة من هذا النوع هيَّأت الأرضية للإنسان نحو التفكير.

ـ المسألة الأخرى التي اهتم بها القرآن الكريم وهي أن السؤال من القائد الذي يملك دليلاً وبرهاناً على احقانية أعماله وقراراته هو سؤال في غير مكانه. هنا يمكن أن نتعلم من قصة الخضر وموسى عليهما السلام حيث نجد موسى اتبع الخضر الذي يمثل عنواناً للقيادة الموثوقة. يقول الخضر عليه السلام: «**فإن اتبعتني فلا تسألني عن شيء حتى أُحدث لك منه ذكراً**»[1].

التحق موسى عليه السلام بالخضر عليه السلام بأمر من الله تعالى، فإذا كان الخضر عليه السلام هو الشخص الذي يجب الوثوق به فلا ينبغي سؤاله عن كل عمل.

ونحن أدركنا بالدليل والبرهان حقانية القرآن وكونه كلام الله تعالى، عند ذلك لا يجب أن نسأل عن أسرار كل حكم ودليل، أو أن نعتبر حكماً ما باطلاً لأننا لم ندرك فلسفته.

إيجاد الفرصة للسؤال

بما أن التبليغ الديني يجري غالباً على شكل خطاب وبما أن تقديم المطالب يجري عادة على لسان المتكلم، لذلك نرى الناس لا يشاركون بشكل فعال في هذه الجلسات حيث لا تتوفر لهم الفرصة المناسبة لطرح أسئلتهم؛ لذلك من المناسب إيجاد زمان خاصّ لطرح أسئلة الناس.

أجواء طرح الأسئلة

يجب أن يخصص المبلغ وقتاً لطرح أسئلة الناس وأن يصغي إلى الأسئلة بصبر، ثم يعمد بعد ذلك إلى الارشاد والتوجيه. أما أوقات وأجواء طرح الأسئلة فهي طبق الآتي:

(١) سورة الكهف، الآية: ٧٠.

١ . بعد صلاتي الصبح والعشاء التي يمكن أن تُخصص للأسئلة الخاصة والأحكام الزمانية.

٢ . يمكن تخصيص ساعة قبل غروب الشمس للأسئلة العقائدية والارشاد والمشاورة في الأمور العائلية والاجتماعية وحل الخلافات وإصلاح المشاجرات و...

٣ . من المناسب تخصيص ليلة في الأسبوع للأسئلة العامة.

٤ . يمكن تعيين وقت خاص لأسئلة الأخوات باعتبار مشكلاتهنَّ وأحكامهنَّ الخاصة، ويمكن الاستفادة في إدارة هذه الجلسة من زوجة المبلغ أو الزوجات المبلغات.

٥ . يمكن تخصيص وقت معين في الأسبوع للاجابة عن أسئلة المثقفين والطلاب والمعلمين.

أساليب إقامة الجلسات

إن إقامة الجلسات العامة لطرح الأسئلة والاجابات هي الأهم من بين الحالات التي تقدم ذكرها. والسبب في ذلك هو مدى تأثيرها وحساسيتها الخاصة ويجب إدارة هذه الجلسات بشكل دقيق لأن عدم ذلك قد يحمل معه الكثير من الاشكالات؛ فيما يلي نشير إلى بعض الأمور التي يجب الالتفات إليها في هذه الجلسات؛ مع العلم أن بعض هذه المسائل قد تكون مفيدة وعملية في الجلسات الخصوصية.

١ . بما أن جلسات السؤال والجواب تجري بعض الأحيان في أجواء تترافق مع الاضطراب والضغط الذي يؤثر في المستمع وفي المتكلم، لذلك يجب مراقبة وضبط العوامل التي تزيد من الضغط العصبي، ومن هنا يجب الالتفات إلى أماكن اقامة هذه الجلسات على مستوى الحرارة والبرودة، أماكن جلوس المستمعين، النور الكافي، الصوت و...، لأن كافة هذه الأمور قد تؤثر في مستوى هدوء الجلسات.

٢ . أن تبدأ الجلسات بتلاوة آيات من القرآن المجيد مما يساهم في تهيئة الأجواء المعنوية وتساعد في قبول الكلام الحقّ.

٣ . الإعلان عن أنّ الأسئلة تجري بشكل مكتوب.

٤ . تحديد دائرة وإطار المواضيع المبحوث عنها، فهل هي من الأبحاث العقائدية، الأخلاقية، السياسية، الأحكام و...؟

٥ . إذا كانت الجلسة مخصصة للنساء وكان المبلغ هو الذي يديرها فلا بأس بحضور عدد من الرجال الكبار أو المتوسطين في العمر.

٦ . إعطاء فرصة للحاضرين بعد طرح الأسئلة وقبل الاجابات، لتقديم ما يمكنهم من الاجابات عن الأسئلة المطروحة، ثم يقوم المبلغ بعرض الجواب النهائي.

٧ . أن لا يطول زمان الجلسة حتى لا يصاب المستمعون بالتعب.

٨ . الالتفات إلى أصحاب الأسئلة وإحاطتهم بشيء من الاهتمام في نهاية الجلسة حتى لا يفقدوا الجرأة على طرح الأسئلة ومحاورة المبلغ.

٩ . أن يجلس المبلغ ولو لدقائق محدودة بعد نهاية الجلسة مع المشاركين بشكل حميم وحميمي حيث تحمل هذه الحركة فوائد عديدة من أبرزها:

أ ـ ليجد الأشخاص الفرصة المناسبة للحديث مع المبلغ الذي يؤدي إلى المزيد من الادراك.

ب ـ لتحديد مستوى نجاح الجلسة في الحوار الذي يجري بعد الجلسة بين الحاضرين والمبلغ وبالتالي الاطلاع على نقاط القوة والضعف فيها.

ج ـ حتى لا يشعر الحاضرون أن المبلغ ألقى ما عنده ثم انسحب بسرعة من المعركة.

د ـ هناك الكثير من الفوائد التربوية في هذه الجلسات التي لا تقل أهمية عن الجلسة.

خصائص جواب المتكلم

ينبغي للمبلّغ الذي يرغب في الوصول إلى الأهداف التبليغية في جلسات السؤال والجواب الالتفات إلى مجموعة من الخصائص التي قد تترك آثاراً سلبية في حال عدم الالتفات إليها. سنحاول فيما يلي الاطلالة على هذه الخصائص في جزءَيْن «**الخصائص الظاهرية**» و«**الخصائص النفسية**».

الخصائص الظاهرية

تكون الجلسات ناجحة إذا جرى فيها رعاية المسائل الآتية:

١ . أن يكون لباس المبلغ كاملاً؛ أي أن يرتدي الزي العلمي بشكل كامل؛ لأن أي نقص في اللباس قد يؤدي إلى الضرر على مستوى شهامة الفرد في الحديث والتركيز الذهني للمخاطب.

٢ . أن يكون لباس المبلغ نظيفاً، لذلك يجب على المبلغ الامتناع عن اللباس الممزق وغير المنظم والذي تملأه البقع.

٣ . أن يعتني بشعره ولحيته.

٤ . إذا كان المبلغ يحمل كتاباً أو كراساً أو ما شابه ذلك فيجب أن يكون منظماً.

٥ . بما أن بعض الناس حساسون فيما له علاقة بسلوك العلماء وأقاربهم، لذلك ينبغي للمبلِّغ أن لا يصطحب معه ابنه الكثير الحركة، لأن أي حركة غير محسوبة منه قد تشوش أذهان الحاضرين.

٦ . يجب على المبلغ الابتعاد عن حمل الأمور التي تدل على الرفاه والحياة المرفهة.

٧ . يجب على المبلغ الاقتداء برسول الله ﷺ في مكان جلوسه حيث كان يجلس حيث ينتهي به المجلس بحيث لا يعرفه من هو غريب عنه.

الخصائص الروحية والنفسية

هناك الكثير من الأمور التي يجب الاهتمام بها من الناحية الروحية والنفسية نشير إلى البعض منها:

١ . سعة الصدر: الشخص الذي لا يمتلك القدرة على سماع الرأي المخالف لا يمكنه إقامة جلسات السؤال والجواب بشكل ناجح. يجب أن يستمع المبلغ وبهدوء إلى الأسئلة ثم يعمد إلى الإجابة عنها بوقار ومتانة.

٢ . بشاشة الوجه: من المناسب أن تظهر على المبلغ طوال البحث حالة من البشاشة الهادئة ولذلك يجب ان لا يظهر بوجه المضطرب العبوس.

٣ . يجب أن يكون المبلغ مستعداً لقبول الحق، فإذا سمع كلاماً حقاً يجب أن يقبله بكل تواضع فقد جاء في الرواية: «**تواضع للحق تكن أعقل الناس**»[١].

٤ . أن يمتلك الجرأة الروحية ليعلن عدم معرفته بما لا يعرف وأن يبين للمستمعين أنه سيطالع وسيخبرهم في الجلسات اللاحقة.

٥ . ينبغي للمبلِّغ أن يتوجه للحظة إلى الله تعالى عندما يواجه بحثه معضلة ما وأن يعلن في داخله العجز، ومن ثم يتوجه إلى الله تعالى طالباً العون والمساعدة؛ لأنّ هذا التوجه قد يؤدي في الكثير من الحالات إلى نزول البركات.

٦ . إذا جرت الجلسة بشكل جيد ولم يدخلها شيطان الغرور فمن المناسب أن يتوجه المبلغ إلى الله تعالى قائلاً: إلهي لا تكلني إلى نفسي طرفة عين.

الهداية المضمونية

بما أنّ جلسات السؤال والجواب تختلف من حيث الكم والكيف والعموم والخصوص... لذلك فإنّ لهذه الجلسات خصوصيات يجب مراعاتها من حيث ما ينبغي وما لا ينبغي، ولكن بما أن العديد من المسائل قد تكون مناسبة لجميع

(١) الكافي، ج١، ص١٥؛ بحار الأنوار، ج١، ص١٢٥.

الجلسات وفي كل الأحوال إلا أنها تختلف من حيث الشدة والضعف. فيما يلي نبحث حول الأمور المشتركة:

١ . يجب على المبلغ أن يحدد دائرة البحث والأسئلة لأن عدم ذلك يدخله في وادٍ لا حدود له.

٢ . يجب على المبلغ المطالعة قدر المستطاع حول الموضوع وأن يدخل الجلسة بحضور ذهن.

٣ . أن يمتنع في الجلسة عن أسلوب «**الكلام يجر الكلام**» لأن كثرة الحواشي تؤدي إلى ملل المستمع.

٤ . يجب الامتناع عن الاجابة عن بعض الأسئلة. جاء في القرآن الكريم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ﴾[١] . المبلغ ليس عالماً بعلوم الأولين والآخرين وعلم الغيب ليتمكن من الاجابة عن كافة الأسئلة.

٥ . بعض الأسئلة تقنية بالكامل ويجب اللجوء إلى المتخصصين. جاء في القرآن الكريم: ﴿فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٢].

إن سؤال أهل الخبرة هو أصل عقلائي، وإذا لم يكن المبلغ متخصصاً في بعض ما يُطرح من أسئلة يجب عليه أن لا يقدم جواباً بل عليه الاحالة على أهل الاختصاص.

٦ . قد يُطرح سؤال ليس من الضروري الاجابة عنه. يمكن للمبلغ في هذه الحالة أن يقدم جواباً اجمالياً ثم يأخذ البحث إلى المكان الضروري. جاء في القرآن الكريم: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ ۖ قُلْ مَآ أَنفَقْتُم مِّنْ خَيْرٍ فَلِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ ۗ وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾[٣].

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٨٧.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤٣.
(٣) سورة البقرة، الآية: ٢١٥.

هنا سأل الشخص عن الأمر الذي ينفقه، فأجاب القرآن بأنه كل ما هو خير؛ إنّ السائل لم يسأل عن الأشخاص الذين ينفق عليهم، إلا أن القرآن أخذ البحث إلى هذا الجانب.

٧ . بعض الأشخاص لا يسألون لأجل المعرفة بل لما يعتريهم من وسواس، حيث إنّ هذه الأسئلة قد تحمل أشياء غير مقبولة لهم. جاء في القرآن الكريم: ﴿لَا تَسْـَٔلُوا۟ عَنْ أَشْيَآءَ إِن تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾[1].

من جملة مصاديق الأسئلة التي لا يجب طرحها، قضية بقرة بني إسرائيل حيث طلب منهم النبي موسى عليه السلام ذبح بقرة، فطرحوا أسئلة كثيرة، وكلما زادوا من أسئلتهم ازدادت مشكلتهم، وقد جاء في بعض الروايات أنهم لو باردوا في اللحظة الأولى لذبح بقرة أي بقرة لوجدوا الحل لمشكلتهم.

٨ . يجب على المبلغ أثناء الاجابة عن الأسئلة أن لا ينحاز إلى حزب أو مجموعة، بل يجب عليه هداية وارشاد الناس على أساس القرآن والروايات فيترك لهم تحديد المصداق.

٩ . يجب على المبلغ في هذه الجلسات أن لا يبحث عن مسوِّغات لأخطاء المسؤولين.

١٠ . قد تطرح بعض الأسئلة المكتوبة التي تحمل معها شبهات غير موجودة في أذهان الناس، لذلك يجب الامتناع عن طرح هكذا أسئلة في الجلسات العامة ومن ثم الطلب من صاحب السؤال الحضور بشكل شخصي للاجابة عن سؤاله.

١١ . قد تُطرح أسئلة تتعلق بطبقة أو مجموعة خاصة من الناس حيث لا يجب طرح هذه الأسئلة على العموم. فلو سأل الشاب عن علائم البلوغ في الجلسة العامة فيمكن الطلب إليه الاستماع إلى الجواب في جلسة خاصة.

١٢ . قد تحتاج بعض الشبهات إلى أكثر من خطاب، فيمكن للمبلغ أن يخبر الناس بأنه سيفرد عدداً من الخطابات للاجابة عن تلك الشبهات.

(١) سورة المائدة، الآية: ١٠١.

١٣ . يمكن تقديم جواب مباشر للأشخاص الذين يمتلكون معرفة بالمطلب، وأما من لا يمتلك هذه المعرفة فيجب تقديم الجواب له بنوع من الهدوء واللطف.

يسأل شخص الإمام عليّاً عليه السلام عن القدر، فيجيبه: «**بحر عميق فلا تلجه**»[١].

ويسأل شخص آخر الإمام عليه السلام فيجيبه: «**لا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين**»[٢] حيث إنّ هذا الشخص يمتلك قدرات علمية مقبولة.

(١) بحار الأنوار، ج٥، ص٥٦ و٩٧ و١١٠.
(٢) م.ن، ج٥، ص١١.

الباب السابع:

سيرة تبليغيّة

الهداية والتبليغ في كلام وسلوك الإمام الصادق عليه السلام

الهداية والتبليغ في كلام وسلوك الإمام الصادق عليه السلام

محمد عابدي

مقدمة

تشير التعاليم الإلهية إلى أنّ رسالة أنبياء الله وخلافائهم الوحيدة هي هداية الناس نحو الخالق. يخاطب الله تعالى نبيه: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾[1]. ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله: «**رحم الله خلفائي، فقيل يا رسول الله من خلفاؤك؟ قال: «الذين يحيون سنتي ويعلّمونها عباد الله**»[2].

أمّا الإمام الصادق عليه السلام صاحب مقام الإمامة وشأن الهداية فهو يعتبر أنّ هذا الشأن هو لعلماء الدين. يقول الإمام عليه السلام: «**الراوية لحديثنا يَشُدُّ به قلوب شيعتنا أفضل من ألف عابدٍ**»[3]. من هنا من المناسب الإطلالة على أسلوب الهداية عند الإمام الصادق عليه السلام، هذا الأسلوب الذي يتناسب مع أساليب القرآن الكريم في الهداية وهذا ما قام الإمام عليه السلام بتبليغه للمسلمين.

لا يخفى أنّ أساليب الإمام في الهداية والتبليغ والتي تأتي في إطار وظائف وشأن الإمامة، قد تركت آثاراً عميقة على مجتمع ذاك الزمان. وإذا كانت الإمكانيات العسكرية غير متوفرة لأحداث انقلاب، إلا أنّ النشاطات التبليغية،

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ١٠٥.
(٢) الحياة، ج٢، ص٢٨١.
(٣) أصول الكافي، ج١، ص٣٣.

وبرامج الهداية عند الإمام عليه السلام قد زلزلت أركان الحكم وجعلتهم يعيشون حالة الخوف على حكومتهم.

واجه الخليفة آنذاك (المنصور) حركة الإمام حتى إنه يقول: «**وكان أمده وإن كان ممن لا يخرج بسيف أغلظ عندي وأهم عَلَيَّ من أمر عبد الله ابن الحسن فقد كنت أعلم هذا منه ومن آبائه على عهد بني أمية**»[1].

أساليب الإمام الصادق عليه السلام في الهداية

١ . الاستفادة من التنظيم والانسجام والتربية والتخصّص.

شجّع الإمام عليه السلام المؤمنين على التبليغ بشكل جماعي. يقول الإمام عليه السلام: «**رحم الله عبداً اجتمع مع آخر فتذكّرا أمرنا**»[2].

حاول الإمام تعميق الانسجام من خلال التنظيم الفكري لمدرسته، تربية الطلبة ودفعهم نحو التخصص في فروع خاصة، التعريف بالخط الشيعي، إيجاد التنظيم ذي الهوية الشيعية و... وهناك العديد من النماذج على ذلك حيث نقرأ ما جاء على لسان هشام بن الحكم:

كنا عند أبي عبد الله عليه السلام جماعة من أصحابه، فورد رجل من أهل الشام فاستأذن فأذن له، فلما دخل سلم فأمره أبو عبد الله عليه السلام بالجلوس. ثم قال له: ما حاجتك أيها الرجل؟ قال بلغني أنك عالم بكل ما تسأل عنه فصرت إليك لأناظرك. فقال أبو عبد الله عليه السلام فيمَ ذا؟ قال: في القرآن وقطعه وإسكانه وخفضه ونصبه ورفعه. فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران دونك الرجل.

فقال الرجل: إنما أريدك أنت لا حمران فقال أبو عبد الله عليه السلام: إن غلبت حمران فقد غلبتني فأقبل الشامي يسأل حمران حتى ضجر وملّ وعرض وحمران

(١) بحار الأنوار، ج٤٧، ص١٩٩.
(٢) م.ن، ج١، ص٢٠٠.

يجيبه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: كيف رأيت يا شامي؟! قال: رأيته حاذقاً ما سألته عن شيء إلا أجابني فيه، فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا حمران سل الشامي، فما تركه يكشر فقال الشامي: أرأيت يا أبا عبد الله أناظرك في العربية فالتفت أبو عبد الله عليه السلام فقال: يا أبان بن تغلب ناظره فناظره فما ترك الشامي يكشر، قال: أريد أن أناظرك في الفقه فقال أبو عبد الله عليه السلام: يا زرارة ناظره فما ترك الشامي يكشر قال: أريد أن أناظرك في الكلام، فقال: يا مؤمن الطاق ناظره فناظره فسجل الكلام بينهما، ثم تكلم مؤمن الطاق بكلامه فغلبه به.

فقال: أريد أن أناظرك في الاستطاعة فقال للطيار: كلمه فيها قال: فكلمه فما ترك يكشر، فقال أريد أن أناظرك في التوحيد فقال لهشام بن سالم: كلمه فسجل الكلام بينهما ثم خصمه هشام، فقال أريد أن أتكلم في الإمامة فقال: لهشام بن الحكم كلمه يا أبا الحكم فكلمه ما تركه يرتم ولا يحلي ولا يمر، قال: فبقي يضحك أبو عبد الله عليه السلام حتى بدت نواجذه[1].

تشير هذه الحادثة إلى حالة الانسجام والعمل الجماعي الذي كان يهتم به الإمام الصادق عليه السلام:

٢ . ذكر الآثار والنتائج

من جملة الأساليب الأخرى التي استفاد منها الإمام الصادق عليه السلام في مسيرة الهداية، ذكر الآثار والنتائج الإيجابية والسلبية للأعمال والنعم و... ويُشاهد هذا الأسلوب بوضوح في سيرة وكلام الإمام الصادق عليه السلام من جملة ذلك ما جاء في وصيته لابن جندب يقول: «**يا ابن جندب لو أن شيعتنا استقاموا لصافحتهم الملائكة ولأظلهم الغمام ولأشرقوا نهاراً ولأكلوا من فوقهم ومن تحت أرجلهم وما سألوا الله شيئاً إلا أعطاهم**»[2].

(١) تهذيب الكمال، ج٥، ص٧٩؛ سير اعلام النبلاء، ج٦، ص٢٥٨؛ بحار الأنوار، ج٤٧، ص٢١٧.
(٢) تحف العقول، ص٣٠٢، وصية أبي عبد الله عليه السلام إلى جندب.

ويوضح الإمام عليه السلام آثار «**الإحسان إلى المؤمن**» و«**أداء الصلاة**» والآثار السلبية لترك ذلك «**يا ابن جندب إن للشيطان مصائد يصطاد بها فتحاموا شباكه ومصائده، قلت يا بن رسول الله وما هي؟ قال أما مصائده فصدٌّ عن برّ الإخوان وأما شباكه فنوم عن قضاء الصلوات التي فرضها الله. أما أنه ما يعبد الله بمثل نقل الاقدام إلى برّ الإخوان وزيارتهم. ويل للساهين عن الصلوات، النائمين في الخلوات، المستهزئين بالله وآياته في الفترات** ﴿أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾[1] [2].

ويذكر الإمام عليه السلام بأثر ترك الدنيا ويقول: «**إن أحببت أن تجاور الجليل في داره وتسكن الفردوس في جواره فلتهن مليك الدنيا واجعل الموت نصب عينك ولا تدخر شيئاً لغدٍ واعلم أنّ لك ما قدّمت وعليك ما أخّرت**»[3].

٣ . تحريك العواطف الإنسانية

تروى بعض القصص الجميلة عن الإمام الصادق عليه السلام والتي استفاد فيها من أسلوب تحريك العواطف: «**عن الشقراني مولى رسول الله** صلى الله عليه وآله وسلم: **خرج العطاء أيام أبي جعفر وما لي شفيع، فبقيت على الباب متحيراً، وإذا أنا بجعفر الصادق** عليه السلام **فقمت إليه فقلت له: جعلني الله فداك أنا مولاك الشقراني فرحب بي وذكرت له حاجتي فنزل ودخل وخرج وأعطاني من كمه فصبه في كمي ثم قال: يا شقراني إن الحسن من كل أحد حسن وإنه منك أحسن لمكانك منا، وإن القبيح من كل أحد قبيح وإنه منك أقبح. وعظه على جهة التعريض لأنه كان يشرب**»[4].

(١) سورة آل عمران، الآية: ٧٧.
(٢) تحف العقول، م.ن.
(٣) تحف العقول، ص٣٠٤.
(٤) بحار الأنوار، ج٤٧، ص٣٤٩.

حاول الإمام عليه السلام في مكان آخر إظهار عمق الكراهية للتعاون مع بني العباس، وقد منع أحد الأشخاص الشيعة من التعاون معهم؛ لذلك قال: «**ما أُحب أني عقدت لهم عقدة أو وكيت لهم وكاءً وإن لي ما بين لا تبيها، لا ولا مدة بقلم إن أعوان الظلمة يوم القيامة في سرادق من نار حتى يحكم الله بين العباد**»[1].

٤ . إيقاظ الوجدان

تشير التعاليم الإلهية إلى أنّ الإنسان قد ينسى الحقائق في الظاهر إلا أنه لا ينساها في باطنه على الإطلاق لذلك يمكن إيصاله إلى النجاة من خلال مخاطبة فطرته وباطنه.

يقول الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[2]. ويقول أيضاً: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[3]. إن هذا الأسلوب يُشاهد بشكل كامل في سيرة الإمام الصادق عليه السلام، حيث يريد الإمام من المخاطب أن يجعل نفسه في موقع الفرض المطلوب ليرى ماذا تحدثه فطرته وماذا تريد منه.

جاء رجل إلى الإمام الصادق عليه السلام وطلب منه أن يعرفه الله بعد أن غلبه المجادلون. قال الإمام عليه السلام: «**يا عبد الله هل ركبت سفينة قط؟ قال نعم. قال: فهل كسر بك حيث لا سفينة تنجيك ولا سباحة تغنيك؟ قال: نعم، قال: هل تعلق قلبك هنالك أن شيئاً من الأشياء قادر على أن يخلصك من ورطتك؟ قال: نعم. قال: فذلك الشيء هو الله القادر على الإنجاء حيث لا منجي وعلى الإغاثة حيث لا مغيث**»[4].

(١) وسائل الشيعة، ج١٢، ص١٢٩.
(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٦١.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٦٣.
(٤) بحار الأنوار، ج٣، ص٤١.

٥ . تقديم النموذج والقدوة

تحدث القرآن الكريم مرَّتين حول إبراهيم عليه السلام بعنوان كونه قدوة، وأشار إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في كونه قدوة أيضاً: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[١]. وتحدث عن امرأة فرعون أيضاً باعتبارها قدوة: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ﴾[٢]. وإلى ما هناك وذلك ليتمكن مخاطبو الكلام الإلهي من التعرف إلى النموذج والقدوة المطلوبة وليفهموا كيف يجب أن يكون ما يريده الله تعالى في عالم الواقع والخارج. يتحدث الإمام الصادق عليه السلام عن مجموعة من العناوين باعتبارها قدوة من جملة ذلك القرآن الكريم، رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، الإمام علي عليه السلام، والشيعة الحقيقيون. يقول الإمام عليه السلام على سبيل المثال: «**عليكم بالقرآن، فما وجدتم آية نجا بها من كان قبلكم فاعملوا به وما وجدتموه هلك من كان قبلكم فاجتنبوه**»[٣]، «**الحافظ للقرآن العامل به مع السفرة الكرام البررة**»[٤].

يتحدث الإمام عليه السلام في كلام آخر حول سرّ بقاء وخلود وميثاقية القرآن الكريم إلى يوم القيامة ويقول: «**لأن الله تبارك وتعالى لم يجعله لزمان دون زمان ولا لناس دون ناسٍ فهو في كل زمان جديد وعند كل قوم غضّ إلى يوم القيامة**»[٥].

وأشار الإمام الصادق عليه السلام إلى القدوة التي يمثلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: عن أبي هارون مولي آل جعدة قال: «**كنت جليساً لأبي عبد الله عليه السلام بالمدينة ففقدني أياماً، ثم إني جئت إليه فقال: فقال لي: لم أرك منذ أيام يا أبا هارون،**

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٢١.
(٢) سورة التحريم، الآية: ١١؛ وحول النماذج السيئة راجع: سورة التحريم، الآية: ١٠؛ سورة القلم، الآية: ٤٨.
(٣) الحياة، ج٢ن ص١١٦.
(٤) م.ن، ص١٥٢.
(٥) بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٥.

فقلت: ولد لي غلام، فقال: بارك الله لك فيه فما سميته؟ قلت: سميته محمداً، فأقبل بخده نحو الأرض وهو يقول: محمد محمد محمد، حتى كاد يلصق خده بالأرض، ثم قال: بنفسي وبولدي وبأمي وبأبوي وبأهل الأرض كلهم جميعاً الفداء لرسول الله ﷺ، لا تسبه ولا تضربه ولا تُسِئْ إليه، واعلم أنه ليس في الأرض دار فيها اسم محمد إلا وهي تقدس كل يوم»[1].

٦ . التشبيه والتمثيل وجعل المعقول محسوساً

من جملة الأساليب المفيدة في الهداية، الاستفادة من التشبيه والتمثيل؛ لأنّ الناس يدركون الأمور المحسوسة بسهولة بوساطة حواسّهم الظاهرة، وذلك خلافاً للمسائل العقلية التي تحتاج إلى جهد فكري وإدراك عقلي. من هنا نرى أنّ الله تعالى قد استفاد من المَثَل في آيات متعددة حيث يقول: ﴿وَيَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾[2]، ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾[3].

بناءً على الأمثلة القرآنية يمكن تشبيه «**وجود الله**» بـ ﴿نُّورٌ﴾[4]، و«**بطلان العطاء المترافق بالمنّة**» بـ «**البذر المزروع على الصخر**»[5] وكذلك «**العطاء والانفاق**» بـ «**سبعمائة حبة قمح تخرج من حبة واحدة**»[6]. وقد استعان الإمام الصادق عليه السلام مراراً بهذا الأسلوب، نشير إلى نماذج من ذلك:

أ ـ التشبيه لإثبات الصانع للبشر

جرى حوار بين الإمام عليه السلام وابن أبي العوجاء: فقال له: «**أمصنوع أنت أو غير مصنوع؟ فقال عبد الكريم بن أبي العوجاء: بل أنا غير مصنوع فقال له الإمام** عليه السلام:

(١) بحار الأنوار، ج١٧، ص٣٠.
(٢) سورة إبراهيم، الآية: ٢٥.
(٣) سورة الروم، الآية: ٥٨.
(٤) سورة النور، الآية: ٣٥.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٢٦٤.
(٦) م.ن/٢٦١.

فصف لي لو كنت مصنوعاً كيف كنت تكون؟ فبقي عبد الكريم ملياً لا يحير جواباً وولع بخشبة كانت بين يديه وهو يقول طويل عريض عميق قصير متحرك ساكن كل ذلك صفة خلقه، فقال له العالم: فإن كنت لم تعلم صفة الصنعة غيرها فاجعل نفسك مصنوعاً لما تجد في نفسك مما يحدث من هذه الأمور، فقال له عبد الكريم: سألتني عن مسألة لم يسألني عنها أحد قبلك ولا يسألني أحد بعدك عن مثلها، فقال أبو عبد الله عليه السلام: هبك علمت أنك لم تسأل فيما مضى فما علمك أنك لا تسأل فيما بعد، على أنك يا عبد الكريم نقضت قولك لأنك تزعم أن الأشياء من الأول سواء فكيف قدمت وأخرت، ثم قال: يا عبد الكريم أزيدك وضوحاً أرأيت لو كان معك كيس فيه جواهر فقال لك قائل: هل في الكيس دينار فنفيت كون الدينار في الكيس، فقال لك صف لي الدينار وكنت غير عالم بصفته هل كان لك أن تنفي كون الدينار عن الكيس وأنت لا تعلم؟ قال: لا، فقال: أبو عبد الله عليه السلام فالعالم أكبر وأطول وأعرض من الكيس فلعل في العالم صنعة من حيث لا تعلم صفة الصنعة من غير الصنعة، فانقطع عبد الكريم وأجاب إلى الإسلام بعض أصحابه وبقي معه بعض»[1].

ب ـ التمثيل لجواز اسمين لله تعالى

عن هشام بن الحكم قال: «**قال أبو شاكر الديصاني، إنّ في القرآن آية هي قوة لنا. قلت: وما هي؟ فقال: «وهو الذي في السماء إله وفي الأرض إله»** فلم أدر بما أجيبه، فحججت فخبرت أبا عبد الله عليه السلام فقال: هذا كلام زنديق خبيث، إذا رجعت إليه فقل له، ما اسمك بالكوفة؟ فإنه يقول: فلان، فقل: ما اسمك بالبصرة؟ فإنه يقول: فلان، فقل كذلك الله ربنا في السماء إله وفي الأرض إله، وفي البحار إله، وفي كل مكان إله. قال: فقدمت فأتيت أبا شاكر فأخبرته فقال: هذه نقلت من الحجاز»[2].

(١) أصول الكافي، ج١، كتاب التوحيد، الباب ١، ص٧٦، ذيل الحديث ٢.
(٢) الميزان، ج١٨، ص١٢٨؛ سفينة البحار، ج١، ص٤٧٤.

ج ـ التمثيل لتجديد عذاب الإنسان

عن حفص بن غياث قال: «**كنت عند سيد الجعافرة جعفر بن محمد** عليه السلام **لما أقدمه المنصور فأتاه ابن أبي العوجاء وكان ملحداً فقال له، ما تقول في هذه الآية: «كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها»** هب هذه الجلود عصت فعذبت فما ذنب الغير؟ قال أبو عبد الله عليه السلام: ويحك هي هي وهي غيرها، قال: أعقلني هذا القول، فقال له: أرأيت لو أن رجلاً عمد إلى لبنة فكسرها ثم صب عليها الماء وجبلها ثم ردها إلى هيئتها الأولى ألم تكن هي هي وهي غيرها؟ فقال: بلى أمتع الله بك»[1].

٧ . البرهان، الجدل، المناظرة

القرآن الكريم مليء بالبرهان والاستدلال، يقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾[2]، ﴿ٱدْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ﴾[3]، ﴿وَجَـٰدِلْهُم بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾[4].

وإذا كان الإمام الصادق عليه السلام قد استخدم المناظرة و... فإنه يشير إلى الجدال بالحسنى ويبين أن المجادلة بالأحسن هي كالمسألة التي وردت في نهاية سورة يس حول منكري المعاد، عندما جاءوا بالعظام البالية النخرة ليضعوها أمام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعندما سألوا عن القادر على إحيائها، قال: ﴿يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾[5].

(١) بحار الأنوار، ج٧، ص٣٩، ح٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١١١.
(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٥؛ راجع أيضاً: سورة البقرة، الآية: ٢٥٨؛ سورة النساء، الآية: ٣٤؛ سورة المائدة، الآية: ٩١؛ سورة التوبة، الآية: ١٠٣؛ سورة طه، الآية: ١٤.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٥.
(٥) التفسير الأمثل، ج١٦، ص٣٠٠.

كان للإمام الصادق عليه السلام الكثير من المناظرات العلمية وكان يبتعد عن المناظرات غير الأصولية لذلك عندما جاء إليه الطيار وهو أحد أصحابه يسأله عن المناظرة مع المخالفين والمعاندين فأوضح له أنّ المناظرة لا بأس فيها إذا كان فيها شخص مثلك. فالإمام عليه السلام كان تسرُّه المناظرة مع شخص يتمكن من الهبوط بسلام عند طيرانه ويمكنه الطيران بشكل صحيح عند هبوطه[1].

(١) م.ن، ج١٢، ص١٦ ـ ٢٠.

الباب الثامن:

مع إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف

- علامات ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف
- عصر الظهور

علامات ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف

حسين الهي نجاد

مقدمة

إن مسألة ظهور منجي البشر في آخر الزمان هي عقيدة قطعية وعامة. وقد بَشّرت الأديان والشرائع التوحيدية وغير التوحيدية، وكذلك بعض المذاهب البشرية، بهذا اليوم. في هذا الإطار وضح الإسلام موضوع الظهور معتمداً على مبادئ نظرية وعملية قوية وأشار إلى مصطلح الانتظار وانتظار المصلح في المجتمعات الإسلامية. إن مصطلح المهدوية والمهدي عجل الله فرجه الشريف هو تبلور ثقافة الانتظار التي اتفق عليها جميع المسلمين أعمّ من الشيعة والسنة. منذ ظهور الإسلام تولى الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وأهل البيت عليهم السلام والصحابة، مسؤولية تبيين الثقافة المهدوية، وقد استمرت هذه الرسالة بالحضور في كل عصر وقد تولاها في عصر الغيبة الكبرى، العلماء والمبلغون الذين يبشرون الناس بوصول يوم الظهور.

ضرورة تبيين علامات الظهور

عندما تصبح كل مسألة ذات أهمية ومقبولية عامة، تزداد الأخطار والتهديدات بالأخص تلك التي تأتي من ناحية المستفيدين والذين يتحينون الفرص؛ ومن جملة هذه المسائل ذات الشخوص العالمي والعام، مسألة ظهور المنجي الذي طُرح باعتباره عقيدة عامة في كافة الأديان. مما لا شكّ فيه أنّ الأفراد الذين يبحثون عن المصلحة الفردية يحاولون خداع الناس بظاهرهم المخادع بغية

الوصول إلى نواياهم السيئة. لذلك كان توضيح علامات الظهور ضرورياً. وهنا يجب على القادة والعظماء التعريف بالمنجي والمصلح الذي سيأتي آخر الزمان بكامل شواخصه وخصاله للحؤول دون الانحرافات ولحفظ اعتقادات الناس الأصيلة، وبذلك يتمكنون من إضاءة الطريق أمام الناس فيخرجون من الحيرة.

من هنا، تحدثت الروايات والأحاديث حول المنجي في آخر الزمان (الإمام المهدي عجل الله فرجه) وكيفية ظهوره.

بشكل عام يمكن تقسيم علامات ظهور الإمام عجل الله فرجه إلى أنواع مختلفة، سنحاول الإطلالة على كل واحد منها:

أ ـ العلامات العامة والخاصة.

١ . العلامات العامة: هي تلك المجموعة من العلامات التي تعتبر شواخص كلية وعامة ولم تأتِ في قالب ظاهرة خاصة في برهة خاصة وفي أفراد محددين؛ مثال ذلك الأحاديث والروايات التي أشارت إلى أحوال الناس آخر الزمان وما يجري عند ذلك من انحرافات فهي بشكل ما توضح علامات ظهور الإمام عجل الله فرجه في قالب ومعيار كلي وعامّ.

«عن ابن عباس عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: في حديثٍ أن الله أوصى إليه ليلة أسرى به أن يُوصي إلى عليٍّ وأخبره بالأئمة من ولده إلى أن قال وآخِرُ رجل منهم يصلي عيسى ابن مريم خلفه يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وظلماً... فقلت إلهي وسيدي متى يكون ذاك؟ فأوحى الله عزَّ وجلَّ إليَّ: يكون ذلك إذا رُفع العلم وظهر الجهل وكثر القراءة وقل العمل وكثر القتل وقَلَّ الفقهاء والهادون وكثر فقهاء الضلالة والخونة... وكثر الجور والفساد وظهر المنكر وأَمَرَ أمتك به ونهى عن المعروف...»[1].

(١) اثبات الهداة، ج٧، ص٣٩٠.

يقول الإمام علي عليه السلام في الجواب عن سؤال صعصعة بن صوحان وهو من أصحابه حول الدجال وخروجه وعلامات ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه: «**فإن علامة ذلك إذا أمات الناس الصلاة وأضاعوا الأمانة واستحلوا الكذب وأكلوا الربا وأخذوا الرُشا وشيدوا البنيان وباعوا الدين بالدنيا واستعملوا السفهاء وشاوروا النساء وقطعوا الأرحام واتبعوا الأهواء واستخفوا بالدماء...**»[1].

٢ . العلامات الخاصة: هناك بعض العلامات التي تتبلور بصورة خاصة وبشواخص محددة في أفراد مُعيَّنين؛ مثال ذلك ما ذكرته العديد من الروايات أن الظهور يكون في السنوات المفردة وفي اليوم المفرد. ومن جملة العلامات الخاصة تلك التي تحدثت حول خروج الدجال والسفياني وهما مظهرا خلال وقيام أفراد أمثال اليماني والسيد الخراساني اللذين هما مظهرا هداية، وقد ذكرت الروايات ذلك بالاسم والصفات المحددة. يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**تنزل الرايات السود التي تخرج من خراسان إلى الكوفة، فإذا ظهر المهدي بعث إليه بالبيعة**»[2].

وعليه فقد تحدثت الروايات المتقدمة حول علامات الظهور الخاصة.

ب ـ العلامات الحتمية وغير الحتمية

١ . العلامات الحتمية

هي العلامات التي تحصل على نحو القطع قبل ظهور الإمام عجل الله فرجه وهي التي لم يلحظ في إيجادها أي قيد أو شرط وقد يمكن القول إنّ ادعاء الظهور قبل تحققها كذب.

(١) بحار الأنوار، ج٥٢، ص١٩٣.
(٢) المصدر السابق، ص٢١٧.

يقول الإمام السجاد عليه السلام: «**إنّ أمر القائم حتم من الله وأمر السفياني حتم من الله ولا يكون قائم إلا بسفياني**»[1].

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**واليماني من المحتوم**».

ينقل الفضل بن شاذان عن أبي حمزة الثمالي: «**قلت لأبي جعفر خروج السفياني من المحتوم؟ قال نعم والنداء من المحتوم وطلوع الشمس من مغربها من المحتوم واختلاف بني العباس في الدولة من المحتوم وقتل النفس الزكية محتوم وخروج القائم من آل محمد محتوم...**»[2].

٢ . العلامات غير الحتمية

هناك بعض العلامات التي تحصل قبل الظهور بشكل مشروط، أي أن وجود هذه العلامات يكون حتمياً إذا وجد المقتضي وفقد المانع. إلى جانب الحتميات هناك العديد من العلائم غير الحتمية.

ج ـ العلامات القريبة من الظهور والبعيدة عنه

١ . العلامات القريبة إلى زمان الظهور

تحدثت بعض الروايات حول العلامات التي تحصل في عام ظهور الإمام عجل الله فرجه؛ يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**خروج الثلاثة، الخراساني والسفياني واليماني في سنة واحدة في شهر واحد، في يوم واحد وليس فيها رأيه بإحدى من راية اليماني يهدي إلى الحق**»[3].

عن الإمام الباقر عليه السلام: «**ليس بين قيام القائم وقتل النفس الزكية أكثر من خمس عشرة ليلة**»[4].

(١) م.ن، ص٨٢.
(٢) الارشاد للمفيد، ج٣، ص٣٤٧.
(٣) كتاب الغيبة للنعماني، ص٢٥٢.
(٤) الارشاد للمفيد، ج٢، ص٣٧٤؛ اعلام الورى، ص٤٢٧.

٢ . العلامات البعيدة عن زمان الظهور

تتحقق بعض العلامات في المرحلة الفاصلة بين الغيبة والظهور وهي ليست قريبة إلى الظهور، وهناك بعض هذه العلامات مما يعود إلى مرحلة ما قبل ولادة الإمام عجل الله فرجه الشريف والبعض الآخر إلى مرحلة ما بعد الولادة ومن جملة هذه العلامات زوال بني أمية وبني العباس، خروج أبي مسلم الخراساني، اختلاف المسلمين و...

د ـ العلامات السماوية والأرضية

١ . العلامات الطبيعية والأرضية

هناك بعض العلامات التي يغلب عليها الطابع الأرضي والطبيعي حيث تقوم بدَوْرٍ في حقانية ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف.

يقول الإمام علي عليه السلام: «**ويخرج رجل من أهل بيتي في الحرم فيبلغ السفياني، فيبعث إليه جنداً من جنده فيهزمهم فيسير إليه السفياني بمن معه، حتى إذا جاوزوا ببيداء من الأرض، خسف بهم، فلا ينجو منهم إلا المخبر عنهم**».

ومن جملة العلامات الأرضية الخسف بالسفياني في البيداء، خروج اليماني والخراساني والسفياني والدجال، قتل النفس الزكية، الحروب الدامية...

٢ . العلامات السماوية

بالإضافة إلى العلامات الأرضية، هناك بعض العلامات السماوية التي تشير إلى زمان الظهور وذلك لأهمية ظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف والهدف منها أن يتعرف الناس على المصلح السماوي بالشكل الأفضل وليشاركوا في تحقق رسالته وأهدافه، ومن جملة ذلك:

ـ الصيحة في السماء

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**إذا نادى منادٍ من السماء أن الحق في آل محمد صلى الله عليه وآله وسلم فعند ذلك يظهر المهدي على أفواه الناس ويشربون حبه، ولا يكون لهم ذكر غيره**».

ـ الكسوف

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**علامة خروج المهدي كسوف الشمس في شهر رمضان في ثلاث عشرة وأربع عشرة منه**»[1].

(١) الغيبة للنعماني، ص٢٧٠.

عصر الظهور

خدامراد سليميان

تعتبر المهدوية واحدة من الأفكار المتجذرة في ثقافة الإسلام الغنية والتي طرحها بداية الرسول الأكرم ﷺ ثم أصبحت الأمل الذي يترقبه مظلومو العالم حيث حاكمية المستضعفين. من هنا، يتساءل المسلمون: متى يظهر الموعود؟ حتى إنّ هذا السؤال كان يُطرح قبل ولادة الإمام عجل الله فرجه الشريف حيث كانوا يسألون المعصومين عليهم السلام حول عصر ذاك التحول العالمي الكبير.

طبعاً أشار المعصومون عليهم السلام إلى أنّ المسائل المتعلقة بالإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف هي واحدة من الأسرار الإلهية حيث كذّبوا الموقّتين.

عند مطالعة الكلام الإلهي وكلمات الأئمة الأطهار عليهم السلام تصادفنا عدة مسائل من أبرزها:

١ . إنّ العلم الدقيق بزمان ظهور الإمام هو من الأمور التي خَصّ الله تعالى بها نفسه.

٢ . كان المعصومون عليهم السلام يحذّرون الناس من تعيين زمان خاصّ للظهور.

٣ . تحدثت بعض الروايات عن أنّ الظهور أمر مفاجئ وأشار العديد من الروايات إلى أنّ اصلاح أمر الفرج عبارة عن شبه قيام الساعة المفاجئ، وطبعاً هذا يتعارض مع تعيين وقت للظهور.

٤ . على الرغم من أن غموض زمان الظهور هو من الأسرار الإلهية وأن الحكمة

الإلهية اقتضت أن تكون المعرفة بزمان الظهور من الأمور المجهولة والمكتومة عند الناس؛ إلا أن بعض الروايات أشارت إلى الحكمة من ذلك حيث يظهر من ذلك تعيين الحدود الزمانية للظهور.

٥ . بعد الرجوع إلى كلام المعصومين عليهم السلام يمكن الاطلاع على كيفية معرفة الإمام المهدي عجل الله فرجه بزمان الظهور وهذا ما سنشير إليه.

سنحاول في هذا المقال الإشارة إلى النقاط المتقدمة بالاختصار.

العلم عند الله فقط

من جملة الروايات التي خصّصت العلم بزمان الظهور بالله تعالى فقط يمكن الإشارة إلى ما يلي:

. «**عن عبد السلام بن صالح الهروي قال سمعت دعبل بن علي الخزاعي يقول لما أنشدت مولاي الرضا عليه السلام قصيدتي التي أولها:**

مـدارس آيـات خلـت مـن تـلاوة ومـنـزل وحـي مـقـفـر الـعـرصـات

فلما انتهيت إلى قولي:

خـروج إمـام لا محـالـة خـارج يـقـوم عـلـى اسـم الله والـبـركـات

يمـيـز فـيـنـا كـل حـق وبـاطـل ويـجـزي عـلـى الـنـعـماء والـنـقـمـات

بكى الرضا عليه السلام بكاء شديداً ثم رفع رأسه إليّ فقال لي: يا خزاعي نطق روح القدس على لسانك بهذين البيتين فهل تدري من هذا الإمام؟ ومتى يقوم؟... وأما متى؟ فأخبار عن الوقت ولقد حدثني أبي عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وآله قيل له: يا رسول الله صلى الله عليه وآله متى يخرج القائم من ذريتك؟ فقال: مثله مثل الساعة (لا يجليها لوقتها إلا هو ثقلت في السماوات والأرض ولا يأتيكم إلا بغتة»[1].

(١) عيون أخبار الرضا عليه السلام، الشيخ الصدوق، انتشارات جهان، ١٣٧٨هـ.ش، ج٢، ص٢٦٦ وكمال الدين، الشيخ الصدوق، دار الكتب الإسلامية، ج٢، ص٣٧٢.

وبما أن الإمام عليه السلام اعتبر خفاء زمان الظهور شبيهاً بزمان القيامة يمكن الاستنتاج:

ـ مع خفاء القيامة تظهر حالة من الحرية في العمل عند الجميع ومن جهة أخرى بما أن وقت ذلك غير معلوم بشكل دقيق فهو محتمل في كل زمان، النتيجة هي وجود حالة استعداد دائمة وهكذا هو الحال فيما يتعلق بالإمام المهدي عجل الله فرجه؛ لأنه لو تم تحديد التاريخ وكان زمان الظهور بعيداً، لغرق الجميع في الغفلة والغرور وعدم الاطلاع وإذا كان ذاك الزمان قريباً، فمن الممكن أن يفقد الناس الحرية في العمل وتصبح أعمالهم اضطرارية.

ـ بما أن العلم ـ بزمان القيامة محصور بالله تعالى فقط، فالعلم بزمان ظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه خاص بالله تعالى أيضاً. وقد أشارت بعض الروايات إلى ظهور المهدي عجل الله فرجه إلى جانب حصول القيامة.

ـ تشير أجزاء الآية الشريفة المتقدمة إلى نفي العلم بالقيامة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم حيث تقول الآية: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾.

من هنا يمكن الاستنتاج أنّ الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم الزمان الدقيق لظهور الإمام المهدي عجل الله فرجه أيضاً وأمّا الذين يتجرأون على تحديد الوقت بشكل دقيق ففيه تأمل.

صحيح أنّ السؤال المتقدم طرح بين يدي المعصوم الأول وأجاب بأن العلم بزمان الظهور هو عند الله تعالى، فبالإضافة إلى ذلك عندما سُئل الإمام الأخير هكذا سؤال أجاب ضمن توقيع قائلاً: «... **وأما ظهور الفرج فإنه إلى الله تعالى ذكره وكذب الوقاتون**»[1].

وأشار الإمام عجل الله فرجه في آخر توقيع له إلى سفيره الأخير إلى الظهور: «**ولا ظهور إلا بعد إذن الله تعالى**»[2].

(١) كتاب الغيبة، الشيخ الطوسي، مؤسسة المعارف الإسلامية، قم، ص٢٩١.

(٢) الخرايج والجرايح، قطب الدين الراوندي، مؤسسة الإمام المهدي عجل الله فرجه، قم، ١٤٠٩هـ.ق، ج٣، ص١١٢٨ وكتاب الغيبة، ص٣٩٥.

يتضح مما تقدم أن زمان بداية الظهور هو واحد من الأسرار الإلهية التي يعجز الفكر البشري من الاحاطة بها.

هل يعلم المختارون ذلك؟

اتضح أن العلم بزمان الظهور مسألة علاقة بالله تعالى فقط، ولكن هل وضع الله تعالى هذا العلم عند المختارين والمصطفين لديه أم لا؟

أشرنا إلى أن العلم بالظهور شبيه بالعلم بالقيامة وهما مختصتان بالله تعالى، إلا أن بعض الروايات وضحت أنّ جزءاً من هذه المعرفة قد وضعها الله تعالى عند النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم الذي نقلها إلى ورثة علمه الذين أمروا أن لا يضعوها تحت إرادة أيّ إنسان على الاطلاق، لا بل أُمِر الشيعة بتكذيب الموقتين.

ـ عن عبد الرحمن بن كثير، قال: كنت عبد أبي عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه مهزم، فقال له: جعلت فداك، أخبرني عن هذا الأمر الذي ننتظره متى هو؟ فقال: «**يا مهزم كذب الوقاتون**»[1].

وتحدث الإمام عليه السلام أيضاً في جواب أبي بصير فقال: «**إنّا أهل بيت لا نوقت**».

وذكرت المسألة عينها في عبارات الإمام الباقر عليه السلام مع التأكيد الشديد.

سأل فضيل بن يسار الإمام عن زمان الظهور فأجاب: «**كذب الوقاتون، كذب الوقاتون، كذب الوقاتون**»[2].

ممّا لا شكّ فيه أنّ المقصود من تعيين الوقت هو تحديد السنة واليوم بشكل دقيق وإلا فقد أشرنا إلى أن بعض الروايات تحدثت عن ذلك بشكل مجمل فحددت بعض الحدود ذات العلاقة بزمان الظهور.

(١) كتاب الغيبة، ص٤٢٦ والكافي، ثقة الإسلام الكليني، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ.ش، ج١، ص٣٦٨.

(٢) الكافي، ج١، ص٣٦٨.

أشرنا فيما تقدم إلى أنّ بعض الروايات تحدثت عن ظهور الإمام عجل الله فرجه وأنه أمر مفاجئ والواضح أنّ الفجائية تتنافى مع تحديد وقت للظهور بشكل مسبّق، لأنه عندما يتم تحديد وقت خاص، فلا معنى ليكون فجائياً. طبعاً الذين يحددون وقتاً خاصّاً ، فكلامهم منافٍ لهذه المجموعة من الروايات.

يمكن تصنيف بعض الروايات على النحو الآتي:

أ . اصلاح أمر الظهور في ليلة.

يقول الإمام علي عليه السلام : «**قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : المهدي منا أهل البيت يُصلح الله له أمره في ليلة**»[١].

وإلى هذا الأمر أشار الإمام الباقر عليه السلام : «**يُصلح الله له أمره في ليلة**»[٢].

ب . المجيء كالشهاب الثاقب

يقول الإمام الباقر عليه السلام بعد بيان غيبة الإمام المهدي عجل الله فرجه: «**ثم يبدو كالشهاب الوقاد**»[٣]. ويقول الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم : «**فعند ذلك يَقْبَلُ كالشهاب الثاقب**»[٤].

طبعاً لا يمكن اعتبار تشبيهات المعصومين عليهم السلام عبثية. ثم إنّ مجيئه كالشهاب هو أمر مفاجئ لا يسبقه أيُّ توقُّع.

زمان الظهور في الروايات

ذكرت بعض الروايات بعض الأحداث والحالات التي تحدد زمان الظهور.

هنا نقسم الروايات إلى عدة مجموعات:

١ . الروايات التي تحدثت عن أن يوم الجمعة هو يوم الظهور:

. يقول الإمام الصادق عليه السلام : «**يخرج قائمنا أهل البيت يوم الجمعة**»[٥].

(١) كمال الدين، ج١، ص١٥٢.
(٢) الغيبة للنعماني، محمد بن إبراهيم النعماني، مكتبة الصدوق، طهران، ١٣٩٧هـ.ق، ص١٦٣.
(٣) كتاب الغيبة، ص١٥٩ وكمال الدين، ج١، ص٣٢٤.
(٤) كمال الدين، ج١، ص٢٨٧.
(٥) الخصال، الشيخ الصدوق، انتشارات جامعة المدرسين، قم، ١٤٠٣هـ.ق، ج٢، ص٣٩٤؛ بحار الأنوار، العلامة المجلسي، مؤسسة الوفاء، بيروت، ج٥٦، ص٢٦.

٢ . الروايات التي أشارت إلى أن يوم الظهور مرادف ليوم عاشوراء:

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «... **وهذا اليوم الذي يقوم فيه القائم**»[١].

وذلك ضمن حديثه عن يوم عاشوراء.

٣ . الروايات التي تحدثت عن أن الظهور هو في السنة الفرد:

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يخرج القائم إلا في وتر من السنين**»[٢].

٤ . تحدثت بعض الروايات عن أن السبت هو يوم الظهور:

يقول الإمام الباقر عليه السلام: «**يخرج القائم يوم السبت يوم عاشوراء**»[٣].

صحيح أن القرائن تشير إلى أن يوم الجمعة هو يوم الظهور إلا أنه يمكن فهم ذلك باعتبار أن يوم الجمعة هو اليوم الأول للظهور الذي يترافق مع أحداث كثيرة لذلك تقع بعض تلك الأحداث يوم السبت.

طريق معرفة إمام الزمان عجل الله فرجه الشريف

قد يسأل: إذا كان الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف غير عالم بزمان الظهور بشكل دقيق، فكيف سيطلع على ذلك؟

هنا ذكرت العديد من الروايات التي بينت طرق علم الإمام عجل الله فرجه الشريف بزمان الظهور، نشير إلى بعضها:

١ . المعرفة عن طريق الإلهام

ممّا لا شكّ فيه أنّ المعصومين يمتلكون الهاماً إلهياً، وإذا كان الوحي قد اختتم برحيل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، إلا أن الالهام يحصل لأهل البيت عليهم السلام.

هنا يمكن الإشارة إلى بعض الروايات التي وضحت معرفة الإمام المهدي عجل الله فرجه الشريف بزمان الظهور عن طريق الالهام. يقول الإمام الصادق عليه السلام ذيل الآية الشريفة

(١) تهذيب الأحكام، الشيخ الطوسي، دار الكتب الإسلامية، طهران، ١٣٦٥هـ.ش، ج٤، ص٣٠٠.
(٢) كتاب الغيبة، ص٤٥٣ وروضة الواعظين، محمد بن حسن الفتال النيشابوري، انتشارات رضى، قم، ص٢٦٣.
(٣) التهذيب، ج٤، ص٣٣٣ وكمال الدين، ج٢، ص٦٥٣.

﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾: «إنّ منا إماماً مستتراً فإذا أراد الله إظهار أمره نكت في قلبه نكتة فظهر. فقام بأمر الله تعالى»[1].

٢ . المعرفة عن طريق ارتفاع علم الظهور

أشارت بعض الروايات إلى أنه إذا اقترب عصر الظهور وحان وقته يرتفع العلم الذي يحمله الإمام أثناء الظهور بإذن الله، فيعلم الإمام أن عليه الظهور. يقول الرسول الأكرم ﷺ: «... له عَلَمٌ إذا حان وقت خروجه انتشر ذلك العلم بنفسه فناداه العلم اخرج يا ولي الله واقتل أعداء الله فلا يحل لك أن تَعْقُدَ عن أعداء الله»[2].

٣ . المعرفة عن طريق خروج السيف من غمده

يقول ﷺ: «له سيف مغمد فإذا حان وقت خروجه اقتلع ذلك السيف من غمده وأنطقه الله عز وجل فناداه السيف اخرج يا وليَّ الله فلا يحل لك أن تقعد عن أعداء الله فيخرج»[3].

الحكمة في خفاء زمان الظهور

في النهاية من المناسب الاشارة إلى مسألة وهي أن خفاء زمان ظهور الإمام عجل الله فرجه الشريف لا يخلو من حكم من جملتها:

١ . الابقاء على روح الأمل والانتظار حية في المجتمع طوال غياب الإمام عجل الله فرجه الشريف، فلو عُلِم وقت الظهور لأصبح الانتظار غير ذي معنىً.

٢ . يصبح هناك معنى لاختبار الشيعة في عصر الغيبة.

٣ . مفاجأة المعارضين والأعداء.

(١) الكافي، ج١، ص٣٤٣؛ كتاب الغيبة، ص١٦٤ ورجال الكشي، محمد بن عمر الكشي، انتشارات جامعة مشهد، ١٣٤٨هـ.ش، ص١٩٢.

(٢) كمال الدين، ج١، ص١٥٥؛ الخرايج والجرايح، قطب الدين الراوندي، ج٢، ص٥٥٠.

(٣) كمال الدين، ج١، ص١٥٥.

بما أن السعي للقضاء على الإمام عجل الله فرجه هو أحد أسباب الغيبة، لذلك فإن اتضاح زمان الظهور يساعد الأعداء في التهيُّؤ لقتاله ومحاربته، أمّا مفاجأة الأعداء فتتطلب أن يبقى زمان الظهور غير معلوم.

الباب التاسع:

بيوت الرحمن

آثار الحضور في المسجد

آثار الحضور في المسجد

المسجد بيت الله على الأرض[١] ومركز الوحي[٢] ومنبع الفيض المعنوي والعديد من البركات التي تعود للمصلين والمجتمع الإسلامي. ممّا لا شكّ فيه أنّ المكان الذي يمتلك هكذا مكانة عند الله تعالى سيكون للحضور فيه آثار كثيرة تشمل المكلفين والحاضرين في المسجد أعم من المرأة والرجل.

للحضور في المسجد آثار كثيرة قد يصعب الإحاطة بها جميعها؛ وقد جاء في إحدى الروايات عن الإمام علي عليه السلام أنّ للحضور في المسجد ثمانية آثار: «**من اختلف إلى المسجد أصاب الثمانية؛ أخاً مستفاداً في الله، أو عِلماً مستطرفاً أو آية محكمة أو يسمع كلمة تدل على هدى، أو رحمة منتظرة أو كلمة ترده عن ردى أو يترك ذنباً خشية أو حياءً**»[٣].

يمكن الحديث حول آثار الحضور في المسجد على النحو التالي:

١ . الآثار العبادية

يجري الحديث عن المساجد باعتبارها بيوت الله على الأرض[٤] وبيوت

---

(١) مستدرك الوسائل، ج٣، ص٢١٣ و٣٥٩.
(٢) كنز العمال، ج٧، ص٤٤٨.
(٣) وسائل الشيعة، ج٣، ص٤٨٠.
(٤) مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣١٣.

المتقين[١] والمؤمنين[٢]. وتشير هذه العناوين بوضوح إلى الماهية العبادية للمسجد، وفي الأصل فإنّ المساجد قد بنيت لإيجاد نوع من العلاقة بين العبد والمعبود والإعلان عن العبودية للخالق. ومن هنا يتبين الأثر الأساس للحضور في المسجد، بالأخص في البعد العبادي: «**وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد وادعوه مخلصين له الدين كما بدأكم تعودون**»[٣].

٢ . الآثار العلمية

يشير استخدام المسجد في عصر الرسول ﷺ وما جاء على لسان وصايا المعصومين عليهم السلام إلى أحد آثار الحضور في المسجد. يقول الرسول ﷺ: «**كل جلوس في المسجد لغو إلا ثلاثة: قراءة مُصَلّ أو ذكر الله أو سائل عن علم**»[٤].

٣ . الآثار الاجتماعية

إنّ المسجد، باعتباره مركزاً دينياً للعموم، يؤدّي دوراً أساسياً في إيجاد اجتماع للمسلمين. من هنا يمكن الحديث عن دور اجتماعي للمسجد.

ومن جملة الآثار الاجتماعية التي يمكن الحديث عنها في المسجد، حضور النساء والرجال وتبادل الأخبار الاجتماعية والسؤال عن أوضاع وأحوال بعضهم البعض وأحوال المسلمين. يجد المسلمون في المسجد الفرصة المناسبة للتعرف على المسلمين الآخرين الذين يجمعُه معهم لون واحد من الدين والعبودية ممّا يسهّل في إيجاد تنظيم اجتماعي متناسق. لذلك يتمكن المصلون من التعرف على إخوة وأخوات أصحاب صفات دينية مناسبة حيث يكون لهذا الأمر آثاره الاجتماعية.

(١) م.ن، ص٣٥٩.
(٢) كنز العمال، ج٧، ص٦٥٠.
(٣) سورة الأعراف، الآية: ٢٩.
(٤) بحار الأنوار، ج٧٧، ص٨٦؛ وسائل الشيعة، ج٣، ص٨٦.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يرجع صاحب المسجد بأقل من إحدى ثلاث خصالٍ... وإمّا أخ يستفيده في الله**»[1].

ويتمكن الرجال والنساء ومن خلال حضورهم في المسجد من إيجاد مجتمع ديني سالم.

تشير الروايات المنقولة عن أمير المؤمنين عليه السلام إلى الآثار السلوكية للحضور في المسجد على مستوى إبعاد المجتمع المتدين عن الفساد والمعصية والاتجاه به نحو السلامة والصلاح: «**أو كلمة ترده عن ردى أو يترك ذنباً خشية أو حياءً**».

ومن هنا يمكن القول إنّ الحضور في المسجد يؤدّي دوراً على مستوى الحؤول دون ارتكاب المعاصي والجرائم.

٤ . الآثار السياسية

كان المسجد وعلى امتداد التاريخ مركزاً سياسياً للمجتمع الديني إلى جانب كونه مركزاً اجتماعياً وعبادياً ومعنوياً. ويمكن ملاحظة حضور هذا الدور للمسجد في زمان الرسول صلى الله عليه وآله والخلفاء والإمام علي عليه السلام حيث يمكن الحديث عن نماذج كثيرة لهذا الدور طوال التاريخ.

وفي هذه المرحلة يمكن الإشارة أيضاً إلى الآثار السياسية لحضور الرجال في المسجد وإلى حضور النساء فيه. ومن أبرز مظاهر حضور النساء وآثار هذا الحضور، قدوم السيدة الزهراء عليها السلام إلى المسجد للدفاع عن حق علي عليه السلام بالولاية. كما يمكن الإشارة إلى حضور السيدة زينب في المسجد وهو من المسلمات التاريخية[2]. كما يمكن مشاهدة هذا الأثر وبوضوح في مجريات الثورة الإسلامية.

إنّ التربية السياسية التي تُقَدّم في المسجد يمكن أن تؤدي إلى ايجاد جيل

(١) وسائل الشيعة، ج٣، ص٤٧٧.

(٢) لمزيد من المعلومات حول الحضور السياسي للنساء في المساجد، راجع بلاغات النساء...

يشكل داعماً أساسياً للمجتمع الديني والذي يمتلك الوعي الكافي في مقابل الأحداث السياسية. من هنا يمكن الحديث عن ضرورة حضور الرجال والنساء في المسجد، فلو حُرِم النساء من الحضور في هكذا مكان، فسيؤدي الأمر إلى نقص في هذه التربية. والواقع أنّ النساء تساهم في التربية السياسية لما تضْطَلع به من دور على مستوى تربية الأبناء.

ـ الآثار الروحية والأخلاقية

إنّ أجواء المسجد هي أجواء نورانية وإلهية. وقد أشار الرسول ﷺ إلى ذلك في حديث يقول: «**ما جلس قوم في مسجد من مساجد الله تعالى يتلون كتاب الله [و] يتدارسونه بينهم إلا تنزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وذكرهم الله فيمن عبده**»[1].

ونقرأ في حديث آخر عن رسول الله ﷺ: «**من كانت المساجد بيته ضمن الله له بالروح والراحة والجواز على الصراط**»[2]. وعلى هذا الأساس فالمؤمن في المسجد شبيه بالسمك في البحر.

إنّ الاطمئنان والهدوء الذي يحصل من خلال الحضور في المسجد، يضفي القدرة على القيام بالوظائف والتكاليف الشرعية بشكل صحيح. وتجدر الإشارة إلى نقطة هامة وهي أنّ النساء يتمتعن بروح وعاطفة شفافة، لذلك كان لحضورهنَّ أثر كبير على مستوى الإحساس والشعور بالهدوء الإلهي والقلبي.

وأمّا على المستوى الأخلاقي فالموضوع على هذا النحو أيضاً؛ والسبب في ذلك أنّ النساء يقضين أكثر أوقاتهن في المنزل وتربية الأبناء مما يجعلهنَّ يَعِشْنَ بعض المشاكل أحياناً، لذلك فالنساء يحتجن إلى الهدوء وإلى مكان يشعرن فيه بالراحة النفسية أكثر مما يحتاج إليه الرجال. والمسجد هو المكان الوحيد الذي توجد

(١) مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٦٣.
(٢) م.ن، ج٣، ص٥٥٤.

فيه النورانية والعبودية والارتباط بين الخالق والمخلوق. إنّ في الجماعة صفات وخصائص غير موجودة في غيرها.

يقول الإمام الصادق عليه السلام: «**كان أبي إذا حَزَنَه أمر جمع النساء والصبيان ثم دعا وآمنوا**».

٦ . الآثار المعنوية والآخروية

تحدثت الروايات حول الثواب والأجر الكبير للحاضرين في المسجد من جملة هذه الروايات ما يلي:

١ . «**إنّ في التوراة مكتوباً: إنّ بيوتي في الأرض المساجد فطوبى لمن تطهر في بيته ثم زارني في بيتي وحق على المزور أن يكرم الزائر**»[١].

٢ . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**المساجد سوق من أسواق الآخرة قِراها المغفرة وتحفتها الجنة**»[٢].

٣ . قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «**سبعة يظلهم الله في ظلّه يوم لا ظلَّ إلا ظلُّه... رجل قلبه متعلق بالمسجد إذا خرج منه حتى يعود إليه**»[٣].

٤ . قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لا يرجع صاحب المسجد بأقلّ من إحدى ثلاث خصال: إمّا دعاء يدعو به يدخله الله به الجنة، وإمّا دعاء يدعو به فيصرف الله عنه به بلاء الدنيا...**».

إنّ ما تقدم يشير وبوضوح إلى الآثار الدنيوية والأخروية والكمالات المعنوية للحضور في المسجد. يقال إنّ الشيخ الرئيس أبا علي ابن سينا كتب إلى أبي سعيد أبي الخير وسأله عن السبب في حضور الناس إلى المساجد مع العلم أنّ الله أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد. واعتبر ابن سينا أنّ الإنسان يحصل على النتيجة

(١) وسائل الشيعة، ج٣، ص٤٨٢.
(٢) مستدرك الوسائل، ج٣، ص٣٦١؛ بحار الأنوار، ج٨١، ص٤؛ آمالي الطوسي، ص١٣٩.
(٣) وسائل الشيعة، ج٣، ص٤٨١.

التي يريدها من أي مكان وجد فيه. أمّا أبو سعيد فكتب إليه موضحاً أن المصباح يضيء في مكان معين، وإذا خفت أحد المصابيح فالأخرى تبقى على إضاءتها. ولكن لو فرضنا أن كل مصباح موجود في غرفة مستقلة، فإذا خفت أحدها، تظلم الغرفة الموجود فيها. وكذلك البشر؛ حيث يكون البعض من العصاة، الذين لا يوفقون للحصول على الفيوض الإلهية، ولكن إذا كان الأفراد في الجمع، فقد تشملهم البركات الإلهية بسبب وجود البعض[1].

مسألة:

صحيح أنّ كافة ثمار الحضور في المسجد يشترك فيها النساء والرجال ولا يمكن الحديث هنا عن نوع من التمييز، إلا أنّ هناك مسألة تبين مطلوبية حضور النساء. الحقيقة أنّ النساء يمتلكن المزيد من الوقت خلافاً للرجال حيث يقضي أغلبهم أوقاته في العمل وتأمين المعاش. من جهة أخرى تمتلك النساء قدرة أكبر على الاتصال والتواصل، وبالتالي فهنّ أكثر نجاحاً في تبادل المعلومات الدينية والسياسية والأخلاقية والاجتماعية. وبما أنّ النساء يتمتعن بلطافة روحية وصفاء قلب وعاطفة أمومة فهنّ أكثر تأثيراً في العائلة. لذلك فإنّ حضور النساء في المسجد يمكن أن يبدل كافة الأجواء في العائلة ويتبع ذلك المجتمع.

(١) قصص وحكم، ج٩، ص٥٨.

المركز الإسلامي للتبليغ

هو مركز تابع لجمعية
المعارف الإسلامية الثقافية
يعنى بإدارة ومواكبة
العمل التبليغي

DB UK 03 336218

1009074

جمعية المعارف الإسلامية الثقافية
AL - MAAREF ISLAMIC CULTURAL ASSOCIATION
بيروت ـ لبنان ـ المعمورة ـ الشارع العام
تلفون: 01/471070 فاكس: 01/476142
www.almaaref.org
Email:info@almaaref.org